بيروت ودورها الجهادي

منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني



تأليف

الدكتورة حنان قرقوتي شعبان

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بيروت ودورها الجهادي

منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني

تأليف
الدكتورة حنان قرقوتي شعبان

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

أصل هذا الكتاب رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من كلية الإمام الأوزاعي، تحت عنوان «التحصينات العسكرية والجهادية في بيروت في العهود الإسلامية الأولى وحتى العهد العثماني». تحت إشراف الدكتور حسان حلاق.

ISBN 2-7451-4242-9



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

الاهداء

إلى المجاهدين في سبيل الله أهدي دراستي هذه....

حنان



تمهيد

■ بيروت . . . تلك المدينة المرابطة على ثغر من ثغور الإسلام، والتي طغت عليها المدنية الحديثة بكافة أبعادها لتصبغها بصبغة غريبة عنها، ولتطمس معالم حضارتها التي اشتهرت بها في تاريخها الإسلامي الطويل الذي قارب الخمسة عشر قرناً.

■ بيروت . . . تلك المدينة العريقة في التاريخ والتي يجهل كثير من أبناء بيروت وأبناء الإسلام ما مرَّ عليها من حروب وفتن، ومن مَرَّ بها من مرابطين ومجاهدين، وما قاموا به من أساليب و(**تكتيكات**) حماية لها، وذوداً عن أصلها خلال تاريخها الإسلامي الطويل.

■ بيروت . . . تلك المدينة المجاهدة التي حاول البعض جاهداً طمس هويتها الإسلامية وصبغها بصبغة لا تليق بمكانتها التي شرَّفها بها الإسلام.

■ بيروت . . . تلك المدينة الصابرة تحتاج إلى من يوضح لأبنائها أولاً، وأبناء الإسلام ثانياً، وأعدائها ثالثاً، تاريخها الجهادي الطويل بكرِّه وفرِّه، وبنصره وهزيمته، ليعلموا أن الحقَّ دائماً منتصر مهما طال الزمن.

من أجل ذلك كانت هذه الدراسة.

الدكتورة حسّان قرقوتي شعبان



كلمة الناشر

■ عندما قرأت هذا الكتاب أحسست بتقصيري ـ وأنا ابن بيروت ـ تجاه هذه المدينة التي أعطت أبناءها بدون حدود دون أن تنتظر مقابلاً لعطائها؛ فهذه المدينة هي كالأم الحنون، بل هي الأم الحنون لجميع أبنائها، بل هي الحاضنة الرؤوم لكل من ينزلها من غير أبنائها. فكيف يُتَوَقَّعُ منّا ـ نحن أبناء هذه المدينة ـ أن نَفِيَها حَقَّها من البرِّ؟! هذا فوق الاستطاعة؛ فما علينا والحال هذه إلاّ أن نبذل جهدنا في التحدُّث بالجميل إنْ لم نستطع ردَّ هذا الجميل.

■ وهذا الكتاب يسرد البَعْضَ القليل من مفاخر هذه المدينة العظيمة؛ هذا البعضُ يتمثل بدورها الرياديّ في الجهاد والرباط في وجه الهجمات المتكررة عليها منذ العصور الإسلامية الأولى حتى أواخر العهد العثماني.

■ كما يتطرق الكتاب إلى عرض موقع بيروت الجغرافي وأهميته عبر العصور، ممّا جعلها محطّ أنظار الغزاة والطامعين عبر العصور، فقد عانت بيروت ما عانته خلال الغزو الصليبي؛ ولكنها لم تيأس ولم تقنط، فسرعان ما لفظت هذه الجرثومة الطارئة ما جسدها بفضل صمودها وإيمانها المتجذّر منذ اللحظة الأولى من تَزَيُّنها بالدين الإسلاميّ الحنيف.

■ يسرُّني أن أضع هذا الكتاب بين أيدي أبناء بيروت، وغير أبنائها، لعلّ هذا يكون بعضاً من الواجب عليَّ من ردّ الجميل تجاه هذه المدينة العظيمة، مع اعترافي بتقصيري وعدم استطاعتي في بذل ما تستحقه؛ ولكنني أضع نُصْبَ عينيَّ قول الرسول الكريم ﷺ: «مِنْ شُكْرِ النِّعمة إفشاؤُها».

المقدمة

«بسم الله الرحمن الرحيم»

بعد حمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، فإن هـذه الـدراسـة تتضمن التحصينـات الجهـاديـة في بيـروت في العهـود الإسلامية الأولى حتى أواخر العهد العثماني، إذ أن ثغر بيروت جزء لا يتجزأ من الثغور الشامية على هذا الساحل. لذا فإن ما تمثله هذه المدينة لم يكن ليعنيها وحدها ولكن يعني الساحل كله بشكل عام.

ونظراً لأهمية الثغور وما كان من اهتمام المسلمين بها جعلني أقوم بهذا البحث مظهرة الدور الجهادي والعسكري في بيروت.

وقد تناولت موقع بيروت وأهميته، وواقع المدينة حين دخلها المسلمون مع التـعـرض لـواقـع الـشـام فـي تـلـك الـفـتـرة، لأن بـيـروت مـا هـي إلا مدينة من مدن الساحل الشامي، وجزء لا يتجزأ منه. كما أود أن أظهر بعض الملامح التاريخية لهذه المدينة خلال العصر الإسلامي مع ذكر بعض ما عانته أثناء الاحتلال الصليبي، مروراً بعهد المماليك، فالعهد العثماني.

ثم ما كان من أمر الجهاد وكيفية المقاومة من خلاله مع إظهار الرباط كباب من أبواب الجهاد، وما قيل في رباط أهل الشام مظهرة بعض الذين رابطوا في بيروت مع ذكر نبذة تاريخية عن حياتهم، علماً أن أول من رابط في بيروت نفر من الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد قمت بدراسة دور الجهاد في الميدان البحري، لما كان للثغور

البحرية من أهمية وما كان من أمر البحرية والأسطول الإسلامي وأهمية بناء السفن في بيروت كقاعدة من قواعد بناء السفن الإسلامية، إذ كانت الأخشاب تأتي لمد هذه الصناعة من الغابات القريبة من مرفأ بيروت. ومن هذه الغابات... غابة صنوبر بيروت التي قامت بدور كبير في صناعة السفن من جهة، وللأغراض الصناعية الحربية الأخرى من جهة ثانية كاستعمال أخشابها في صناعة أدوات الحصار الحربي. كما أن لهذه الغابة بعض الملامح التاريخية حيث أنها كانت مكاناً لمرور العسكر ومكاناً للتدريب. ثم تعرضت للجيش من خلال الرتب العسكرية التي كانت معروفة في بيروت، وما كان من تدريب فرق الجيش وتسليحها.

أما التحصينات العسكرية التي استعملها المجاهدون في بيروت في العهد الإسلامي فكان لها الفضل الكبير في حماية المدينة، وصدّ الغارات عنها عبر التاريخ.

ومن هذه التحصينات سور بيروت الذي كان يحيط بالمدينة شأن المدن الأخرى في العصور الوسطى، وما كان من إغلاق الأبواب مساء، ثم هناك الثكنات القائمة خلف السور لحماية المدينة من الاعتداء الخارجي، إضافة إلى الأبراج المنتشرة حول الأبواب لحماية السور، وهناك الأبراج المنتشرة حول المدينة لمراقبة السواحل وصدّ أية غارة مباغتة، ثم ما كان من أمر القلعة وما آلت إليه من الخراب بعد أن ساهمت بشكل فعّال في حماية بيروت طيلة حقب من الزمن. وكان يتولى أمرها بعض أبناء عائلات بيروت الشجعان، إضافة إلى المرفأ الذي كان له دور هام في التاريخ الإسلامي.

إذن فإن هدفي من هذا البحث هو إظهار بعض الملامح العسكرية الإسلامية التي قام بها المجاهدون المسلمون في بيروت وبلاد الشام للمحافظة على هذه المدينة، بعد أن تغيرت ملامحها القديمة وطغت عليها الحضارة الغربية الحديثة واندثرت بسببها أهم معالم بيروت الإسلامية القديمة

العريقة ولم يبق من الآثار إلا بعض من أسماء كمحلة باب إدريس مثلاً التي لم يبق منها إلا الاسم بعدما دثرت أماكن أبواب بيروت وغيرها كثير.

علماً، أن مثل هذا الموضوع لم تشر إليه المصادر بشيء من التفصيل والتوسع، وإنما بحثت عن معلوماته ضمن سطور بعض المصادر والكتب، لذا فقد عانيت الكثير حتى استطعت أن أجمع هذه المادة حول التحصينات العسكرية والجهادية في بيروت الإسلامية، مع العلم أنه صدرت بعض الكتب الحديثة التي تعالج شيئاً عن موضوعي في بعض فصولها مثل كتاب د. حسان حلاق: بيروت المحروسة في العهد العثماني، وبعض المراجع الأخرى.

هذا، وقد اعتمدت على مصادر أساسية لإخراج هذه الدراسة رغم ندرتها وقلتها، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، التي ساهمت بشكل فعال في إبراز ملامح بيروت من أبراج وغيرها عبر سجلاتها.

٢ - أحمد الصفدي، لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، الذي يتضمن الحياة السياسية والعسكرية في عهد الأمير فخر الدين المعني الكبير...

٣ - جون كارن: رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، ويشمل هذا الكتاب الرحلة التي قام بها الكاتب إلى لبنان واصفاً المشاهد التي رآها من النواحي العمرانية... ومنها ما يتعلق بمدينة بيروت.

٤ - حيدر الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ويتضمن هذا المصدر الحياة في جبل لبنان في العهد الشهابي كما يظهر الدور السياسي الذي كان للشهابيين في بيروت مع ذكر بعض نبذات عن أماكن الدور الشهابية في مدينة بيروت.

٥ ـ **صالح بن يحيى**: تاريخ بيروت، ويتضمن هذا المصدر دراسة لأوضاع بيروت في العهد المملوكي من النواحي العسكرية والسياسية والتاريخية . . .

٦ ـ عبد الرحمن بك سامي: القول الحق في بيروت ودمشق، ويتضمن رحلة إلى بلاد سوريا في أواخر القرن التاسع عشر يذكر فيها الكاتب مختلف نواحي الحياة في بيروت ودمشق في أواخر القرن التاسع عشر معالم بيروت الإسلامية من النواحي العمرانية وأهم المراكز العسكرية فيها.

كما كان للمراجع دور فعال في إبراز هذه الدراسة. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ د. أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ويذكر هذا المرجع العصر الذي ظهر فيه الأسطول الإسلامي . . . ثم تقدمه وتفوقه في المعارك البحرية على الأساطيل الأخرى المعروفة في ذلك العصر . . وما كان من تقدم بناء الأساطيل الإسلامية مع ذكر قواعد بناء السفن في مصر وبلاد الشام وما كان من العلاقات البحرية في بلاد الشام ومصر.

٢ ـ أسعد محمد مطيع تميم: معالم المسلمين في بيروت، بإشراف د. زاهية قدورة، رسالة أعدت لنيل دبلوم في الدراسات العليا في التاريخ، وقد اشتمل الكتاب على ذكر المعالم العمرانية الإسلامية في بيروت من النواحي الاجتماعية مبرزاً النواحي التعليمية فيها في القرن التاسع عشر.

٣ ـ د. حسان حلاق: بيروت المحروسة في العهد العثماني، ويشمل المرجع أحوال بيروت في العهد العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر من

مختلف النواحي الحياتية من عسكرية، وتاريخية واجتماعية، مع ذكر لمحة عن عائلات بيروت وأبراجها وتحصيناتها الدفاعية.

٤ ـ شفيق طبارة: الإمام الأوزاعي، ويشمل المرجع حياة الإمام الأوزاعي وتنقله في طلب العلم وما كان من أمره في بيروت . . . هذا، وللكاتب عدة مقالات في دوريات مختلفة استعنت بها لإخراج رسالتي هذه.

٥ ـ الأمير شكيب أرسلان: محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي، وتكمن أهمية هذا المرجع أنه عن نسخة مخطوطة في مكتبة برلين الملوكية حيث أنه يحوي كل ما عرف عن الإمام الأوزاعي وتم تدوينه في فترة مبكرة.

٦ ـ عبد الباسط الأنسي: دليل بيروت تقويم الإقبال، يعدّ هذا المرجع بمثابة الدليل العمراني والاجتماعي لأماكن بيروت الإسلامية في القرن التاسع عشر.

٧ ـ د. عبد العزيز سالم: دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، ويشمل هذا الكتاب تاريخ صيدا من مختلف النواحي العسكرية والسياسية، كما يظهر الكاتب العلاقات التاريخية التي كانت تربط مدن الساحل الشامي مع بعضها البعض ومن ضمنها مدينة بيروت.

هذا، وكان للدوريات أهميتها في دراستي هذه منها على سبيل المثال لا الحصر، عدة مقالات للشيخ طه الولي التي تتضمن أموراً هامة تتعلق ببيروت من النواحي التاريخية كما كان أيضاً للدكتور عمر عبد السلام تدمري دور في نشر المقالات التي تتعلق بالرباط والمرابطين التي استعنت بها في بحثي هذا.

وأخيراً أود أن أشكر كل من ساعدني على إخراج دراستي هذه.

والله ولي التوفيق

حنان

الفصل الأول

بيروت عبر التاريخ

- بيروت وتسميتها
- بيروت قبل الفتح الإسلامي
- تعرض بيروت للزلازل

- بيروت وتسميتها:

بيروت مدينة من مدن الساحل الشامي، تقع على الشاطىء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

وذكر الباحثون والمنقبون في شؤون الأرض أن مياه البحر المتوسط كانت في القدم تغمر بيروت وجبل لبنان، ثم انكمشت القشرة الأرضية في قعر البحر وارتفعت عما حولها فظهر جبل لبنان، وظل يعلو فوق سطح المياه حتى بلغ ارتفاعه الحالي وبرزت الربوة القائمة عليها مدينة بيروت بشكل جزيرة منفصلة عن الجبل، وأثناء الطور الرابع للأرض كان الوادي الذي يجري فيه اليوم نهر بيروت وما يجاوره من السهل مغموراً بمياه البحر[1].

وكان هناك جون كبير يقع بين مياه خليج مار جرجس في الشمال الشرقي ومياه البحر في الجنوب عند مصب نهر الغدير، ثم فعلت العوامل الطبيعية فعلها بتوالي العصور فهبطت مياه البحر وتدافعت الرمال... وتراكمت الأتربة التي تحملها السيول المنحدرة من سفوح الجبل فتكون سهل رملي أخذ ينمو... حتى وصل جزيرة بيروت بهضاب جبل لبنان[2]، وأصبحت كما نشاهدها اليوم تحيط بها مياه البحر من ثلاث جهات.

---

(1) داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ٥٥، جـ ١، مطبعة عون، بيروت ١٩٦٣.
(2) المرجع السابق، ص ٥٥.

وبيروت مدينة قديمة جداً، قال بعضهم أن الجرجشي بن كنعان بن حام بن نوح وضع أساساتها إذ كان اسمها أولاً جاويش [١].

وبعض المؤرخين يعزون أهل بيروت إلى الكنعانيين ويجعلون مدينتهم من أول مستعمرات جبيل [٢].

ويرجع اسم بيروت في الأصل إلى الكلمة السامية «بئروت» جمع بئر، وكان في بيروت في الأزمنة السابقة حتى فترة الحكم الروماني العديد من الآبار [٣]. كما أن لفظة «بير» لدى الشعوب السامية بمعنى واحد إذ كان الرومان واليونان يسمونها بيرتيوس [٤].

وأول ما جاء ذكر بيروت في التوراة، تحت تسمية «بَئِيرُوتْ» في سفر صموئيل الثاني [٥]، وسفر عزرا [٦].

وجاء في تسمية بيروت لابن فارس «... وبيروت فيعود من البرت، وهو الرجل الدليل» [٧]، وذهب بعض العلماء في تفسير اسم بيروت بأنه مشتق

(١) المرجع السابق، ص ١٠.
(٢) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت تقويم الإقبال، ص ١٠، ط. جريدة الإقبال، بيروت، ١٣٢٦ هـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢٠، بدون تاريخ.
(٣) د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٣ - وانظر جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٦، ط ١، طبع دار شعر، بيروت ١٩٥٩ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١١، ط ١، طبع الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧ م - وانظر عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، ص ٢٢، رحلة في أواخر القرن التاسع عشر، سلسلة التواريخ والرحلات، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
(٤) سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٦، طبع في المكتبة العمومية في بيروت سنة ١٨٨٧ م - وانظر الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١١، نقحه ووضع فهارسه د. فؤاد أفرام البستاني، جـ ١، بيروت ١٩٧٠ م.
(٥) التوراة، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الرابع، ص ٤٨٨.
(٦) التوارة، سفر عزرا، الإصحاح الثاني، ص ٧٣٩.
(٧) ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق، ص ٢٠، جـ ١، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، بدون تاريخ.

من «بروتا» وهي كلمة آرامية معناها السرو أو الصنوبر [١]، لوجود أشجار الصنوبر منذ القدم في جوار بيروت.

وقيل أنها «بروت» أو بروثا المذكورة في سفر الملوك الثاني وفي نبوة حزقيال [٢].

وذكر بعض الكتاب المسلمين بيروت بقولهم: «... مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تُعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ» [٣].

وفي موضع آخر ذكرت بيروت ووصفت مع أهلها، وفي ذلك يقول ابن حوقل: «مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم، وهي فرضة بعلبك وساحلها، وبها يرابط أهل دمشق وسائر جندها، وينفرون إليهم عند استنفارهم...» [٤].

وجاء ذكر بيروت لدى الرحالة العرب أثناء رحلاتهم التي قاموا بها في تجوالهم بين المناطق، وقد وصفت بقول أحدهم «... مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الأسواق وجامعها بديع الحسن ويجلب منها إلى ديار مصر الفواكه» [٥] ويقصد بجامعها الجامع الكبير في وسط المدينة.

(١) جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٦ - ط ١، طبع بدار مجلة شعر، ١٩٥٩م - وانظر طه الولي، صنوبر بيروت، ص ٣٢، المقاصد العدد ١٥، السنة الثانية - تموز ١٩٨٣ م، ١٤٠٣ هـ.
(٢) الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١١.
(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٥٢٥، وياقوت الحموي هو الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، طبع بدار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م. وانظر أيضاً فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ١٨١، الجزء الأول، طبع الدار القومية للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٦٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ - وانظر أيضاً شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٨. (وفرضة: محطّة).
(٥) د. شاكر خصباك، ابن بطوطة ورحلته، ص ٥٧ مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ١٩٧١ م.

وظل ذكر بيروت يتناقله المؤرخون عبر القرون والأجيال.

وفي القرن التاسع عشر ذكرها عدد من الكتّاب، فقال أحدهم: «راقني منظرها لأنها مبنية على تل يرى البحر من أكثر بيوتها الجميلة الهندسة، وأكثرها مسقوف بالآجر الأحمر المعروف بالقرميد»[١].

وقيل في بيروت «أنها زهرة سوريا ومركز علومها، وفرضة الشام، وكانت قديماً مدينة الفقه واشتهرت بمدرستها وهي الآن مدينة العلم والطب. ويعرف علو منزلتها من كثرة مدارسها، وقيمة أعمالها الخيرية من مستشفياتها، وهيئتها الاجتماعية من جمعياتها...»[٢].

بيروت قبل الفتح الإسلامي:

بيروت من مستعمرات جبيل، وقد سميت «بيريت» عند قدامى الفينيقيين نسبة إلى البعل «بيريت» الإله الفينيقي[٣]. وعثر على نقود فينيقية تصور «بيريت» الإله الفينيقي واقفاً عند رأس السفينة أو جالساً على مركبة[٤].

وفي العصر الفينيقي كانت المدينة تقوم حول ميناء متواضع، ثم أصبحت ممراً للجيوش الغازية لهذه البلاد كمرور الجيش المصري في عهد رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم الجيوش التي جاءت من بلاد ما بين النهرين في عهد الملك أسرحدون في القرن السابع قبل الميلاد[٥].

(١) عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، ص ٩، رحلة إلى سوريا ولبنان في أواخر القرن التاسع عشر، سلسلة التواريخ والرحلات، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٢) عبد الرحمن بك سامي، المرجع السابق، ص ٩.

(٣) سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٦.

(٤) جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٦.

(٥) د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٣ - وانظر جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٦ و ١٧.

ولعل صخور نهر الكلب أصدق دليل على تلك الجيوش التي مرت على لبنان وبيروت عبر فترات متلاحقة من الدهور.

وفي سنة ١٤٠ ق.م خرّب المدينة ديودوتوس أتريفون قائد جيش ملك سورية الأنطاكي اسكندر بلاس، وبقيت خراباً خمساً وسبعين سنة، وفي سنة ٦٥ ق.م. رممها الرومان في نفس المكان الذي تأسست فيه المدينة[١].

وأول من اهتم ببيروت بشكل جيد في العهد الروماني أغسطس قيصر أو أغسطس الكبير[٢]، الذي جعلها مركزاً وقاعدة من قواعد الجيش الروماني[٣]، وجعل اسمها «جوليا السعيدة» نسبة إلى جوليا ابنة أغسطس قيصر التي زوجها أبوها بأغريبا حفيد هيرودس[٤].

ثم تولى أغريبا أمر بيروت وشيد بها المباني الفخمة والملاهي... وأنفق الأموال الطائلة لتزيينها وتجميلها حتى أصبحت من المدن الهامة في ذلك العصر، وفي سنة ١٥ ق.م. منحها أغسطس لقب مستعمرة رومانية...[٥].

كما اشتهرت بالأبنية الضخمة وخاصة بمدرسة الحقوق التي كانت تلقب عهدئذ بأم الشرائع.

(١) سليمان جاويش، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢) د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٤٦ - وانظر شفيق سليمان، بيروت العتيقة في التاريخ ص ٣٧.

(٣) شفيق سليمان، المرجع السابق، ص ٣٧.

(٤) عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ص ٢٥٦، نشرة رياض معلوف، سلسلة نصوص ودروس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦م - وانظر أيضاً سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ص ٦٧ - وانظر طه الولي، نكبات بيروت، ص ٧٥ و ٧٦ المقاصد، العدد السابع، السنة الأولى - محرم /١٤٠٣ هـ - ت ١٩٨٢/٢ م.

(٥) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٧١ - وانظر د. صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص ٣.

ومن المرجح أن يكون الامبراطور سبتيموس سفيروس (١٩٣ م - ٢١١ م) الذي أنشأ مدرسة الحقوق أن يكون قد أنشأ في بيروت هيكلاً على اسمه تخليداً لذكراه[١].

ومن أهم أعمال الرومان في بيروت «عملية جرّ المياه للمدينة من نبع العرعار[٢]. وكانت المياه تجري في قناة فوق وادي نهر بيروت على قناطر ذات ثلاثة صفوف، يبلغ علوها ٥٠ متراً وطولها ٢٤٠ متراً تسمى قناطر زبيدة»[٣].

هذا، واكتشف عام ١٢٦٢ هـ/١٨٤٥ م في جنوبي باب يعقوب (أحد أبواب بيروت القديمة) قناة للماء منحوتة في صخر شديد الصلابة يمشي فيها الرجل قائماً، علماً «أن الباحثين عملوا على التماس ينبوع مائها، فاستتبعوها مسافة طويلة ولم يجدوه، ثم ردمت، وقيل أن هذه القناة رومانية كانت تمر في بستان بيت الصباغ»[٤]. وربما كانت هذه القناة تدخل في عملية جر المياه لبيروت.

تعرض بيروت للزلازل:

تعرضت بيروت للزلازل عدة مرات، وكان أشدها الزلزال الذي حصل في ٩ تموز سنة ٥٥١ م، وقد اهتز الساحل من صور إلى أرواد اهتزازاً عنيفاً، وكان لبيروت النصيب الأوفر منه[٥]. وقد روى المؤرخون أن البحر امتد

(١) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٧٦ - وانظر الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٢.
(٢) د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٤.
(٣) د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٤٠ - ويقول د. يوسف مزهر، ص ١٤٠ «أن قناطر زبيدة كان ينسبها العامة إلى زنوبيا ملكة تدمر أو إلى زبيدة زوجة هارون الرشيد» إذن نستطيع القول أن العرب هم الذين أنشؤوا تلك القناطر وليس الرومان كما يدعي بعض المؤرخين.
(٤) داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ٤٣.
(٥) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٨٣ - وانظر د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ =

وجزر إلى مسافة ميل وحطّم السفن ودمّر الأبنية وأودى بحياة الألوف من السكان[١]. وإثر الزلازل المتتالية التي حلت بالمدينة انتقلت مدرسة الحقوق إلى صيدا لمدة عشرين عاماً[٢].

وكان التدمير للمدينة شبه تام، إلا أن بقية الأهالي حاولوا من جديد بناء مدينتهم وبدأت بيروت تستعيد حياتها ولكن ببطء شديد، وأثناء ذلك وقع حريق هائل التهم أكثر البنايات الجديدة فكانت هذه الضربة التي قضت على المدينة وعلى مدرسة الحقوق[٣] نهائياً[٤].

وخفت أهمية بيروت بعد أن تعرضت للمحن والزلازل إلى أن فتحها المسلمون.

= مدينة صيدا في العصر الإسلامي، ص ٤٢، جامعة بيروت العربية، بيروت ١٩٧٠م - وانظر سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٧.
(١) د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٦٧ - وانظر جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٧.
(٢) الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٢ - وانظر د. عبد العزيز سالم دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، ص ٤٢.
(٣) إن موقع مدرسة الحقوق في باطن بيروت تحت درج خان البيض تقريباً، جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٨ و ١٩.
(٤) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٨٣ - وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٦٧.

الفصل الأول

بيروت في العصر الإسلامي

- واقع الشام قبيل الفتح
- فتح بلاد الشام
- فتح بيروت والساحل الشامي
- اهتمام المسلمين ببيروت
- بيروت في أوائل العصر الإسلامي
- الاحتلال الصليبي الأول لبيروت
- بيروت تحت راية صلاح الدين
- صلاح الدين يفتح بيروت
- الاحتلال الصليبي الثاني لبيروت
- بيروت في عهد المماليك
- بعض غارات الفرنج على بيروت أيام المماليك
- اهتمام المماليك بتحصين بيروت
- ازدياد المسلمين في أيام المماليك والتمسك بمذهب أهل السنة
- انتقال الحكم من المماليك إلى العثمانيين
- بيروت في ظل الحكم العثماني

واقع الشام قبيل الفتح :

بعد وفاة النبي (ﷺ) باشر خلفاؤه سياسة الفتح والجهاد في سبيل نشر الدين الحنيف، وكانت بلاد الشام ضمن الفتوحات الإسلامية والتوسع خارج الجزيرة العربية.

ومما ساعد في نصر المسلمين على البيزنطيين، الفساد والفوضى المنتشرة في جسم الدولة البيزنطية.

علماً أن الجيوش البيزنطية، كانت في غالبها من المرتزقة لا تتقيد بنظام، وقوادهم لا خير فيهم وعمالهم لا هم لهم إلا الاهتمام بشؤونهم الخاصة وإرهاق كاهل الشعب بالضرائب، وكانت المنازعات الدينية على أشدها وكادت تمزق وحدة المملكة كما كان يضطهد كل من كان على غير عقيدة الملك[1]. ولما وصل المسلمون إلى حدود الشام كان الشعب قد سئم هذه الحال وأصبح يتمنى الخلاص من الحكم البيزنطي لذلك قابلوا المسلمون كمحررين وليس كفاتحين. ولسوء حظ الرومان أن ملكهم هرقل لم

(١) د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٧٠ - وانظر إبراهيم العدوي، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، ص ٢ و٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة د.ت.

يكترث ولم يأبه للانتصارات الإسلامية، وحسب أن المسلمين لا يجرؤون على مقاتلة من انتصر على الفرس[١].

فتح بلاد الشام:

رأى الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أن الفرصة سانحة لغزو بلاد الشام فسيّر عليها جيشاً مؤلفاً من أربعين ألف مقاتل وأقر على قسم منه أبا عبيدة بن الجراح[٢]، وعلى القسم الآخر عمرو بن العاص واستدعى خالد بن الوليد من العراق وأقره على الجيشين، بينما جيش الروم كان يقارب المئتي ألف مقاتل والتقى الفريقان في اليرموك ودارت هناك معركة عنيفة دامت أياماً انتهت بانتصار المسلمين وذلك سنة ١٤ هـ/ ٢٠ آب ٦٣٦ م[٣]. إثر ذلك سقطت مدينة دمشق في أيدي المسلمين.

فتح بيروت والساحل الشامي:

أما المنطقة الساحلية فكانت موضع اهتمام البيزنطيين ورعايتهم، إذ «أقاموا بمدنها التحصينات لصد الهجمات عنها وخصصوا الحاميات الكبيرة لشد أزرها...». وترجع العناية بهذه المدن إلى أنها فقط قريبة من أماكن يمكن اجتيازها إلى داخل البلاد عبر ممرات طبيعية هامة كممر وادي نهر الكلب[٤].

---

(١) د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ١٧٠ ـ وانظر إبراهيم العدوي، الأساطيل العربية، ص ٢ و ٣.

(٢) ذكر أبو محنف أن أبا بكر قال للأمراء: «إن اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح... وإلا فيزيد بن أبي سفيان وذكر أن عمرو بن العاص إنما كان مدداً للمسلمين...» البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٨، جـ ١، نقحه ووضع فهارسه د. صلاح الدين المنجد، طبع لجنة البيان العربي، د.ت.

(٣) د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ١٧١.

(٤) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٤٨، طبع مكتبة الأنجلو ـ المصرية، القاهرة، د.ت.

وعندما استخلف أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) يزيد بن أبي سفيان على دمشق أرسله لفتح مدن الساحل، وقد لبّى يزيد الدعوة وسار بجيوشه إلى سواحل الشام وعلى رأسها أخوه معاوية الذي اهتم بهذه المنطقة وأدرك أنها مفتاح الشام الذي يجب انتزاعه من يد البيزنطيين لضمان بقاء المسلمين في ربوع هذه الأرض[١].

وذكر النويري بإسناده إلى أبي الحسن بن الأثير في حوادث سنة ثلاث عشرة هـ ٦٣٥ م فقال: «لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق سار يزيد إلى صيدا وبيروت وجبيل وعرقة وعلى مقدمة جيشه أخوه معاويه ففتحها فتحاً يسيراً وخلّى كثيراً من أهلها. وتولّى عرقة معاوية بنفسه في ولايته. ثم غلب على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر (رضي الله عنه) وأول خلافة عثمان (رضي الله عنه) ففتحها معاوية ثانية ثم رممها وشحنها بالمقاتلة»[٢].

وبعد فتح بيروت والساحل الشامي كتب معاوية بن أبي سفيان إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يصف له حال السواحل بعد موت أخيه يزيد: «عن سعيد بن عبد العزيز قال: أدركت الناس وهم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل، فكتب إليه في مرمة حصونها، وترتيب المقاتلة فيها، وإقامة الحرس على مناظرها، واتخاذ المواقيد لها»[٣].

---

(١) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٤٩.

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٤، علق عليه الأب لويس شيخو اليسوعي، عن نسخة باريس، ط ثانية مصححة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٢٧م، نقلاً عن ابن الأثير ـ وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠، نقحه د. صلاح الدين المنجد ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٧١ ـ وانظر طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ٦٢ و ٦٣ ـ وانظر د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، ص ٥٥، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٠ م.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، جـ ١، ص ١٥٢.

«وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر ما يحتاج بها إليه من المسلمين، فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سرّبوا إليها الأمداد وإعطائهم القطائع»[1].

فنرى أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أولى الساحل الشامي باهتمامه وأمر أن تشحن المدن الساحلية بالجند والعتاد وتحصينها وجلب الحاميات لها من أجل الدفاع عنها، ولهذه الغاية أمر بأن تمنح القطائع والعطايا من المال لإغراء الجند بالسكن في الساحل وذلك من أجل صد هجمات الروم إذا ما تعرض الساحل للخطر.

وأصبحت منطقة الساحل بمثابة ثغور لجهاد المسلمين. وأصبحت الثغور تشمل الساحل الشامي من أنطاكية إلى فلسطين[2].

ثم استمر تحصين الثغور في أيام الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقد كتب الخليفة عثمان إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل والاهتمام بها وتسريب الإمداد إليها، وإقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل[3].

وجرى منح القطائع من أجل ربط المسلمين بالسواحل، وقد تعمم الإقطاع في عهد عثمان من أجل تدعيم شأن المحاربين المرابطين في الثغور الخطرة، وأقبل الجند من كل مكان.

وآتت سياسة معاوية ثمارها في تحصين المدن الساحلية، حينما حاول البيزنطيون الإغارة عليها بشكل عنيف في أواخر عهد الخليفة عمر وأوائل خلافة عثمان، إذ تمكنت المدن الإسلامية من دفع هذا الخطر المفاجىء، ثم

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢، جـ ١ ـ وانظر د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٥٠ ـ وانظر أيضاً فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ص ٣٣٧، جـ ١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٩٤، جـ ١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢، جـ ١، ـ وانظر فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٣٧، جـ ١.

سار معاوية إليها وأصلح ما خرب منها ووضع فيها جنداً جديداً أغراه بالإقامة بها بمنحه الإقطاعات.

ثم أعد جيوشاً دائمة في المدن الساحلية للدفاع عنها إلى جانب القوات التي تخرج للغزو والإغارة، «ودأب على أخذ أرض من يتخلف عن الغزو وإعطائها للجند المقيم على حراسة السواحل أثناء الخروج للإغارة»[1].

ونتج عن هذه السياسة الحكيمة أن ازداد العمران بالسواحل وانتقل الناس إليها من كل ناحية مما شجعهم للسكن فيها.

وكان الهدف من هذه السياسة:

١ ـ تعمير الساحل وجلب السكان للسكن به وحمايته من هجمات الأعداء.

٢ ـ إحلال العربية مكان اللغة التي كانت قائمة في المنطقة التي اعتمدت الإسلام ديناً.

اهتمام المسلمين ببيروت:

أما بيروت فحين دخلها المسلمون «كانت بيوتها القليلة المتواضعة متناثرة بين بقايا الأنقاض التي خلفتها الزلازل، ووصفت بيروت في تلك الفترة بأنها مدينة صغيرة المساحة، محاطة بسور وواقعة في وسط البساتين والغابات والكروم التي تضفي عليها منظراً رائع الجمال»[2].

وكان سكانها في تلك الفترة مزيجاً من أبناء البلاد المحليين وعائلات جند الروم الذين جاؤوا للأغراض العسكرية والحياتية[3].

---

(١) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٥.

(٢) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٥، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦ م.

(٣) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٣.

ثم جاء معاوية «وأسكن ببيروت بعد فتحها قوماً جلبهم من فارس لحراسة السواحل من غزوات المردة»[1].

ثم تكاثر فيها المسلمون مع الأيام والروم تقل تدريجاً حتى صار أكثر أهلها مسلمين[2].

بيروت في أوائل العصر الإسلامي:

بعد فتح بيروت واهتمام المسلمين بها كسائر مدن الساحل الشامي أصبح يعلو شأنها إلى أن سقطت في يد الدولة البيزنطية مع بعض المدن الساحلية الأخرى وذلك عام ٣٦٤ هـ/ ٩٧٥ م في أوائل العهد الفاطمي، لفترة قصيرة، ثم استردها المسلمون وكان هذا الأمر دافعاً لزيادة تحصين المدينة كسائر مدن الساحل الباقية[3].

الاحتلال الصليبي الأول لبيروت:

في أواخر القرن الحادي عشر سنة ٤٨٨ هـ ١٠٩٥ م، عقد النصارى الأوروبيون مجمعاً دينياً، في مدينة «كليرمون فيرّان» بدعوة من الباب أوربانوس الثاني، كانت الغاية منه توجيه الناس إلى الادعاءات التي تزعم عما تعانيه الأرض المقدسة في فلسطين والحجاج والنصارى من الإهانات والمتاعب من قبل المسلمين مما حضّ المجتمعين على تجميع الجيوش والزحف إلى

(١) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٧ ـ والمردة قوم من نصارى ملوك العجم استقدمهم ملوك القسطنطينية للقيام بغزوات على مناطق المسلمين الساحلية، وأصل تسميتهم بالمردة من كلمة فارسية (مرد) معناها الشجاع.

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٤ و ١٥ ـ وانظر طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٣ و ١٤.

(٣) د. صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص ٤.

الشرق لاستخلاص الديار المقدسة من المسلمين عن طريق حرب دينية صليبية، ثم سارت جحافل الغزاة، رافعة شعار الصليب وقامت باحتلال سواحل الشام وبيت المقدس[1].

في هذا الوقت كانت بعض المدن الساحلية لا تزال في يد الفاطميين كعسقلان وعكا وصور وصيدا وبيروت، مما سبب المضايقات للمحتلين الصليبيين عبر بعض المناوشات الجهادية التي كان يقوم بها المسلمون ضد الإفرنج[2]. وفي شتاء سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢ م وصلت مراكب للفرنج الحجاج تقارب الأربعين مركباً، دفعتها الأمواج العاتية إلى الساحل، فحطم أكثرها ووقع الفرنج الناجون أسرى في أيدي المسلمين[3]، مما دفع «بلدوين» الفرنجي ملك بيت المقدس إلى توجبه الجند لمحاربة المدن الساحلية ففتحها ولكنه لم يقو على بيروت ٤٩٨ هـ/١١٠٥ م، ثم عاد إليها في سنة ٥٠٣ هـ/ ١١١٠ م وحاصرها مع عدد من القوات الصليبية[4].

وقد اشترك معه من تلك القوات جوسلين صاحب تل باشر، وساعده في حصارها من جهة البحر قدوم بعض السفن الجنويّة، وحاصروا المدينة من جهة البحر، ومما سهل في إحكام الحصار وجود قاعدة بحرية صليبية في طرابلس[5].

هذا، وقد استغرق حصار الصليبيين لبيروت حوالي شهرين ونصف، أو

(١) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة، في بيروت، ص ٦٩.

(٢) د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٤.

(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٠ ـ وانظر د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ٩٤ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢٠٧.

(٥) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٠ ـ وانظر د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ٩٨. وتل باشر تعد من أعمال سوريا اليوم.

نحو من ثلاثة أشهر وذلك من أواخر شباط ٥٠٣ هـ/ ١١١٠ م وحتى ١٣ أيار من نفس العام[١].

وتمكنت بيروت من الصمود مدة الحصار بفضل السفن المصرية التي كانت تأتيها بالمؤن والذخائر على أن السفن الجنويّة لم تلبث أن ضيقت الحصار على بيروت ومكنت بلدوين من الإسراع في المعارك براً وبحراً[٢].

وهكذا نرى أن بيروت استطاعت أن تقف مدة في وجه الحصار بفضل المدد الذي كان يأتيها من مصر شأنها كسائر المدن الساحلية الشامية التي كانت تتعرض للحصار والخطر من قبل الأعداء.

هذا، وقد ذكر صالح بن يحيى حصار بيروت بقوله: «إن بيروت لم تزل في أيدي المسلمين من الفتوح الأول تنتقل من دولة إلى دولة والمسلمون بها على أحسن حال وأسرّ بال حتى نزل بها بلدوين الفرنجي الذي ملك القدس وكثيراً من مدن الساحل في مجموعة حشوده وحاصرها حصاراً شديداً حتى فتحها عنوة بالسيف في يوم الجمعة سنة ٥٠٣ هـ/ ١١١٠ م، واستولى عليها قتلاً وأسراً ونهباً»[٣].

فهذا يدل على ما كانت عليه المدينة من الدعة والسلم وما كان عليه الصليبيون من وحشية وقسوة.

وروى ابن القلانسي وغيره من المؤرخين «إن بلدوين الفرنجي حاصر مدينة بيروت حصاراً شديداً حتى فتحها عنوة في يوم الجمعة في ٢١ شوال

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٥٢٥، جـ ١.

(٢) الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، ص ٧٢١، المشرق العدد العاشر ١٩٣٣ م.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٧.

٥٠٣ هـ/ ١١١٠ م، وكان بعض الأمراء التنوخيين يحكمونها[١] تحت ولاية ظهر الدين طغتكين السلجوقي صاحب دمشق، فقتلوا أميرها ونهبوا المدينة وأسروا أهلها[٢]. وبلغ عدد القتلى في فتح بيروت عشرين ألفاً وكان من بين القتلى مقدم الأسطول المصري الذي كان بداخل مياه بيروت مع عدد كبير من المسلمين»[٣].

ويبدو أن مقدم الأسطول المصري كان قد أتى لإمداد المدينة المحاصرة بالمؤن وحاول الدفاع عن المدينة ولكنه سقط في المعارك الضارية التي أسفرت عن سقوطها في يد الصليبيين.

ولم «يكتف بلدوين[٤] بما اجترمه في بيروت بل أخرج الأسرى جميعاً خارج المدينة، وضرب أعناقهم في اليوم التالي من سقوط بيروت»[٥]. ولعل طول الحصار يثبت ما كانت عليه المدينة من الحصانة والمناعة، وهذا يعود إلى اهتمام المسلمين في تحصين مدينتهم واهتمامهم بها وبسورها.

أما العامل الأهم الذي ساعد في حصار بيروت فهو وجود غابة الصنوبر،

---

(١) يذكر صالح بن يحيى، في تاريخ بيروت، ص ١٨، أنه عندما صار الأمر لبني العباس عينوا الأمراء الأرسلانيين في حكم الساحل، وكانت بيروت يومئذ بلدة صغيرة لم تنهض مما دهمها من النكبات كالزلازل والحروب. وفي سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م حجّ الخليفة أبو جعفر المنصور ثم قدم إلى دمشق فأقطع المنذر بن مالك وأخاه أرسلان إقطاعات في الغرب وأمرهما بالسكن في جبال بيروت ـ وانظر أيضاً سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٨.

(٢) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٤٣، ط ١، مطابع دار الريحاني، بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م.

(٣) د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٩ ـ وانظر طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٧٠.

(٤) توفي بلدوين في بيروت، وحمل إلى القدس ودفن في مقبرة الملوك ـ انظر سليمان جاويش التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٨.

(٥) د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٩.

إذ وفرت الأخشاب لتجهيز آلات الحرب المستعملة في الحصار كالأبراج المتحركة والمنجنيقات والسلالم[1].

هذا، وعندما استقر الصليبيون في بيروت أزالوا من المدينة جميع المعالم الإسلامية، حتى المقامات والأضرحة التي دفن فيها زهاد المسلمين وصلحاؤهم، ولم يتركوا فيها إلا مقام الإمام الأوزاعي استجابة لشفاعة من أبناء دينهم نصارى جبل لبنان، الذين ذكروا للإمام الأوزاعي شفاعته بأسلافهم عندما نقضوا عهد الأمانة في أيام العباسيين[2].

«وانحسر عن هذه المدينة سكانها المسلمون ولم يبق بها غير أفراد قلائل، قصرت بهم ظروف حياتهم وإمكاناتهم المادية دون النزوح عن البلد فلم يجدوا بداً من البقاء في مدينتهم تحت رقبة عدوهم الذي حرمهم من الاحتفاظ بمساجدهم التي أعمل فيها معاوله تهديماً وتدميراً»[3].

وكان الاحتلال الصليبي يستهدف إزالة التراث الإسلامي وإزالة معالمه، وأصاب بيروت ما أصاب غيرها من المناطق الساحلية الإسلامية من الخراب والدمار. وحاول الصليبيون نزع الصبغة الإسلامية عن الساحل الشامي ووضع معالم صليبية على طول الساحل وفي بيروت نرى ذلك عندما أمر بلدوين فور احتلاله لبيروت ببناء كنيسة كبيرة شيدها على اسم القديس يوحنا[4].

---

(١) الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، ص ٧٢١، المشرق، العدد العاشر، ١٩٣٣م - وانظر د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٥ ـ وانظر شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٤٤.

(٣) الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، ص ٧٢٥، المشرق، العدد العاشر، ١٩٣٣م ـ وانظر طه الولي تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٤.

(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٠، ويذكر صالح بن يحيى أنه كان لبيروت أساقفة من الفرنج يخضعون لرؤساء أساقفة صور. ويذكر د. صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص ١٤ أنه في عام ١١١٢ م سمّي أول أسقف كاثوليكي لمدينة بيروت حيث أنها كانت في =

ثم حكم بيروت بعد بلدوين من الصليبيين الكونت فولك دي غين ثم أصبحت بعد ذلك إقطاعاً لعائلة إيبلين[1].

هذا، وفي سنة ٥٧٢ هـ/١١٧٦ م جرت بين الإفرنج وسلطان دمشق معركة عظيمة أسر فيها غوتير صاحب بيروت وأخواه، وبقوا في قبضة المسلمين حتى فداهم ملك القدس ٥٧٤ هـ/ ١١٧٨ م مشترطاً أن تكون بيروت من أملاكه الخاصة[2].

وما بين سنة ٥٧٣ هـ/١١٧٧ م و ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م كانت غارات المسلمين تنزل بالمدينة بين الحين والآخر، حتى فتحها السلطان صلاح الدين[3].

السابق ملحقة بأسقفية أنطاكية وأقيمت فيها كنيسة القديس يوحنا المعمدان، والتي أصبحت بعد ذلك الجامع العمري الكبير.

(١) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٧٠ ـ ويذكر د. أحمد مختار العبادي في كتابه قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص ٢٧٢، أن أسرة إيبلين الحاكمة في بيروت هي من الأسر العريقة أصلاً في جزيرة قبرص. وقد حكمت بيروت وجبالها الملكة إزابيلا بنت جون إيبلين الذي مات سنة ١٢٦٤ م، وذلك في عهد السلطان بيبرس، ومما يذكر أن هذه الملكة عقدت هدنة مع السلطان بيبرس سنة ٦٦٧ هـ/١٢٦٨ م ومما جاء في الهدنة: «استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، وبين الملكة الجليلة المصونة الفاخرة... مالكة بيروت، وجميع جبالها وبلادها التحتية مدة عشر سنين متوالية، أولها يوم الخميس سادس رمضان سنة سبع وستين وستمائة، على بيروت وأعمالها المضافة إليها،...» لمزيد من المعلومات يراجع د. أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ص ٢٧٢ و ٢٧٣، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩ م ـ وانظر أيضاً د. أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص ٢٩٦ ـ ٣٠٧.

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٠.

(٣) الكونت دومنيل دوبو يسون، استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة، ص ٧٥٤، المشرق، العدد ٩، أيلول، ١٩٢٢ م.

بيروت تحت راية صلاح الدين :

حاول المسلمون مجاهدة الصليبيين ولا سيما في عهد ولاية آل زنكي إذ بدأ الجهاد عماد الدين زنكي ثم ابنه نور الدين ومن بعده صلاح الدين الأيوبي .

وفي عهد صلاح الدين كان الصليبيون متفوقين بشؤون البحر، لا سيما بإمداد العدد والأقوات لقواتهم ولم تستطع الأساطيل الإسلامية المقاومة طويلاً لاستمرار التغلب عليهم وفي ذلك يقول ابن خلدون : «ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهده باسترجاع ثغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر، تتابعت أساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه، فأمدوهم بالعدد والأقوات، ولم تقاومهم أساطيل الإسكندرية[1] لاستمرار التغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر، وتعدد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هناك»[2] .

ومما يثبت ما قاله ابن خلدون أنه عندما تعرض الساحل السوري للحصار من قبل الصليبيين حاول الأسطول الفاطمي فك الحصار عن مدينة طرابلس المحاصرة. إلا أن «الأسطول الفاطمي قدم من مصر بعد فوات الأوان مشحوناً بالرجال والغلال ما يكفي أهل طرابلس لمقاومة حصار سنة، وقد وصل هذا الأسطول إلى صور بعد سقوط طرابلس في أيدي الصليبيين بنحو ثمانية أيام، فوزعت الغلال والذخائر في جهات صور وصيدا وبيروت»[3] . إذن نرى أن توزيع الغلال على بقية المدن الساحلية هو سواء بينها فعلى طول

---

(١) وهي أهم أساطيل المسلمين في ذلك الحين .

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٣١، جـ ٢ .

(٣) د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ٩٧ .

التاريخ الإسلامي نرى أن المدن الساحلية تتعرض لنفس الأزمات والكوارث ونفس الانفراجات .

أما بالنسبة للأسطول الفاطمي عهدئذ فإنه لم يقو على مقاومة الأسطول الصليبي لتتابع المدد والأقوات إليه[1] .

غير أن السلطان المجاهد صلاح الدين لم يعبأ بقوة الصليبيين بعد أن نذر نفسه للجهاد في سبيل الله ودحر أعداء الله، وقام باسترجاع الثغور وضمها إلى حظيرة الإسلام، وأيده المولى عز وجل بنصر من عنده. ونرى ذلك عندما توفي السلطان نورالدين، «وملك صلاح الدين بلاد الشام وعظم شأنه بها وقد نصره الله على جموع الفرنج في حطين في ٢٥ ربيع الأول ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م. ثم تابع فتوحه حتى وصل إلى ظاهر بيروت نهار الأربعاء في ٢١ جمادى الأول سنة ٥٨٣هـ/(آب ١١٨٧ م)»[2] .

صلاح الدين يفتح بيروت :

في هذه الأثناء كانت بيروت ترزح تحت عبء الصليبيين مدة ثمانين عاماً من سنة ٥٠٣ هـ إلى ٥٨٣هـ/(١١١٠ م - ١١٨٧ م) .

وحاول السلطان المجاهد صلاح الدين فتحها عام ٥٧٨ هـ/١١٨٢ م بر وبحراً، «ولما بلغه خبر قدوم الإفرنج إليها قطع أشجارها ورحل عنها. ثم في سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م وعندما انكسرت شوكة الإفرنج عند طبرية رجع إليها السلطان المجاهد وأحاط عسكره بسائر جهاتها ونصبت عليها المجانيق»[3] . وحاصرها ثمانية أيام ثم تسلمها بالأمان[4] .

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٧ .

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٢ .

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٢ - وانظر د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ١١٨ .

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٥٢٥، جـ ١ - وانظر الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان

وكان من عادة السلطان إذا سأله الإفرنج الأمان يؤمنهم، فتوجه فرنج بيروت بأمانه إلى صور، وتسلم بيروت، ونصب السنجق السلطاني على قلعتها، ثم سار السلطان وفتح سائر مدن الساحل باستثناء صور وطرابلس والمرقب وأنطاكية[1].

وقد وصف فتح بيروت من قبل المؤرخين فقال ابن الأثير: «وكانت بيروت من أحصن مدن الساحل وأنزهها وأطيبها. فلما فتح صلاح الدين صيدا سار عنها في يوم نحو بيروت ووصل إليها في الغدو فرأى أهلها قد صعدوا إلى سورها وأظهروا القوة والعدد وقاتلوا على سورها عدة أيام قتالاً شديداً واغتروا بحصانة البلد، ثم أرسلوا يطلبون الأمان فأمنهم السلطان على أنفسهم وأموالهم وتسلمها»[2]. من هنا نرى أن الاستعدادات والاستحكامات الكبيرة الضخمة من قبل قوات صلاح الدين قد أفزعت القوات المحاصرة داخل المدينة، والحالة النفسية السيئة التي كانت تختلج في صدور الإفرنج إزاء أخبار الانتصارات الساحقة التي حققتها القوات الإسلامية، مما جعل الإفرنج يطلبون تسليم المدينة بالأمان بعد حصار دام ثمانية أيام.

وعند دخول قوات صلاح الدين لبيروت وجدوا من كان باقياً فيها من المسلمين بحالة يرثى لها من المهانة والوهن، وليس عندهم مسجد يصلون فيه مما حمله على مصادرة الكاتدرائية التي بناها الصليبيون من الفرنج التي

في جبل لبنان، ص ١٢، جـ ١ - وانظر سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٨ - وانظر أيضاً د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢١٨ - وانظر د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ١١٨ .

(١) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٢ - وانظر طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ٧٣ - وانظر أيضاً د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢١٨ .

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٣، نقلاً عن ابن الأثير.

تحمل اسم القديس مار يوحنا المعمدان لا سيما أن بيروت آنذاك خلت من النصارى القاطنين فيها[1].

وقد أدى الانتصار الساحق الذي حققه صلاح الدين على الصليبيين إلى تغيير الوضع الديني في هذه المدينة بين النصارى أنفسهم الذين وجدوا في مروءة هذا السلطان ما جعلهم يتخذون الإسلام ديناً وينضمون إلى صفوف الجيوش الإسلامية، علماً أن السلطان صلاح الدين بادر إلى اتخاذ خطة يكون هدفها المحافظة على المكاسب العسكرية، وذلك بإنزال عدد كبير من الأكراد المجندين في صفوف الجيش إلى المناطق التي سيطر عليها ومنها بيروت.. وما يزال بعض هؤلاء الأكراد موجودين في عدد من المناطق لا سيما في الكورة ويعرفون الآن بالأكراد الأيوبية[2].

وفي أواخر أيام السلطان صلاح الدين وصلت أنباء عن وصول حملة صليبية جديدة مما دفع السلطان إلى إصدار الأوامر بهدم سور طبرية ويافا وأرسوف وقيسارية وصيدا وجبيل حتى لا يتخذها الصليبيون حصوناً في محاربة المسلمين ونقل أهالي هذه المدن إلى بيروت ونقل إليها الميرة، وشحنها بالرجال والسلاح وجعلها مركزاً لتلك المنطقة[3].

وقد زار السلطان صلاح الدين بيروت ثلاث مرات. كانت الأولى عندما

---

(١) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٣٧ - وانظر د. صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص ٤ وقد حولت الكنيسة إلى جامع وهو ما يعرف بالجامع العمري الكبير.

(٢) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٥ و ١٦، وذكر طه الولي أن هؤلاء الأكراد يلقبون أنفسهم بالأمراء الأيوبيين، وما هم في الحقيقة من عائلة صلاح الدين ولكنهم من جنوده وينسبون إليه تمييزاً لهم عن سواهم من الجنود التابعين لغيره من الملوك والسلاطين في العهود المختلفة.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ **بيروت**، ص ٢٠ - وانظر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٢٢. والميرة: ضريبة الطعام الذي يدخره الإنسان كالقمح...

أغار على المدينة، والثانية لما فتحها، والثالثة زارها عندما استرجع القدس واستخلصها من الإفرنج ووصل إلى بيروت ودامت زيارته لها في هذه المرة عدة أيام وقد حضر إلى المدينة في تلك الأثناء الأمير «بيمند» الإفرنجي صاحب طرابلس وإنطاكية. ثم توجه السلطان صلاح الدين إلى دمشق[١]، وبها توفي في يوم الأربعاء في ٢٧ صفر من سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣ م[٢]. علماً أنه قبل وفاته بعام واحد وفي سنة ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م عقدت معاهدة صلح بين الصليبيين والمسلمين كان الهدف منها أن تكون المدن الساحلية حتى يافا في الجنوب للصليبيين، بينما تبقى مدن صيدا وبيروت وجبيل في يد المسلمين مع إتاحة الحرية للمسيحيين بالحج وتدمير عسقلان[٣].

الاحتلال الصليبي الثاني:

هذا، وبعد وفاة صلاح الدين قسمت البلاد بين أولاده، وجددت الهدنة بين المسلمين والإفرنج، وكان يتولى مدينة بيروت الأمير عز الدين أسامة بن منقذ، فكان يرسل الشواني (المراكب الحربية البحرية) في البحر، ويقطع الطريق على الإفرنج[٤]. عندها اشتكى الإفرنج أكثر من مرة إلى كل من الملك العادل بدمشق والعزيز عثمان بالقاهرة، ولما لم يستطيعا منع أسامة من عملياته البحرية، اضطروا إلى اللجوء إلى ملوك أوروبا الذين أنجدوهم بإرسال

---

(١) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٤ ـ وانظر د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص ١٢٤.

(٢) د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٤ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢٢٢ ـ وانظر طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٣٧.

(٤) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٣٨ وص ٧٣ ـ وانظر د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٢٥.

الإمدادات وكان معظمها من الألمان، ثم تجمع الفرنج في عكا وبدؤوا بالزحف شمالاً نحو بيروت[١].

وعندما علم الملك العادل بهذه التحركات عزم على تخريب المواقع الساحلية الإسلامية التي يخاف ألا يتمكن من إحكام الدفاع عنها، على ألا يتم تخريبها إلا بعد إجلاء الأهالي عنها، إلى مناطق داخلية مأمونة[٢]، هذا وقد سار العسكر إلى بيروت وهدموا سور المدينة في ٧ ذي الحجة سنة ٥٩٣ هـ/ت١ ١١٩٧ م وشرعوا في تخريب دورها وتدمير قلعتها على عادة العرب عندما لا يستطيعون أن يحافظوا على حصونهم ويخافون سقوط تلك الحصون في يد الأعداء، عند ذلك عارضهم أسامة بن منقذ والي بيروت، وادعى قدرته على الدفاع عنها، وتعهد بحفظها[٣]. إلا أنه عندما اقترب الإفرنج من بيروت ترك أسامة بن منقذ وجميع من معه من المسلمين المدينة ظناً منهم أن الإفرنج استولوا على بيروت، تاركين المدينة غنيمة باردة للإفرنج الذين دخلوها دون قتال في ١٠ ذي الحجة سنة ٥٩٣ هـ/ت١ ١١٩٧ م[٤].

هذا، وجاء في «تواريخ الإفرنج القديمة أن بعض الأسرى من الإفرنج عاينوا أسطول النصارى مجتازاً أمام بيروت فتمكنوا من قتل الحرس وفتحوا أبواب الحصن للفرنج فدخلوه، وفي اليوم التالي جاء عسكر البر من جهة

---

(١) د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٢٥ ـ وانظر طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٣٨.

(٢) د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٢٥ ـ وانظر طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٣٨.

(٣) الكونت دومنيل دوبويسون، استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة، ص ٧٥٤، المشرق، العدد ٩، أيلول، ١٩٢٢ ـ وانظر. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٢٦ ـ وانظر طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٣٨، والقلعة تقع في منطقة شمالي بيروت على المرفأ فوق محلة الخارجة.

(٤) الكونت دومنيل دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٤ ـ وانظر د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٢٦.

صيداً ودخلوا المدينة وأطلقوا سبيل أربعة عشر ألفاً من النصارى كانوا فيها[1]».

وبدخول الإفرنج المدينة مرة ثانية عاد الجامع كنيسة كما كان في فترة الاحتلال الصليبي الأول لبيروت[2] ودام استيلاء الإفرنج على المدينة في هذه الآونة مدة خمس وتسعين سنة وأربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً أي من سنة ٥٩٣ هـ وحتى سنة ٦٩٠ هـ/(١١٩٧ م - ١٢٩١ م)[3].

ويبدو أن وطأة الاحتلال الصليبي في هذه المرة كانت أخف على بيروت من الفترة التي سبقت العهد الأيوبي، فبقي فيها كثير من أهلها المسلمين الذين بقي لهم يومها بعض المساجد التي لم يهدمها الغزاة، مثلما فعلوا عندما دخلوها أول مرة[4].

وعندما استولى الصليبيون على بيروت في هذه الآونة، قاموا بتدعيم دفاعات المدينة، حتى استعادت نشاطها من جديد[5].

هذا، وفي سنة ٦٣٩ هـ/١٢٤١ م قام السلطان الصالح إسماعيل بعقد صلح مع الإفرنج أقرّ لهم فيه حقهم في امتلاك بيروت وصيدا والشقيف والجليل و. . عسقلان[6].

---

(١) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٥.

(٢) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٣٨ - وانظر د. صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص ٤.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٨.

(٤) طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ٧٧.

(٥) د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٤.

(٦) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٦٩ - وانظر د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ١٣٣.

بيروت في عهد المماليك[1]:

وفي عهد سلاطين المماليك البحرية[2]، أعطى السلطان بيبرس البندقداري حكام بيروت الصليبيين وثيقة سلام في عام ٦٦٧ هـ/١٢٦٩ م، ثم وقّع معهم السلطان قلاوون هدنة عسكرية في عام ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م، ثم اشتعلت الحروب في المنطقة وقام باسترجاعها في هذه الآونة من يد الإفرنج الصليبيين الأمير سنجر الشجاعي[3] في ٢٢ رجب ٦٩٠ هـ/٢٢ تموز ١٢٩١ م في عهد السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون[4].

هذا، وعند وصول الأمير علم الدين سنجر الشجاعي إلى بيروت استقبله واليها وخيالته استقبالاً حافلاً ونزل في القلعة وأمرهم أن ينقلوا الأولاد والحريم إلى القلعة ففعلوا وظنوا ذلك شفقة عليهم، ولما وصلوا إلى

---

(١) يذكر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢٤٣ أن الملك استقر في يد المماليك على إثر أنقاض الدولة الأيوبية. وإنما دعوا بالمماليك لأنهم كانوا في الأصل رقيقاً من الجركس والأتراك. وباعهم النخاسون في مصر فدخلوا في خدمة سلاطينها. ثم نما عددهم وزاد نفوذهم، وأخذوا يستبدون بالسلاطين حتى صار الأمر إليهم، وتولوا السلطة على مصر والشام وهؤلاء المماليك دولتان بحرية وبرجية.

(٢) المماليك البحرية: قيل لهم كذلك لأنهم كانوا يأمرون أولاً على أرياف مصر البحرية وهم ٢٥ سلطاناً حكموا ١٣٢ سنة. وكان أول ملوكهم المعز أيبك التركماني وآخرهم الملك المنصور حاجي. وذلك على ما ذكره د. يوسف مزهر، المرجع السابق ص ٢٤٣.

(٣) سنجر الشجاعي، وهو من أمراء المماليك، انتدب على دمشق ثم عزل، ويذكر صالح بن يحيى أنه «وقعت وحشة بينه وبين الأمير زين الدين كتبغا المنصوري نائب السلطنة. فأمر السلطان باعتقاله، وقتل في سنة ٦٩٣ هـ/١٣٩٤ م»، صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٧.

(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٧ - وانظر طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٢، جـ ١ - وانظر الأب لامنس اليسوعي، الحياة في عهد الصليبيين، ص ٧٢٢، العدد العاشر، ١٩٣٣ - وانظر طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ١٦ - وانظر الكونت دومنيل دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٥ - وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢٣٣ - وانظر د. صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص ٥.

القلعة ونزلوا بها أمر رجاله بالقبض عليهم وقيدهم وألقاهم في الخندق في ٩ تموز ١٢٩١ م/ ٦٩٠ هـ[1].

ثم جهز سنجر الشجاعي أهل بيروت إلى دمشق ومنها أنفذهم إلى مصر بأجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجائز والنساء ولما وصلوا إلى مصر أطلقهم السلطان وقال: «أماني باق عليكم» وخيّرهم بين العودة إلى بيروت أو التوجه إلى قبرص[2] فتوجهوا إلى قبرص، وقد رافقهم بعض المرتزقة الذين تعاونوا معهم من نصارى بيروت وجوارها[3]».

وبعد أن تملك سنجر الشجاعي بيروت، أمر بهدم القلعة وكانت حصينة وقوية جداً، وجعل كنيسة مار يوحنا جامعاً، بعد أن أمر بمحو صورتها بالكلس، وعمرت المدينة وعادت تستأنف حياتها من جديد وصارت تدعى ميناء دمشق[4].

وقد قام الأمير سنجر بهدم القلعة حتى لا يفكر الإفرنج الصليبيون بالعودة إلى بيروت فيرونها مهملة وليس لها كثير من الشأن. وبعد أن اطمأن الأمير سنجر أن الصليبيين لن يعودوا إليها أمر بإعمار المدينة ورجعت إلى حالها من النشاط والازدهار.

---

(١) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٨ - والشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٢ - وانظر الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، المشرق، ص ٧٢٢، العدد ١٠، ١٩٣٣م.

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٨ - وانظر طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٢، جـ ١ - وانظر أيضاً طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ٨٠.

(٣) طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ٨٠.

(٤) الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٢، جـ ١، - وانظر سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ص ٦٨، - وانظر الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، ص ٧٢٢، المشرق، العدد ١٠، ١٩٣٣م - وانظر الكونت دومنيل دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٥.

بعض غارات الفرنج على بيروت أيام المماليك:

هذا، «وفي سنة ٦٩٩ هـ/١٢٩٩ م وصل إلى بيروت مراكب كثيرة وبطس[1] للإفرنج مشحونة بالمقاتلة فحاولوا النزول للبر وشنّ الغارة على الساحل لولا ريح شديدة هبت عليهم فحطمت قسماً من مراكبهم وبددت شمل الباقي منها ورجعوا خاسرين[2]. وعادت سفن الإفرنج من الجنويين فنزلوا بيروت وأخذوا الأعلام السلطانية وقتلوا جماعة من المسلمين ثم حضروا أيضاً سنة ٧٨٦ هـ/١٣٨٤ م إلى بيروت فحاربوا أهلها ونزلوا لينهبوها، لكن المسلمين تضافروا على مقاتلتهم فتمكنوا من ردهم على أعقابهم فانهزموا بعد أن غرق منهم جماعة»[3]. وفي سنة ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م قام الإفرنج بغارة بحرية على بيروت بمنطقة السمطية ونهبوا البلد وأحرقوا بعض الأمكنة بالقرب من الميناء ثم رحلوا بعد أن تتبعهم المسلمون وفي ذلك يذكر صالح بن يحيى: «فنزلت الفرنج من الشواني إلى البر في مكان يسمى الصنبطية[4] غربي البلد من الرابعة من النهار. وتملكوا البلد ونهبوا وأحرقوا الدار التي لنا على البحر والسوق القريب من المينا» وتكاثر المسلمون حتى قتلوا منهم جماعة واستشهد من المسلمين ثلاثة أنفار، وأقام الفرنج في بيروت إلى وقت العصر ثم رجعوا إلى مراكبهم وتتبع المسلمون بقيتهم[5].

وفي عهد الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي حاولت سفن مهاجمة بيروت وتم إنقاذ المدينة وتفصيل ذلك أنه بلغ الأمير بيدمر نائب السلطنة في

---

(١) البطس: جمع بطسة، وهي نوع من المراكب العظيمة كانت تستعمل قبل الحروب الصليبية واستعملها المسلمون والأوروبيون... راجع أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٩٢.

(٢) د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢٤٤.

(٣) د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(٤) الصنبطية، أي منطقة السمطية ذاتها وقد تحرف اللفظ مع الأيام.

(٥) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٣٧ - وانظر د. يوسف مزهر، المرجع السابق ص ٢٤٤.

الشام نبأ نزول سفن جنوية في صيدا أثناء قيامهم بغارة بحرية على مدينة صيدا ثم رحيلهم عنها إلى بيروت. فقال: «صيدا ما بقينا نلحقها نروح نلحق بيروت». فسار في جنوده إلى بيروت في الوقت الذي وصلت فيه سفن الجنوية، فأحجم هؤلاء عن النزول، وعادت سفنهم إلى قبرص[1]. فنرى هنا أن المسلمين استطاعوا رد الغارة عن بيروت وطرد فلول الأعداء ومنعهم من الاستيلاء على المدينة.

اهتمام المماليك بتحصين بيروت:

كانت بيروت في العصر المملوكي تابعة لنائب السلطنة في دمشق وكان حاكمها بدرجة أمير طبلخانة، وكانت المدينة تمد السلطنة بالخشب والحديد، وقد أعيد تدعيم دفاعاتها حيث أقيم فيها برج عام ٧٧٤ هـ/١٣٤٣ م، كما أقيم فيها برج آخر في الفترة الأولى من حكم السلطان برقوق (٧٨٤ هـ - ٧٩١ هـ)/(١٣٨٢ م - ١٣٨٩ م) وهو البرج الكبير وقد عمّر على قاعدة من أبراج القلعة الخربة[2].

ولما رأى الإفرنج الاستحكامات التي أقامها المماليك في بيروت وسائر أنحاء الساحل الشامي كفوا عن غزواتهم وبدأوا منذ ذلك الحين بعقد المعاهدات التجارية مع الشرق، لا سيما مع مصر وسواحل الشام[3].

---

(١) د. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٢) د. صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص ٥ - وانظر د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ٢٤٩. وأمير طبلخانة: المسؤول عن حماية القلعة. ومعنى طبلخانة: وهي من كلمة طبل - خانة، أي قرع الطبل في القلعة للإعلام بأن خطراً يداهم الثغر.

(٣) د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ٢٤٩.

ازدياد المسلمين في أيام المماليك والتمسك بمذهب أهل السنة:

وعندما استولى المماليك على بلاد الشام واستعادوها من الصليبيين، كانوا يبالغون في التمسك بمذهب أهل السنة والجماعة فلم يتساهلوا أبداً مع أهل البدع الأخرى لذلك فإنهم بذلوا قصارى جهدهم لتأمين سيادة هذا المذهب والقضاء على المذاهب الباطنية التي كان ما يزال لها في أيامهم أتباع ورواسب في الشام، لا سيما في جبل لبنان وبعض المدن الساحلية كطرابلس وبيروت وصيدا[1].

وقد ازداد المسلمون في بيروت أيام المماليك بمن شاركهم في الإقامة من العناصر الإسلامية غير العربية، أمثال عشائر التركمان والأكراد والجركس، لأن الولاة الذين كانوا نواباً للسلطان المملوكي في إدارة بلاد الشام، لاحظوا أن هذه المدينة بقيت تستهوي إليها مطامع الصليبيين... وقد عمل المماليك على حشد أكبر عدد من المجموعات الإسلامية في قلب بيروت، وكذلك في الأرياف المحيطة بها[2]. وقد اختاروا لهذا الغرض عشائر امتازت بالقوة الحربية. ومنذ ذلك الوقت عرفت بيروت بطابعها الإسلامي بفضل تمازج السكان الأصليين مع أفراد العشائر التي توافدت عليها.

وبانتهاء حكم المماليك دخلت الدولة الإسلامية مرحلة جديدة من تاريخها وهي مرحلة الحكم العثماني.

انتقال الحكم من المماليك إلى العثمانيين:

ضعفت دولة المماليك وعانت من الخمول والركود، وبالمقابل كان يجلس على عرش الآستانة رجل عظيم في السياسة والحرب هو السلطان

---

(١) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٨٠.

(٢) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٨.

سليم الأول. فأراد أن يوحد الزعامة في سائر الممالك الإسلامية وكان على رأس دولة المماليك في مصر والشام السلطان قانصوه الغوري. والتقت قوات السلطان سليم مع قوات المماليك بقيادة سلطانهم قانصوه الغوري في معركة مرج دابق ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م التي أسفرت عن انتصار قوات العثمانيين.

وقد أرسل السلطان سليم إلى أمراء جبل لبنان يدعوهم إليه وقد انقسموا فريقين في معركة مرج دابق، فريق منهم وعلى رأسهم التنوخيون انحازوا إلى المماليك، أما الفريق الآخر بزعامة الأمير فخر الدين المعني فقد انحازوا إلى السلطان سليم وحاربوا في صفوفه وقد أنعم السلطان سليم العثماني على الأمير فخر الدين، بالإمارة على جبل لبنان[١].

وهكذا دخلت بلاد الشام وساحلها ومن ضمنه بيروت تحت ظل الحكم العثماني. وقد حكم العثمانيون هذه البلاد حتى عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨ م.

بيروت في ظل الحكم العثماني:

توالى على بيروت زمن العثمانيين عدد من الولاة والأمراء حكموا باسم الدولة العثمانية، وأول من تولى المدينة محمد بن قرقماس، وقد تولى أيضاً على صيدا والبقاع من قبل السلطان سليم[٢].

ثم تولى أمرها الأمراء التنوخيون، فبنى الأمير ناصر الدين الحسين بن خضر داراً عظيمة على جانب البحر، وبنى أطباقاً فوق الأقبية، وأدار حولها سوراً وتملك الزقاق المعروف بزقاق الخيالة... وبنى الأمير زين الدين عمر بن عيسى قصراً مشهوراً[٣].

---

(١) د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ وانظر شفيق سليمان، بيروت العتيقة، ص ٣٢.

(٢) د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص ١٦٠ وص ١٦٢ ـ وانظر طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ٨٨.

(٣) الشيخ طنوس الشدياق، المرجع السابق، ص ١٣.

ثم تداول أمر بيروت عدد من الولاة حتى كان زمن أمراء آل عساف والأمراء المعنيين والشهابيين الذين استوقفهم موقع بيروت لأهمية مينائها، وفي سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢ م تولاها الأمير منصور عساف حيث بنى فيها سرايا ومسجداً عرف باسمه[١]. وقد اشتهر هذا الجامع بجامع السرايا.

ثم تولاها الأمير فخر الدين المعني، سنة ١٠٠٧هـ/١٥٩٨ م. وقد اهتم هذا الأمير بشؤون بيروت وبنى في باطن المدينة قصره، الشهير وجدد بناء برج الكشاف[٢]. غير أنه لم يهتم بسور المدينة.

ثم تولى الأمير منذر التنوخي أمر بيروت وبنى بها جامعاً عرف باسمه ومشهور بجامع النوفرة[٣].

وفي سنة ١٠٧١ هـ/١٦٦٠ م تولاها محمد باشا الأرناؤوطي بأمر الصدر محمد باشا الكردلي، وفي سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٢ م تولاها محمد باشا والي صيدا[٤].

---

(١) امتدت ولايته من نهر الكلب إلى حماة كما ذكر في مخطوطة كان يحفظها الحاج عبد الرزاق محيي الدين حمادة، بدون اسم المؤلف، تاريخ حوادث بيروت منذ سنة ١٥١٧ م، ص ٢٢، أوراق لبنانية، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٥م ـ وانظر الشيخ طنوس الشدياق، المرجع السابق، ص ١٣ ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) وموقعه في ساحة الشهداء أو ساحة البرج، والساحة منسوبة إليه، وقد هدم البرج سنة ١٨٧٤ م وبني مكانه وبحجارته سوق ملك (التيان وخان الكنفاني)؛ تاريخ حوادث بيروت ١٥١٧م، ص ٢٢، مخطوطة لبنانية، أوراق لبنانية، جـ ١، ك ٢ ١٩٥٥م، وموقع البرج بالضبط في المكان الذي تقوم فيه بناية الباريزيانا وبناية سينما متروبول.

(٣) الشيخ طنوس الشدياق، المرجع السابق، ص ١٣ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٥٤ ويذكر د. حلاق أن الأمير منذر التنوخي دفن شمال باب الجامع إثر مقتله خلال مذبحة عام ١٦٣٣ م. غير أن ضريحه هدم حوالي سنة ١٢٧٧ هـ/١٨٦٠ م كما أنه دفن فيه الأمير ملحم حيدر إلشهابي عام ١١٨٨هـ/١٧٧٤ م. وقد دمرت هذه الأضرحة ولم يعد لها من أثر ـ وانظر أسعد تميم، معالم المسلمين في بيروت، ص ١٤.

(٤) تاريخ حوادث بيروت منذ سنة ١٥١٧م، ص ٢٣، مخطوطة لبنانية، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١، ك ٢ ١٩٥٥م.

«وفي سنة ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م تقررت الإيالة على إسماعيل باشا.
وفي سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م تولاها محمد باشا.
وفي سنة ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م تقررت على خليل بن كيوان.

وفي سنة ١٠٩١هـ/١٦٨٠م تولاها محمد باشا، وسنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م تولى أمرها مصطفى باشا، وسنة ١١٠٩هـ/١٦٩٧م تقررت الإيالة على حسن باشا، وسنة ١١١٠هـ/١٦٩٨م تولاها قبلان باشا وأرسلان باشا، ثم تداولها الأمراء الشهابيون وأولهم الأمير بشير الشهابي، وناب عنه أرسلان باشا، وسنة ١١١٨هـ/١٧٠٦م عزل أرسلان باشا وتولى أخوه بشير باشا، وسنة ١١٢٧هـ/١٧١٥م عزل عثمان باشا»[1].

وفي عام ١١٦٣هـ/١٧٤٩م انتقلت ولايتها إلى الأمير ملحم الشهابي، «فبنى خان الملاحة، وأخوه الأمير منصور بنى الديوان وميزان الحرير والقيسارية المعروفة باسمه، وأخوه الأمير علي بنى قيسارية الصاغة وداراً بقرب البرج الجديد»[2].

ثم آل أمر بيروت إلى الأمراء الشهابيين حيث تولاها بعض أمرائهم مدة إلى أن حصل نزاع بين يوسف الشهابي[3] وأحمد باشا الجزار الذي حكم المدينة بعد توليه ولاية صيدا سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م. وقدم إلى بيروت

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٣.
(٢) الشيخ طنوس الشدياق، المرجع السابق، ص ١٣.
(٣) انظر حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ص ١٠١، جـ ١، كان ليوسف الشهابي اتصال مع كبار علماء بيروت في عصره ومنهم الشيخ أحمد البربير الذي طلب منه الأمير أن يتولى القضاء والفتوى بعد أن أعرض الشيخ عن قبول المنصب، وقد راوده الأمير على الموافقة حتى اقتنع بالنزول عند رغبته. راجع طه الولي، المفتون في بيروت، ص ٣٣ ـ ٣٤، الفكر الإسلامي، السنة الثالثة، جـ ٤، صفر ١٣٩٢ هـ/نيسان ١٩٧٢ م ـ وانظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية، ص ١٩٣، الذي يذكر أن الشيخ البربير توفي في دمشق، ودفن في سفح جبل قاسيون.

واستولى عليها ورفع يد الأمير عنها وضبط ما فيها من أملاك الأمراء الشهابيين[1].

وخلال الحرب الروسية التركية التي دارت رحاها في الربع الأخير من القرن الثامن عشر تعرضت بيروت للدمار والاحتلال لفترة قصيرة وذلك من ت١ عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م)، وحتى شباط عام ١٧٧٤م[2].

وفي سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م أخرج الجزار الإفرنج الذين كانوا قد عادوا إليها[3]. وذلك على سبيل الإغارة.

وفي شهر أيلول سنة ١٧٩٨م ولّى الأمير بشير عمر عوض الأمير يوسف[4].

وفي سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م تسلمها إبراهيم باشا المصري وعمّرها ورصف شوارعها إلى أن أخرجه منها السلطان العثماني عبد المجيد ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، بعدما هدمت مدافع الدول المتحدة أبراجها ودورها وذلك لإنهاء حملة محمد علي باشا والي مصر وبلاد الشام[5].

وفيما بين سنة ١٢٥٦هـ ـ ١٢٧٩هـ/١٨٤٠م ـ ١٨٦٢م قامت الفتن الطائفية وساء الأمن في المنطقة، وتقدمت الشكاوى على العسكر التركي. إذ أن «عسكر النظام قتلوا من النصارى ونهبوا مع المسلمين، ولذلك عاد عليهم

---

(١) حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ص ١١٧، جـ ١، شفيق سليمان، بيروت العتيقة في التاريخ ص ٢٧ ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ١٤.
(٢) د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٥ ـ وانظر طه الولي، المفتون في مدينة بيروت، ص ١٧، الفكر الإسلامي، السنة الثالثة، جـ ٥، ربيع ٢، ١٣٩٢ هـ، أيار ١٩٧٢ م ـ وانظر شفيق سليمان، المرجع السابق، ص ٢٧.
(٣) شفيق سليمان، المرجع السابق، ص ٢٧.
(٤) أسعد تميم، المرجع السابق، ص ١٤.
(٥) د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٥ ـ وانظر شفيق سليمان، المرجع السابق، ص ٢٧ ـ وانظر أيضاً جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٧.

التحقيق فوجدوهم كثيرين ولكن أمر القتل خرج على مائة وخمسين واحداً منهم، فأخذوهم إلى الميدان وقتلوهم رمياً بالرصاص»[1].

وإثر انتشار الفتن الطائفية قسمت المنطقة إلى قائمقاميتين عام ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م. ولم يفلح النظام فعرفت البلاد عهداً جديداً عرف بالمتصرفية والذي استمر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى. ثم مرت على بيروت فترات تاريخية في القرن العشرين مروراً بالاحتلال الفرنسي عقب سقوط الدولة العثمانية وحتى قيام جمهورية الاستقلال عام ١٩٤٣ م، ثم أحداث ثورة ١٩٥٨ م، ثم الحرب الأهلية الأخيرة التي ابتدأت عام ١٩٧٥ م وانتهت عام ١٩٩٠ م.

---

(١) لويس شيخو، نبذة مختصرة في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠ ـ ١٨٦٢) ص ٤٠.

الفصل الثاني

الجهاد والرباط في بيروت وبلاد الشام في العهود الإسلامية الأولى

- تعريف الجهاد
- رأي الإمام الأوزاعي بالجهاد
- المكلفون بالجهاد
- الرباط في بلاد الشام
- المواقيد
- الرباط في بلاد الساحل
- ما قيل في رباط أهل الشام
- الساحل الشامي في العهد الأموي
- الساحل الشامي في العهد العباسي

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١].

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٥.

تعريف الجهاد:

الجهاد فرض كفاية فإذا قام به من فيه الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين، وغايته نشر الإسلام ونشر العدل في سائر أرجاء الأرض[١].

«والجهاد شرعاً، هو بذل الجهد بالنفس والمال واللسان في القتال دفاعاً عن الدين والديار منعاً للظلم والعدوان، وفاقاً للشروط الشرعية[٢]»، وقد ذكر ذلك في كتاب الله، فقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[٣].

والجهاد فرض مكتوب على المسلمين كالصوم والصلاة والعمل به ماضٍ إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[٤]. وروى أبو إسحق الفزاري أنه سأل الإمام الأوزاعي عن هذه الآية، وعما إذا

---

(١) د. صبحي المحمصاني، الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية، ص ٣٥٢، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨م.

(٢) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٢.

(٣) سورة التوبة: آية ٤١.

(٤) سورة البقرة: آية ٢١٦.

كان يوجب الغزو على الناس كلهم. فأجابه: «لا أعلمه ولكن لا ينبغي للأمة والعامة تركه»[١].

وقد شجع الله تعالى المؤمنين الذين يقاتلون في سبيله ويقتلون فبيّن لهم مكانتهم، وأن الشهيد يعطى ست خصال عند أول قطرة من دمه. قال رسول الله ﷺ: «يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه تكفر عنه خطاياه، ويرى مقعده من الجنة، ويزوج من الحور العين، ويؤمن من الفزع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويحلى حلة الإيمان»[٢].

رأي الإمام الأوزاعي بالجهاد:

وروي عن الإمام الأوزاعي أنه قال: «كان القتال مع النبي ﷺ فرض عين على أصحابه، فلما استقر الشرع صار على الكفاية»[٣].

أما إذا لم تحصل الكفاية بما قام به المجاهدون، فيصبح الجهاد عندئذ فرض عين، واجب على كل مكلف لا سيما بحال النفير العام[٤]. فلذا جاء في الآية الكريمة: **﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ﴾**[٥]. وقد علق الإمام الأوزاعي وغيره على هذه الآية بأنها تقصد المجاهدين في سبيل الله من أول أفراد الأمة إلى آخرهم[٦].

أما الآية الكريمة **﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي**

(١) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٢.
(٢) البخاري، التاريخ الكبير، جـ ٤، القسم الأول، ص ١٤٣ حديث رقم ٦٤٢.
(٣) د. صبحي المحمصاني، الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية، ص ٣٥٢.
(٤) د. فايد حماد محمد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص ١٧، ط ٣ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٣.
(٥) سورة التوبة: آية ١٢٠.
(٦) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٣.

سَبِيلِ اللهِ﴾[١] فقد فسّر الإمام الأوزاعي الخفاف بمعنى الرجال، والثقال بمعنى الفرسان، وقال: «إذا كان النفير إلى دروب الروم، نفر الناس إليها خفافاً وركباناً، وإذا كان النفير إلى هذه السواحل، نفروا إليها خفافاً وثقالاً وركباناً ومشاة»[٢].

وروي عن الإمام الأوزاعي أيضاً الحديث الشريف: «... الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى آخر عصابة من المسلمين لا ينقض ذلك جور ولا عدل»[٣].

وروى أبو إسحق الفزاري عن الإمام الأوزاعي قوله: «خمسة كان عليها الصحابة والتابعون: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، والتلاوة، والجهاد»[٤] وقد حل الجهاد محل الهجرة، بعد أن قويت شوكة الإسلام، وتوضيح ذلك ما رواه الإمام الأوزاعي عن السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) حيث قالت: «لا هجرة بعد اليوم. كان المؤمن يفرّ بدينه إلى الله ورسوله مخافة أن يفتن عنه. أما اليوم فقد أظهر الله الإسلام. فالمؤمن اليوم يعبد الله حيث شاء، ولكن جهاد وسنة»[٥].

وكان المسلمون على عهد رسول الله ﷺ في قلة من العدد، وكانوا يقاتلون ضد أعداد كبيرة من الكفار وقد ذكرهم المولى جلّ وعلا بقوله: **﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[٦]. وقال تعالى:

(١) سورة التوبة: آية ٤١.
(٢) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٣.
(٣) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٤.
(٤) الأمير شكيب أرسلان، محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي، ص ٤١، عن نسخة مخطوطة في مكتبة برلين الملوكية، بقلم الشيخ زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت.
(٥) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٤.
(٦) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[1].

أما التجنيد فكان إلزامياً، وعلى المتخلف أن يستأذن الرسول ﷺ مبدياً عذره، وإلا كان متخلفاً، وقد عوقب المتخلفون بادىء الأمر بالفضيحة والتشهير والتشنيع، كما أصاب المتخلفين عن الحديبية الذين قصّ الله خبرهم في سورة الفتح بقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[2] وحرمهم من غنيمة خيبر كما جاء في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾[3].

واشتدت العقوبة حين كثر المسلمون فعوقب المتخلفون عن تبوك (عام تسع من الهجرة) ونهى الرسول ﷺ الناس عن كلامهم فاجتنبوهم، ولبثوا على ذلك خمسين ليلة حتى الرجل منهم يخرج فيشهد الصلاة في مسجد الرسول ﷺ فإذا التفت نحوه أعرض عنه[4].

وكان الناس على عهد الرسول ﷺ يخرجون للقتال جميعاً حتى إذا انتهت المعركة يعودون كل إلى عمله من زراعة وصناعة وتجارة.

المكلفون بالجهاد:

«أما المكلف بالجهاد فهو الرجل العاقل لأن لوجوب الجهاد عدة شروط، أولاً: أن يكون ذكراً، ثانياً: أن يكون حراً. والجهاد لا يكون على العبد، لأن ذلك يستوجب قطع مسافة فلا يجب على العبد كالحج. ثالثاً: أن

(١) سورة الأنفال: آية: ٦٥.
(٢) سورة الفتح: آية رقم ١١.
(٣) سورة الفتح: آية ١٥.
(٤) أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ١.

يكون المكلف بالغاً. رابعاً: أن يكون عاقلاً. خامساً: أن يكون صحيحاً في بدنه قادراً على النفقة»[1].

وقد عذر المولى عز وجل في الجهاد كل ذي عذر كالأعرج والأعمى بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾[2].

والعاجز لا يمكنه الجهاد بنفسه، ولكن يمكنه المشاركة بالرأي أو بالمال[3]. وقد استثني من الجهاد كل ذي عاهة كالأعمى والأعرج والمقعد، والأولاد والنساء[4]. وقد روت السيدة عائشة (رضي الله عنها) فقالت: «قلت يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ فقال: جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة»[5]. والنساء لا يدخلن دار الحرب إلا امرأة طاعنة في السن لسقي الماء ومعالجة الجرحى من المجاهدين، أما إذا دخل العدو أرض الإسلام وأراد بها شراً فيتعين على الكل مجاهدة الأعداء رجالاً ونساءً[6].

هذا، وقد ذكر الجهاد في مواضع كثيرة في كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[7]. وقال عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾[8]. كما قال تعالى أيضاً في سورة التوبة:

(١) د. فايد حماد محمد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص ١٨ ـ وانظر د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦.
(٢) سورة النور: آية ٦١.
(٣) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٦.
(٤) د. فايد حماد محمد عاشور، المرجع السابق، ص ١٧ ـ وانظر أمين الخولي، المرجع السابق، ص ١ ـ وانظر د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦.
(٥) د. فايد حماد محمد عاشور، المرجع السابق، ص ١٧.
(٦) د. فايد حماد محمد عاشور، المرجع السابق، ص ١٨.
(٧) سورة التوبة: آية ٣٦.
(٨) سورة البقرة: آية ٢١٦.

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[١].

إذن فالجهاد فرضه الإسلام لمواجهة الأعداء الذين ينتهزون فرصة انحلال الأمة، أو يكونون سبباً في تفرقها وتدهورها بما يشيعون فيها من سيئات ومفاسد[٢]، من هنا لا بد لدفع هؤلاء الأعداء من الإعداد لهم مادياً وروحياً.

فالإعداد الروحي هو وحده الذي يؤجج إرادة القتال في المؤمن الحق،أما الإعداد المادي فلا يقل أهمية عن الإعداد الروحي من حيث التسليح والتنظيم والتجهيز والقيادة[٣] فهذان العاملان يعملان جنباً إلى جنب لتقوية إرادة القتال في نفوس المسلمين وعقولهم ومشاعرهم.

وقد فرض الله تبارك وتعالى القتال بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٤]. إذن الإعداد للقوة في هذه الآية الكريمة يكمن بإرهاب أعداء الإسلام حتى لا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة

---

(١) سورة التوبة: آية ١١١.

(٢) أحمد نار، القتال في الإسلام، ط ٢، نشر وتوزيع المكتبة الإسلامية، حمص، سوريا، سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ص ١١.

(٣) محمود شيت خطاب، إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، ص ٢٥، الفكر الإسلامي، السنة الثالثة ذو القعدة ١٣٩١ هـ - ك ٢ ١٩٧٢ م.

(٤) سورة الأنفال: آية ٦٠.

المسلمة، ثم بالرعب الذي يبلغ هؤلاء الأعداء فلا يفكرون في الوقوف في وجه المد الإسلامي أثناء تبليغ الدعوة من أجل تحرير الإنسان في سائر أرجاء الأرض، لأن هذا الدين للناس كافة كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[١].

بعد هذا الإعداد يخرج الجند للجهاد برفقة الرجل الداعية وهو الذي يبعث الحمية في نفوس الجند، ويثير فيهم روح الجهاد للذود عن الوطن، ويذكرهم بالمعاني التي أقرها الإسلام في نفوس أتباعه، وكان مما قاله أحدهم، وهو عبد الله بن رواحة في إحدى معارك الروم ما معناه: «يا قوم ما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين... فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما الشهادة وإما النصر»[٢].

ولما توفي الرسول الكريم ﷺ وتولى أبو بكر خلافة المسلمين، كان يوصي المجاهدين وخاصة الجيش الذي ذهب إلى بلاد الشام فاتحاً بقيادة أسامة بن زيد (رضي الله عنه) بقوله: «أيها الناس... لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة... ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه...»[٣].

وكذلك كان الإمام علي كرم الله وجهه يوصي أعوانه بآداب الفتوة

---

(١) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٣٩.

(٢) سورة الحديد: آية ٢٥.

(٣) الشيخ عبد الباسط الفاخوري، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، ص ٢٨، تحقيق الشيخ نزار الفاخوري، طبع دار الجنان، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م - وانظر أيضاً الرباط والمؤازرة الإلهية، ص ١، ولم يذكر الكاتب، التقرير الإسلامي، رقم ١٣، رجب ١٤٠١ هـ - أيار ١٩٨١ م.

وسنة الفروسية وذلك بقوله: «لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا ستراً، ولا تمدوا يداً إلى مال»[1].

ثم نرى الحث على الجهاد في كل عصر، فمثلاً نرى مكاتبة حصلت من السلطان الملك الأفضل نور الدين علي بن الناصر بن أيوب جواب كتاب أرسله له حجي والي بيروت ومن مضمون الكتاب «ترغيب واستعطاف وحث على الجهاد وأنه قد أقطعه الغرب وأن يحلف أقاربه على الطاعة السلطانية»[2]. بهذه المكاتبات والمراسلات كان يتم التعاون بين المسلمين لصد الغارات، ولولا الجهاد لما بقيت هذه البلاد أرض إسلام.

وظلت وصايا الجهاد يوصي بها جيل بعد جيل حتى نرى ذلك في أوائل العهد العثماني حينما أوصى السلطان عثمان خان بوصية إلى ولده تدور حول أمور ثلاثة: منها الجهاد وذلك سنة ٧٢٢ هـ. فقال: «أولاً: تمسك في كل أمورك بالشريعة الغراء وشاور في المهمات أهل الرأي والدهاء، ثانياً: أعط كل ذي حق حقه من التكريم والإنعام من الخواص والعوام لا سيما العلماء الأعلام الذين هم دعائم الإسلام لتكون مظهراً لما قيل، خير الناس من ينفع الناس، ثالثاً: حيث إنك خليفتي من بعدي فتنبه لما هو أعظم ركن من أركان هذا المقام وهو التعظيم لأوامر الله والشفقة على خلق الله، واطلب النتائج الخيرية من إعلاء كلمة الله والغزو لوجه الله»[3].

بهذه الوصايا اندفع المجاهدون المسلمون يقاتلون في سبيل الله، وكان الفتح والمسلمون ينطلقون من نصر إلى نصر لإعلاء كلمة الله ونشر هذا الدين الحنيف في سائر أرجاء الأرض.

---

(١) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٤٠.

(٢) تاريخه سادس عشر رمضان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة هجرية ١١٩٧ م، صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٥٢ و٥٣، و«حجي» رجل كان مسؤولاً عن حصن بيروت في عهد نور الدين.

(٣) الشيخ عبد الباسط الفاخوري، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، ص ١٥٠.

الرباط في بلاد الشام:

إذن نرى من كل ما تقدم أن الجهاد وجد مع الإسلام ورافقه منذ أيام الرسول ﷺ وصحبه مروراً بالعهد الأموي والعباسي . . . والعثماني . . . ومن ثمرات الجهاد الفتوح ومنها فتح بلاد الشام. وهذا الفتح يعد انتصاراً كبيراً للمسلمين، ومعركة اليرموك التي وقعت سنة ١٤ هـ/٦٣٦ م غيرت مجرى التاريخ وجعلت أرض الشام تنتقل من السلطة البيزنطية إلى السلطة الإسلامية، وفضلاً عن القيمة الحربية التي أحرزها المسلمون فإن فتح هذه البلاد رفع من مقام الإسلام وجعل المسلمين أكثر ثقة بمقدرتهم الحربية، ونرى ذلك عندما كتب معاوية إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يصف له حال السواحل بعد موت أخيه يزيد «فكتب له في مرمة حصونها وترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها»[1].

ولما استخلف عثمان (رضي الله عنه) كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها وإقطاع من ينزل إياها القطائع ففعل[2]. وقد استغل معاوية هذا التصريح وبدأ بتحصين المدن الساحلية وزودها بالحاميات والقوات المحاربة، إذ أن الساحل كان بالنسبة للمسلمين خط دفاع بالغ التعرض للخطر، بينما كان بالنسبة للبيزنطيين سهل الهجوم وذلك لامتلاكهم قوة بحرية كبيرة اشتهروا بها عبر التاريخ، ولخبرتهم بأرض الساحل لأنه كان فيما مضى من أملاك الدولة البيزنطية[3]. وقد سعت الدولة البيزنطية بعد أن استقرت

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢، جـ ١ - وانظر أيضاً فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٣٤، جـ ٢ - وانظر طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ٣٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢، جـ ١ - وانظر طه الولي، تاريخ الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ٣٢ - وانظر فتحي عثمان، المرجع السابق، ص ٣٤٤، جـ ٢.

(٣) د. إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ٤.

الدولة الإسلامية إلى إثارة المتاعب في وجهها عبر المحاولات التي كانت تقوم بها لاسترداد الأراضي التي فقدتها إثر الفتح الإسلامي[1].

هـذا، واجتهد المسلمـون في تـلافي نـواحي الضعف في جبهتهم ضـد الأعداء، إذ أنهم كانوا كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر ما يحتاج لها من المسلمين فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سـربوا إليها الأمداد[2].

إذن إن أول ما فعلته الـدولة الإسـلامية لتلافي ضعفها، أنها اتجهت إلى تحصين السـواحل وتعمير محارسهـا ومسالكهـا وشدهـا بالـرجال، وقـد وضع المسلمون نظاماً دقيقاً لحراسة السـواحل ونقلوا للسـاحل أقـواماً من القـادرين على الحـرب لـلإقـامـة في تلك الثغـور. علمـاً أن معـاويـة يعتبـر أول مـدعم للفتوحات الإسـلامية بـالشام، والمتمم للتنظيم الإداري الذي سبق أن وضعـه عمر بن الخطاب في بلاد الشام حين وفـد إليها وعقـد بها مؤتمـر الجابيـة سنة ٦٣٩ م[3].

وقد قسمت الشام إلى أربـع مناطق عسكـرية (جنـد)[4]، وهـذه الأجنـاد الأربعة هي:

---

(١) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٧٠، جـ ١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢، جـ ١ - وانظر د. إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ٤ - وانظر فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٥٠، جـ ١.

(٣) د. إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٥٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٣٨، جـ ١، فيقول: «أما الجند فيجيء في قولهم: جند قنسرين، وجند حمص، وجند فلسطين، وجند دمشق، وجند الأردن فهي خمسة أجناد، وكلها بالشام. ولم يبلغني أنهم استعملوا في غير أرض الشام. وقال أحمد بن يحيى بن جابر: اختلفوا في الأجناد، فقيل سمى المسلمون كل واحد من أجناد الشام جنداً، لأنه جمع كوراً... وجندت جنداً أي جمعت جمعاً».

١ - جند دمشق.

٢ - جند حمص.

٣ - جند الأردن.

٤ - جند فلسطين.

وأضيف إليها زمن يزيد بن معاوية (٦١ هـ - ٦٤ هـ)/(٦٨٠ م - ٦٨٣ م) قسم خامس، وهو جند قنسرين الذي اقتطع من جند حمص، وكان يشمل بلاد ما بين النهرين[1].

ويشمل جند دمشق سهل الغوطة حول المدينة ومعظم المنطقة التي تليه جنوباً والتي تقع إلى الشرق من غور الأردن والبحر الميت... والمدن الساحلية التابعة لجند دمشق هي صيدا وبيروت وطرابلس وعرقة وصور[2].

إذن إن مدينة بيروت كانت تابعة لجند دمشق مع سائر مدن الساحل، من مدينة طرابلس مروراً ببيروت وصيدا وصور وعرقة.

المواقيد:

لربط مدن الساحل مع دمشق والإشراف عليها وتسهيل عملية الاتصال ومعرفة الأخبار بين سائر المناطق، أقام المسلمون المناظر على السواحل واقتبسوا من البيزنطيين فكرة إعطاء الإشارات بإيقاد النيران في المواقيد[3]. وذلك بإشعال النار على قباب عالية متقاربة تقام بين كل بلد وآخر أو كل رباط والذي يليه، بحيث يشرف بعضها على بعض وتعرف بالمناظر والمنائر، ويرتب فيها الحراس ويجعل بها الوقود، فإذا كان النفير ليلاً أوقدت النار في المنارة،

---

(١) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٩٤ - وانظر د. إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٥٣.

(٢) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٥٠ - جـ ١.

(٣) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٣٧ - جـ ١.

وإن كان نهاراً دخنوا بالمنائر الشاهقة، فيوقد الذين يرونهم ويدخنون، فلا تكون إلا ساعة وقد ضرب الطبل على المنارة ونودي على المجاهدين[1].

وكانت العناية بتلك المناظر والمنائر باتخاذ المواقيد لها منذ عصر الخلفاء الراشدين وبالتحديد منذ أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما كتب إلى معاوية بن أبي سفيان يأمره بتحصين السواحل وترتيب المقاتلة بها، وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها. ثم تطور الاهتمام بهذه المنائر عبر العصور وظل استعمالها سائراً حتى عهد ليس ببعيد.

ولا تزال بقاياها ببلاد الشام على الجبال، ومعظمها من بقايا الدول التركمانية والكردية والجركسية أيام الصليبيين إذ كانوا قد عنوا بها عناية كبيرة[2].

أما فيما يتعلق ببيروت فكانت الأخبار تصل إلى دمشق في ليلة عبر هذه المنائر. «فالنار كانت تشتعل في ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت، ثم إلى جبل بوارج وهو أحد فروع جبل لبنان، ومنه إلى جبل يبوس (وهو جبل بالشام بوادي التيم) ومنه إلى جبل الصالحية ومنه إلى قلعة دمشق»[3].

إضافة إلى إشعال المواقيد لإيصال الأخبار كانت هناك وسائل أخرى لتعجيل الأخبار الحربية وهي استعمال حمام الرسائل. فيذكر صالح بن يحيى أن المواقيد والنار كان استعمالها لنقل الأخبار في الليل وذلك بقوله: «النار للحوادث في الليل وحمام البطاق للحوادث في النهار والبريد للأخبار»[4].

---

(١) أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٧٢.

(٢) أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٧٢.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٤٠.

(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٤٠.

وكانت للحمام محطات منظمة في الطريق ويعمل بها البراجون والحراس، وظل استخدام الحمام بسوريا إلى القرن السابع عشر الميلادي[1].

الرباط في بلاد الساحل:

باستيلاء معاوية على السواحل وتحصينها، وضع لها نظاماً خاصاً عرف بالرباط وهو ما يقصد به الأماكن التي يتجمع بها الجند والركبان استعداداً للقيام بحملة على أرض العدو[2].

وأعد معاوية الرباط لتكون حصوناً ليتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرضة لإغارات الأساطيل البيزنطية، ولتكون ملجأ يحتمي بها الأهالي في المناطق التي يدهمها العدو، وقد خصص حاميات الرباط لإنذار الأهالي في المناطق الساحلية بأن يأخذوا حذرهم، إذا ما لاح خطر السفن البيزنطية في المياه الإقليمية، وكان الحصن يضم حجرات الجند ومساكن لهم، ومخازن للأسلحة والمؤن وبرجاً للمراقبة[3]، ثم لم يلبث الرباط أن اتسع وازدادت أهميته حتى أصبح قاعدة للهجوم وشن الغارات.

واعتنى معاوية بنظام الرباط حتى أصبح جزءاً مرتبطاً أشد الارتباط بالجهاد أو الحرب المقدسة، وذلك لأن الرباط اجتذب إليه كل الأتقياء المتحمسين العاملين دائماً على إعزاز الإسلام ونصرته[4].

والرباط هو الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها،

---

(١) أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٧٥.

(٢) د. إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ١٢.

(٣) د. إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٥ - وانظر أيضاً د. إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ١٣.

(٤) د. إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ١٢.

وقال القتيبي «أصل الرباط أن يربط الفريقان في ثغر، كل منهما معد لصاحبه، ثم سمي المقام في الثغور رباطاً»(١).

ولقد حث المولى عز وجل المسلمين على الرباط والمرابطة بقوله في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا اصْبِرُوْا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا وَاتَّقُوْا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

وقد فسّر الفقهاء الرباط تفسيراً واسعاً، بحيث أطلق على الموضع الذي يرابط فيه الجند على التخوم والثغور من أجل حماية البلد من هجوم الأعداء، ويدخل أيضاً في معنى الرباط: الواسع من معاقل المسلمين كدمشق وبيت المقدس وطور سيناء، إذ كانت مواقع تمركز الجنود من وسائل الإعداد اللازم لدفع هجمات العدو(٣). وفي مسألة الرباط قال الإمام الأوزاعي بأنه يكره نقل النساء والذرية إلى الثغور المخوفة، لأنه لا يؤمن ظفر العدو بها وبمن فيها واستيلاؤهم على الذرية والنساء، وقال إنه يستحب لأهل الثغر أن يتجمعوا في المسجد الأعظم لصلواتهم، بحيث تقام الصلاة في مكان واحد، حتى إذا جاءهم النفير لم يكونوا متفرقين بل مجتمعين في موضع واحد(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(٥).

وجاء في الحديث الشريف الترغيب للمسلمين على الرباط والمرابطة وبيان أجر المرابط، فعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت

(١) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٦، الفكر الإسلامي، العدد التاسع، السنة السادسة عشرة أيلول ١٩٨٧ م.
(٢) سورة آل عمران: آية ٢٠٠.
(٣) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٩.
(٤) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥٩.
(٥) سورة الأنفال: آية ٦٠.

يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر»(١).

ومما يثبت هذا الحديث ما قاله تعالى في محكم التنزيل: ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى، وَفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾(٢).

وقال رسول الله ﷺ أيضاً في فضل المجاهدين على القاعدين من المؤمنين: «من أقام الصلاة وآتى الزكاة ومات لا يشرك بالله شيئاً فإن حقاً على الله عز وجل أن يغفر له إن هاجر أو مات في مولده»، قالوا: يا رسول الله ألا نبشر بها أصحابك؟ قال: «دعوا الناس فليعملوا فإن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله»(٣).

ما قيل في رباط أهل الشام:

حدث أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله فمن احتل منها مدينة فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد وفي رواية: فمن احتل ساحلاً من تلك السواحل فهو في جهاد ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو في رباط»(٤).

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح، انظر النووي، رياض الصالحين، ص ٣٦٦.
(٢) سورة النساء: آية ٩٥ ـ ٩٦.
(٣) البخاري، التاريخ الكبير، ص ١٢، جـ ٤، ط ١، طبع بمطبعة دائرة المعارف العثمانية، سنة ١٣٦٠ هـ.
(٤) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٨، الفكر الإسلامي، العدد ٩، السنة ١٦، أيلول ١٩٨٧م ـ وانظر فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٢٩٣.

وقد فضل الرسول ﷺ جند الشام على جند اليمن وجند العراق فقال: «سيكون جنود مجندة، جند بالشام، وجند باليمن وجند بالعراق، قال ابن خوالة: فما تأمرني يا رسول الله؟ قال عليك بالشام فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله، فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره»(1).

وكان تمام الرباط أربعين يوماً، وفي ذلك أحاديث عدة منها، أن أبا هريرة قال: من رابط أربعين ليلة فقد أكمل الرباط، ومنها أن رجلاً من الأنصار جاء إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: أين كنت؟ قال: في رباط. قال: وكم رابطت؟ قال: ثلاثين. قال: فهلا أتممت أربعين(2)!؟.

وعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى، أو الغدوة، خيرٌ من الدنيا وما عليها»(3) متفق عليه.

وعن عثمان (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ من ألف يومٍ فيما سواه من المنازل»(4) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والأحاديث في هذا المجال واسعة جداً.

إذن إن الرباط في المفهوم الإسلامي شامل لجوانب العبادة والحياة، إذ ليس الرباط اعتكافاً في مساجد الثغور وليس قتالاً بل قيود شرعية، فحق الدفاع عن النفس والأرض والعقيدة حق رباني أعطاه الله للمسلمين لينالوا جزاءهم إحدى الحسنيين(5). إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله.

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص ٥٥، جـ ١، تحقيق صلاح الدين المنجد، د.ت.
(2) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٨، الفكر الإسلامي، العدد ٩، السنة ١٦، أيلول ١٩٨٧ م.
(3) النووي، رياض الصالحين، ص ٣٦٥.
(4) النووي، رياض الصالحين، ص ٣٦٦.
(5) الرباط والمؤازرة الإلهية، التقرير الإسلامي، ص ١.

وكان الرباط حصوناً يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرضة لإغارات أساطيل الروم، ولتكون ملجأ يحتمي بها الأهالي في المناطق التي يهاجمها العدو(1).

فالرباط إذن هو لحماية الأرض الإسلامية ورد غارات الأعداء وحراسة السواحل وقد نقلت مع الفتح الإسلامي جماعات مسلمة لتسكن الشام والثغور الشامية.

الساحل الشامي في العهد الأموي:

لما كانت بيروت ضمن الساحل الشامي فقد نالها ما نال غيرها من مدن الساحل إبان الفتح العربي، وأصبحت بيروت ثغراً من ثغور الإسلام. ومعنى الثغر ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان(2).

وكان ساحل الشام كله رباطاً بعد الفتح، إذ عنده تنتهي حدود الدولة العربية الإسلامية على الطرف الشرقي في البحر المتوسط، وفي الطرف الآخر حدود دولة الروم البيزنطية بأسطولها البحري الذي يهدد سواحل الشام في كل وقت(3).

وكانت مهمة الثغور الشامية الأساسية هي الهجوم على الدولة البيزنطية ذاتها، على أن الاهتمام بالثغور لم يقتصر على معاوية، الذي أسس نظام الرباط بل مضى خلفاء بني أمية على سنن معاوية في الاهتمام بالثغور، وقد واصلوا الاهتمام بإنزال الجند فيها وتوسيع السكن وإقامة المخازن والحظائر،

(1) د. إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ١٢.
(2) أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٦٠ ـ وانظر أسعد تميم، معالم المسلمين في بيروت، ص ١٠، أطروحة ماجستير، بإشراف د. زاهية قدورة.
(3) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٨، الفكر الإسلامي، العدد ٩، السنة ١٦، أيلول ١٩٨٧م.

ولم تزل العمائر في عهدهم تتقدم حتى أصبحت أمصاراً خطيرة الشأن زاخرة بالمقاتلة والمؤن والأيدي العاملة[1].

الساحل الشامي في العهد العباسي:

وعندما آل أمر الخلافة إلى بني العباس أصبحت أعطيات الجند لا تقوم بالكفاية المطلوبة كما كان الأمر أيام بني أمية، مما دفع بالإمام الأوزاعي (رضي الله عنه) لأخذ المبادرة وكتب إلى الخليفة المنصور يصف حال المرابطين في الساحل وما يواجهونه من خطر الغزو، ووطأة البرد، وقلة المال مع غلاء الأسعار[2]. وإثر ذلك أمر المنصور بتحصين الثغور وتعمير المدن وما خرب من قلاعها، وكذلك فعل المهدي. ولما صار الأمر لهارون الرشيد صرف اهتمامه لتحسين حالة الثغور لتكون قاعدة لغزواته المقبلة وأمر عماله أن يجهزوا المراكب ويشحنوها بالمقاتلة لتكون دائماً جاهزة[3].

ثم كان العصر العباسي الثاني وبدأ تدهور الثغور شيئاً فشيئاً، وكان من أسباب التدهور، اختلاط فرق الجيش الإسلامي من خراسانية وفرغانية وسمرقندية... وبربر مع ضعف رابطة الإسلام الجامعة في نفوس هذا الخليط المتنافر، وتنازع الطوائف على السلطة، وتسليم الخلفاء العباسيين للفرس فالأتراك... حتى أصبح الخليفة اسماً بلا مسمّى لا أمر له ولا هيبة ولا سلطان، مما أطمع الروم في احتلال هذه البلاد وتخريب مساجدها وإحراق المصاحف فيها والاستيلاء على خزائن السلاح. وفي ذلك يقول ياقوت الحموي «... إن ملك الروم لما استولى على الثغور سنة ٣٥٤ هـ واشترط تخريب الجوامع والمساجد، وأن من أراد المقام في البلد على الذمة

(١) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٦٦.
(٢) د. عمر تدمري، المرجع السابق، ص ١٨.
(٣) د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٨٨.

وأداء الجزية فعل وإن تنصّر فله الحياة والكرامة وتقر عليه نعمته... فتنصّر خلق فأقرت نعمته عليهم وأقام نفر يسير على الجزية، وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الشام وتفرقوا فيها. وملك نقفور البلد فأحرق المصاحف وخرّب المساجد وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله...»[1].

إذن نرى أن المسلمين حينما ينغمسون بملذات الحياة ونعيمها، ويتصارعون من أجل السلطة، فإن الحروب حينئذ لا تكون في صالحهم، وإني لأذكر قول الرسول ﷺ «ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا». فبعد أن ضعفت سيطرة العباسيين ظهرت دولة الفاطميين العبيديين في أفريقيا واستولوا على مصر والديار الشامية وأسسوا دولة ضعَّفت مكانة الدولة العباسية ثم «ظهرت دولة السلاجقة فجمعت جموعاً كثيرة من طوائف الأتراك من أصحاب القوة والنجدة، والعرب وقتئذ يعملون بعلوم الآداب والفنون، فاهتم السلاجقة بالمحاربة والجهاد وإصلاح البلاد فقويت شوكتهم وساروا إلى بلاد الأناضول وحاربوا ملك الروم حاكم القسطنطينية يومئذ فغلبوه وظفروا به وأسروه»[2].

وكان الخطباء بمكة المكرمة يخطبون باسم الخليفة الفاطمي فصاروا يخطبون باسم الخليفة العباسي ويذكرون معه الأمير السلجوقي (ألب أرسلان)[3].

فالمتتبع للتاريخ يلاحظ أن الجهاد على مدى العصور لمن سعى إليه. فالمجاهد في سبيل الله الذي يعمل على مقاومة أعداء الإسلام فإن الله يؤيده بنصر من عنده. وقد توالى الجهاد على مدى العصور وخاصة في الثغور أيام الحروب الصليبية، علماً أن الفرنجة ورثوا حالة العداء للمسلمين فقاموا بحملاتهم المعروفة، إلى أن تصدى لهم المسلمون في عصر الأيوبيين

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٣٩، م ٦.
(٢) الشيخ عبد الباسط الفاخوري، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، ص ١٤٦.
(٣) المرجع السابق، ص ١٤٦.

والمماليك وطردوهم من سواحل الشام، ولجأت فلولهم إلى أعمال القرصنة البحرية، واقتضى ذلك من المسلمين دوام المرابطة على السواحل، وإقامة التحصينات والأبراج الدفاعية وتدعيمها[1].

فبعد ألب أرسلان حمل لواء الجهاد... آل زنكي وعلى رأسهم عماد الدين زنكي، ثم نور الدين، فصلاح الدين الأيوبي. وقد جاهد عماد الدين زنكي الصليبيين فحاربهم وانتصر عليهم واستولى على حلب وغيرها من المناطق ثم تابع الجهاد بعده ابنه نور الدين زنكي واستولى على دمشق وكان صاحب عزم وحزم، وكان بطلاً مقداماً ومجاهداً عظيماً، وقويت به دولة الأتابكة في الشام. وفي تلك الأثناء كان هناك زحف صليبي على مصر، وكانت دولة الفاطميين مختلة النظام في مصر فاستنجد الحاكم الفاطمي بنور الدين واستنصره، فأرسل إليه جيشاً كبيراً بقيادة أسد الدين شيركوه، وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الكردي، وهو أحد أمراء الجيش وكان وقتئذ في مقتبل العمر، وبعد عدة محاولات مع حاكم مصر المتقلب الأهواء، تمكن من القضاء عليه، وإنقاذ مصر من براثن الإفرنج الصليبيين أعداء الدين.

واستقل أسد الدين شيركوه بمصر، وخلفه صلاح الدين الأيوبي وقبض على زمام الحكم وقضى على المذهب الشيعي الذي كان سائداً في أرجاء مصر، وساد المذهب السني في سائر مصر، وقامت الخطابة في المساجد بأسم الخليفة العباسي وبذلك انقرضت دولة الفاطميين واستطاع صلاح الدين أن يوحد بلاد الشام ومصر في جبهة واحدة وذلك لعدم وجود من يتولى سلطة بلاد الشام، ووجه عنايته لمواجهة الصليبيين واستطاع أن يحرر الثغور على طول الساحل الشامي بما فيها تحرير بيت المقدس ولم يعص في وجهه إلا مدينة صور لتجمع الصليبيين فيها مع وصول الإمدادات الإفرنجية إليهم.

---

(1) د. عمر تدمري، المرجع السابق، ص ٨.

وبطرد الصليبيين عادت الثغور الشامية إلى الدولة الإسلامية، وبعد صلاح الدين انقسمت بلاد الشام بين عدد من سلاطين الأيوبيين وكانت الحروب بينهم مما أضعف شوكتهم وأطمع فيهم الأعداء. وتعرضت بلاد الإسلام لعدة نكبات بعد ذلك، أهمها زحف التتار على هذه البلاد وقد أتلفت المكتبة الإسلامية في بغداد حاضرة الخلافة حينئذ. وكانت المكتبة تحوي آلاف الكتب القيمة، وفيها نفائس من التراث الإسلامي.

ثم حمل لواء الجهاد عدد من أمراء الإسلام، ثم ظهرت الدولة العثمانية بقيادة السلطان سليم العثماني وفتح بلاد الشام سنة ١٥١٦ م. ومنذ ذلك التاريخ دخلت بلاد الإسلام تحت سيطرة الخلافة العثمانية، وقد بلغ من قوتها وعظمتها أنها كانت من أعظم الممالك الإسلامية، كما وصفها محمد بيرم التونسي بقوله: «إن أعظم الممالك الإسلامية في هذا القسم هو المملكة العثمانية لاستيلائها على أغلب الممالك الإسلامية التي كانت تقسمت واتحادها تحت سلطانها ولاشتمالها على الحرمين الشريفين ولامتدادها على ممالك إسلامية في أفريقية، كما كان لها في أوروبا ممالك واسعة فتألف من المجموع مملكة عظيمة تختها القسطنطينية وتسمى فاروق لفرقها بين أرض آسيا وأرض أوروبا، لفرقها بين البحر الأبيض والبحر الأسود»[1].

فهذا التوسع للدولة العثمانية كان قوامه الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته. وقد روي عن أحد سلاطين الأتراك المجاهدين[2]. أنه كان يجمع في كل محل نزل فيه من غزواته ما على بدنه وثيابه من غبار ويحفظه فلما دنا أجله المحتوم أمر بذلك الغبار فضرب لبنة صغيرة وأوصى بأن توضع تحت

---

(1) محمد بيرم التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ص ٣، جـ ٢، ج ١، طبع المطبعة الإعلامية بمصر، سنة ١٣٠٣ هـ وتختها: عاصمتها.

(2) هو السلطان ضياء الدين بايزيد خان ابن السلطان محمد خان، انظر الشيخ عبد الباسط الفاخوري، المرجع السابق، ص ١٦٧.

خده في القبر[1]. لقوله ﷺ: «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار»[2]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[3].

هذا ولم تنحسر الخلافة العثمانية وتنتهي إلا بعد أن بعدت عن أمر الجهاد الخالص لوجه الله تعالى ولم يعد المسؤولون يهمهم من أمر شعوبهم إلا مصالحهم. ونرى مثال ذلك ما كان من أمر خورشيد باشا متصرف بيروت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فكان يعين كل سنة لجنة قوامها ستة من أعيان المدينة اسمها «قومسيون لم العسكر» لاختيار الشبان الذين يستطيعون السفر للجهاد أي خدمة العلم، وكاد الحاج حسين بيهم، عالم بيروت يكون عضواً دائماً فيها. وفي إحدى المرات جاء الضابط التركي المولج بجمع العسكر، فطلب من اللجنة أسماء جميع الأفراد الذين تحت السن لأنه يريد أخذهم جميعاً، فاعترف الحاج حسين بيهم بأن بيروت لا تقدم «جميع» الذين «تحت السن» وإنما تعطي العدد المستطاع إعطاؤه لأن هناك أفراداً يعيلون أرامل وأيتام فقراء لا معيل لهم سواهم فكيف نبعث بهم... ومن يتكفل بهؤلاء الأيتام...؟ فأجاب الضابط: أنا لا أعرف... هذا أمر الدولة.. ثم كرر طلبه وألح بشيء من العنف على وجوب أخذ جميع الذين تحت السن مكرراً قوله: هذا أمر الدولة! فغضب الحاج حسين بيهم. وطوى سجل النفوس... وقال لزملائه أعضاء اللجنة: «تفضلوا لنفل على بيوتنا، وخلوا الدولة تجي تلم العسكر... وفل أعضاء اللجنة إلى بيوتهم... وانتشر الخبر بالمدينة... واضطرب المتصرف اضطراباً شديداً فأرسل كاتبه

---

(١) الشيخ عبد الباسط الفاخوري، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، ص ١٦٧.
(٢) رواه البخاري، أنظر النووي، رياض الصالحين، ص ٣٦٩ ط ١١، بيروت، ل.ت.
(٣) رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، أنظر النووي، رياض الصالحين، ص ١٦٢، ط ١١، د.ت.

يعتذر إلى الحاج حسين باسم خورشيد باشا مؤكداً له أنه لا يصير إلا على خاطر القومسيون. فأمر الحاج على أن القومسيون لا يجتمع إلا بعد أن ينقل الضابط من المدينة» وكان ما أراد[1].

---

(١)لم العسكر من بيروت، لم يذكر الكاتب، ص ٤٧، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١، ١٩٥٥م.

الفصل الثالث

المرابطون في بيروت في العهود الإسلامية الأولى

- بيروت رباط دمشق
- رباط الصحابة في بيروت
  - أبو الدرداء (رضي الله عنه)
  - سلمان الفارسي (رضي الله عنه)
  - أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه)
  - حيّان بن وبرة المري (رضي الله عنه)
  - أم حرام (العميصاء بنت ملحان) (رضي الله عنها)
- المرابط الإمام الأوزاعي
  - كنيته
  - الإمام طالب علم
  - حياة الإمام ووفاته في بيروت
  - الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام
  - مذهب الإمام الأوزاعي في الأندلس
  - تعدد المذاهب الفقهية في العهد العباسي
  - اندثار مذهب الإمام الأوزاعي
  - الإمام الأوزاعي عابداً
  - اتصال الإمام بالحكام
  - زاوية الإمام الأوزاعي

- بعض المرابطين في بيروت
- محمد بـن الإمام الأوزاعي
- الوليد بن مزيد العذري البيروتي
- إبراهيم بن أدهم
- إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم
- حسان بن سلمان، أبو علي الساحلي
- علي بن ميمون
- ابن عراق
- زاوية ابن عراق
- محمد بن علي بن موسى الدمشقي
- محمد بن قاضي عجلون
- عبيد الله بن عبد الكريم بن مزيد أبو زرعة الرازي
- محمد بن يوسف بن إلياس، أبو عبد الله الرومي القونوي الحنفي

بيروت رباط دمشق :

بيروت مدينة من مدن الساحل الشامي ومنذ الفتح الإسلامي أصبحت ثغراً من ثغور الساحل، كسائر المدن الساحلية، وقد عرفت بأنها مرابط دمشق. وقد عرفها بعض الجغرافيين العرب بأنها رباط دمشق وساحلها. وفي ذلك يقول ابن حوقل: «مدينة بيروت... على ساحل بحر الروم وهي فرضة بعلبك وساحلها وبها يرابط أهل دمشق وسائر جندها وينفرون إليها عند استنفارهم...»[١].

أما الحميري فقال: «بيروت في ساحل الشام وهي مرابط دمشق، وفيها كان أبو الدرداء»[٢]. وقدذكرها الحموي بقوله: «خرج من بيروت خلق كثير من أهل العلم والدراية، منهم الوليد بن مزيد العذري البيروتي...»[٣].

وقد تولى شأن الساحل الشامي وبيروت من ضمنه «القائد سفيان بن مجيب الأزدي بعد موقعة اليرموك الحاسمة عام (١٤ هـ/ ٦٣٦ م)، ثم تولى

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ١٦٢ ـ وانظر أيضاً شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٨.
(٢) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٢٢، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥م ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ١٠.
(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٥٢٥، جـ ١.

حكم بيروت الوالي عبد الرحمن بن سليم الكلبي، ومن بعده الوالي أيوب بن خالد الجهني»[1].

أما «أهل بيروت في القرنين الأول والثاني للهجرة، فكل ما نعلم عنهم أنهم كانوا يومئذ قلة من شعوب مختلفة، آثروا البقاء تحت الحكم الإسلامي، وكانوا يمارسون الزراعة والحرف اليدوية والتجارة، أما العنصر العربي المسؤول والمشرف على الحكم، فكان يتألف من المرابطين الذين ألقى إليهم الأمويون والعباسيون مسؤولية الدفاع عن السواحل، وصد غارات الروم، ومعظمهم من اليمن، وعرب الشام والجزيرة وبلاد فارس، وقد توافد إلى المنطقة جماعات متتابعة وازداد عددهم تدريجاً بتشجيع الدولتين الأموية والعباسية رغبة الإعمار وتكثير السكان»[2]. وبفضل هذه الجماعات تزايد عدد المسلمين في بيروت مع الزحف وقلّ فيها الروم حتى أصبح أكثر أهلها مسلمين وقد سكنها خلق كثير من أهل العلم والدراية منهم الإمام الأوزاعي[3]، الذي كان إمام أهل الشام طيلة قرنين من الزمان وإمام أهل الأندلس مدة أربعين عاماً، وقد رابط في بيروت عدد من الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ كأبي الدرداء، وبشير بن سعد، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي[4].

ومع الأيام تزايد بها عدد المرابطين فكان منهم من يتخذ بيروت للسكن الدائم ومنهم من كان يرابط فيها لفترة قصيرة، وكانت الغاية من توافد الجماعات الإسلامية حماية السواحل من هجمات الروم وأعداء الإسلام من جهة، وتعريب المنطقة من جهة أخرى، بعدْ أن كانت اللغة السريانية سائدة،

---

(١) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٤٩، ط ١، طبع الدار الجامعية، ١٩٨٧ م ـ ١٤٠٧ هـ.
(٢) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٣ و ٢٤.
(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٤ و ١٥.
(٤) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٥٠.

ولم يمض على ظهور الإسلام سوى ثلاثة قرون حتى كانت اللغة العربية سائدة في بلاد الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا[1].

رباط الصحابة في بيروت:

أتى بعض الصحابة (رضوان الله عليهم) إلى بيروت على نية الرباط والمشاركة في الغزوات البحرية والدفاع عن ساحل الشام ومن هؤلاء الصحابة مثلاً:

أبو الدرداء (رضي الله عنه):

وهو الصحابي الأنصاري «عويمر بن مالك»[2]. نزل بيروت مرابطاً عقب الفتح الإسلامي مباشرة[3]. وذكر الحميري رباط أبي الدرداء عندما تكلم عن بيروت فقال: «... بيروت في ساحل الشام وهي مرابط دمشق، وفيها كان أبو الدرداء»[4].

سلمان الفارسي (رضي الله عنه):

وهو الصحابي الجليل الذي نزل بيروت على نية الرباط[5]. «وقد سأل سلمان الفارسي عن أبي الدرداء، فقالوا: إنه مرابط، فقال: وأين مرابطكم يا أهل دمشق؟ قالوا: بيروت، فذهب للرباط معه هناك»[6].

---

(١) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٦.
(٢) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٢ ـ وانظر د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٠، الفكر الإسلامي، العدد ٩، ١٩٨٧ م.
(٣) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٠، الفكر الإسلامي، العدد ٩، أيلول، ١٩٨٧ م ـ وانظر د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، ص ٧٩، دراسات تاريخية، العدد الخامس، تموز (يوليو) ١٩٨١ م.
(٤) الحميري، المرجع السابق، ص ١٢٢.
(٥) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٢.
(٦) أسعد تميم، معالم المسلمين في بيروت، ص ١١، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة اللبنانية، بإشراف د. زاهية قدورة.

وكان سلمان الفارسي (رضي الله عنه) يحدث الناس في بيروت عن رسول الله ﷺ في معاني الرباط. . . ، وكان المسلمون يجتمعون في المسجد ليسمعوا حديثه، ومما قاله لهم: يا أهل بيروت ألا أحدثكم حديثاً يذهب الله به عنكم غرض الرباط؟ سمعت الرسول ﷺ يقول: «رباط يوم كصيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر، وأجري له ما كان يعمل إلى يوم القيامة»[1].

أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه):

وهو من الصحابة الكرام الأجلاء الذين نزلوا الساحل الشامي للرباط ذوداً عن حمى الإسلام.

«وقد رابط أبو ذر (رضي الله عنه) في ساحل الشام عند الصرفند جنوب صيدا، حسب الروايات المتواترة التي يتناقلها إلى الآن أهالي الجنوب»[2]. بينما يذكر د. حسان حلاق أنه كان واحداً من الصحابة الذين نزلوا بيروت على نية الرباط[3]. ولعل أبا ذر عندما نزل الساحل الشامي على نية الرباط، قد زار بيروت.

حيان بن وبرة المري (رضي الله عنه):

هذا، ولم يقتصر الرباط في بيروت على الصحابة بل امتد إلى أصحاب الصحابة والتابعين. ولعل أبرزهم صاحب لأبي بكر يدعى «حيان بن وبرة المري» فكان يرابط ببيروت ويحدث الناس بأحاديث الرسول ﷺ مساهمة منه

---

(١) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٠، الفكر الإسلامي، العدد ٩، السنة ١٦، أيلول ١٩٨٧م -وانظر د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، ص ٧٩ و ٨٠، دراسات تاريخية، العدد الخامس تموز ١٩٨١ م.

(٢) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٢، الفكر الإسلامي، العدد ٩، السنة ١٦، أيلول ١٩٨٧م - وانظر د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، ص ٨٠، مجلة دراسات تاريخية، العدد الخامس، تموز ١٩٨١م.

(٣) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٥٠.

في نشر الأحاديث النبوية الشريفة. وقد جاء في تاريخ ابن عساكر قوله: «أخبرني أبو المغيرة عمرو بن شراحيل العنسي قال: «أتينا أنا وعمير بن هاني العنسي، فإذا نحن برجل يتغاثا عليه الناس. فإذا عليه قميص كرابيس (قميص من القطن) إلى نصف ساقيه، وقلنسوة صغيرة يقال له «حيّان بن وبرة المري». فقلت لعمير بن هاني: أمن أصحاب رسول الله ﷺ هذا؟ قال: لا، ولكنه صاحب لأبي بكر الصديق، قال عمرو: فسمعته يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا تزال بدمشق عصابة يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»[1].

أم حرام (العميصاء بنت ملحان) (رضي الله عنها):

هي من الصحابيات الجليلات (زوجة عبادة بن الصامت الصحابي الجليل) من اللواتي رابطن في بيروت. وقد رابطت هذه الصحابية في بيروت[2] فترة، وكانت من المرافقين في جيش معاوية عندما سار لفتح قبرص. وعند خروجها لمرافقة الجيش قربت إليها دابة لتركبها فصرعتها وماتت. وعرف قبرها هناك باسم «قبر المرأة الصالحة»[3].

هذا، وكان لهذه الصحابية شأن مع رسول الله ﷺ إذ ورد فيها حديث عن النبي ﷺ قال: «أناس من أمتي عرضوا عليّ يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة»، قالت: فادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها ثم نام ثانية ففعل مثلها، فقالت مثل قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادع الله أن يجعلني

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص ٢٤٢، جـ ١، تحقيق صلاح الدين المنجد، د.ت. وانظر د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، دراسات تاريخية، العدد ٥، تموز ١٩٨١م. القلنسوة: غطاء للرأس لدى الرجال.

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٦.

(٣) د. إبراهيم العدوي، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ٢٢ و ٢٣.

منهم فقال: «أنت من الأولين». فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت[1] واستشهدت وتحقق قول الرسول ﷺ وهو أصدق القائلين في البشر.

هذا، ويوجد في بيروت قبور جماعة من الصحابة والتابعين أمثال ضريح المرابط سعيد الجارح الذي دفن إلى اليسار من مقبرة الصنطية، وقد هدم الضريح الوالي عزمي بك سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م[2]. ولعل هذا المرابط هو نفسه سعيد بن أبي سعيد البيروتي الساحلي (أبو سعيد بن كيسان المقبري)، الذي قدم الشام ونزل للرباط في بيروت، وكان ثقة كثير الحديث، وقد أخذ عنه العلم في بيروت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وتوفي سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م[3].

المرابط الإمام الأوزاعي:

وهو من المرابطين الأوائل الذين نزلوا بيروت للجهاد والمرابطة وحراسة السواحل.

أما كنيته:

فهو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي[4]، وقيل اسمه عبد العزيز، فسمى نفسه عبد الرحمن[5] لأنه تعالى هو العزيز الحكيم، وهو الرحمن الرحيم. ولعله سمى نفسه عبد الرحمن من «الرحمن» - اسم سورة

---

(١) الشيخ عبد الباسط الفاخوري، المرجع السابق، ص ٤٩ - وانظر أسعد تميم، معالم المسلمين في بيروت، ص ١٢.

(٢) أسعد تميم، المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٣) د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، ص ٩٠، دراسات تاريخية، تموز ١٩٨١م.

(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٤ و ١٥ - وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٨٩.

(٥) د. صبحي المحمصاني، الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية، ص ١٦ - وانظر الأمير شكيب أرسلان، محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي، ص ٤٧.

من القرآن الكريم - إضافة إلى أنه عند افتتاح قراءة سورة من القرآن الكريم نقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فرأى نفسه بحاجة إلى الرحمة فسمى نفسه عبد الرحمن. أما كلمة الأوزاعي فقد اختلف المؤرخون في أصلها فمنهم من نسبها إلى الأوزاع وهي قبيلة يمنية[1]، ومنهم من قال أن الإمام الأوزاعي منسوب إلى أوزاع وهي بطن من ذي كلاع وقيل بطن من همدان[2]. ومنهم من قال بأن الأوزاع اسم قرية على باب دمشق من جهة باب الفراديس سميت القرية باسمهم لسكنهم بها[3].

وقد ولد أبو عمرو الأوزاعي في مدينة بعلبك سنة (٨٨هـ - ٧٠٦م)[4]، ومنهم من قال أن ولادته كانت سنة ٧٠٧م[5]. المهم أنه ولد حوالي هذا التاريخ في مدينة بعلبك التي كان لها في العصور السالفة شأن عظيم وكانت في العهد الأموي مركزاً هاماً لتجميع الجيوش العربية ومحطة للقوافل التجارية القاصدة إلى جبل لبنان، وشمال بلاد الشام، وأنجبت العلماء والفقهاء والأدباء[6]، وأبرز ما أخرجت عَلَماً من أعلام المذاهب الفقهية في الإسلام، عالماً مرابطاً في سبيل الله هو الإمام أبو عمرو الأوزاعي.

«وكانت ولادة الإمام في عهد سادس خلفاء الدولة الأموية الوليد بن عبد الملك (٥٨٦م - ٥٩٦م) وكان محتلماً في خلافة عمر بن

---

(١) كامل محيي الدين الداعوق، علماؤنا في بيروت وصيدا وطرابلس والبقاع، ص ٥، ط ١، بيروت - لبنان، د.ت.

(٢) داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ١٩، جـ ١، مطبعة عون، بيروت ١٩٦٣م - وانظر د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٣) الأمير شكيب أرسلان، محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي، ص ٢٦.

(٤) داود كنعان، المرجع السابق، ص ١٩.

(٥) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٤ و ١٥ - وانظر أيضاً، د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ١٨٩ - وانظر شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٧.

(٦) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٣٤.

عبد العزيز (رضي الله عنه) ثم توفي في أواخر خلافة أبي جعفر المنصور العباسي»[1]. وهكذا عاصر الدولتين الأموية والعباسية.

الإمام طالب علم:

نشأ الأوزاعي في البقاع، وأخذ العلم في بلدة الكرك التي تعد من أعمال بعلبك، وتعرف بكرك نوح[2].

ثم ارتحل في طلب الحديث وأكب على دراسة الفقه والاجتهاد حتى عظم أمره بالشام وزار بلاداً عديدة، منها العراق، حيث سمع في البصرة من قتادة[3]، وسمع في الكوفة من عامر الشعبي[4]، ثم تنقل فوصل إلى الحجاز، حيث سمع في مكة من عطاء بن أبي رباح (٢٧ هـ/ ١١٤ هـ)[5]، وسمع في المدينة من ابن شهاب الزهري (٥٨ هـ/ ١٢٤ هـ)[6]، وسمع أيضاً من نافع المدني[7].

وكذلك أخذ الإمام الأوزاعي العلم في دمشق عن مكحول الشامي فقيه

---

(١) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ١٢ ـ وانظر د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣١.

(٢) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٥، الفكر الإسلامي، العدد ٩، السنة ١٦، أيلول ١٩٨٧ م ـ ولا يزال في البلدة إلى اليوم ضريح النبي نوح عليه السلام.

(٣) هو أبو الخطاب بن دعامة السدوسي (٦١ هـ ـ ١١٨ هـ)، انظر د. صبحي المحمصاني المرجع السابق، ص ١٩ و ٢٠.

(٤) عامر الشعبي المتوفى سنة ١٠٣ هـ، د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ١٩ و ٢٠.

(٥) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٠ ـ وانظر شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٥ وص ٥٤.

(٦) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٥، وقيل أن الزهري رأى عشرة من الصحابة في حياته.

(٧) وهو موسى عبدالله بن عمر، توفي سنة ١١٧ هـ، د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٠.

الشام في زمانه[1]. وكان للإمام الأوزاعي اتصالات بغيره من العلماء، أمثال الإمام مالك بن أنس، إمام المدينة وصاحب المذهب المالكي (٩٧ هـ ـ ١٦١ هـ)[2]، والإمام سفيان بن سعيد الثوري من أصحاب المذاهب الزائلة، وعبد الله بن المبارك[3]، . . .

وقد روى عن الإمام الأوزاعي ابن المبارك، وروى عنه الثوري[4]، والشافعي وابن حنبل ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وابن جرير الطبري، وداود الظاهري، وصاحبه ابن حزم الأندلسي، وكذلك روى عنه الحديث بالإضافة إلى تلاميذه وأتباعه عدد لا يحصى من العلماء منهم أبو زرعة الدمشقي، وعبيد بن حيان الجبلي، ومحمد بن عجلان، وقاضي دمشق يحيى بن حمزة الحضرمي المتوفى سنة ١٨٣ هـ، والحافظ العراقي يحيى بن سعيد القطان المتوفى سنة ١٩٨ هـ/٨١٣ م[5] إلخ . . .

أما أفضل من أخذ العلم عن الإمام الأوزاعي فهو قاضي بيروت الوليد ابن مزيد العذري البيروتي المتوفى سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م وفي ذلك يقول الإمام: «ما عرفت فيما حمل عني أصح من كتب الوليد بن مزيد»[6].

وكان الإمام رأساً في العلم والعمل، كثير المناقب بارعاً في الكتابة والترسل لأنها كانت صنعته، وكان مكتتباً في ديوان الساحل[7].

---

(١) هو عبد الله مكحول بن أبي مسلم . . . وكان من حفاظ الحديث وبقي في لسانه عجمة، وتوفي سنة ١١٢ هـ ـ أنظر د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٠ ـ وانظر الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٠ ـ وانظر الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق ص ٥٢ ويذكر أرسلان أن وفاة الإمام مالك كانت سنة ١٧٩ هـ.

(٣) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٤) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٥٢.

(٥) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٦) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٧) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٢.

جلس الإمام في باطن بيروت للمرابطة والتدريس، واستمع إليه لفيف من التلاميذ كان لهم الفضل في نشر مذهبه وتخليد ذكراه، ومن البارزين منهم في هذا الميدان ابنه محمد الذي عاش بعده عشرين سنة، ومنهم زوج ابنته عبد الغفار بن عثمان، وكاتباه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، ومحمد بن زياد المكنى بعبد الله، وقاضي دمشق محمد بن حرب الخولاني[1]، وصقل بن زياد. . . والأمير أرسلان بن مالك اللخمي[2].

وقد أخذت العلم عن الأوزاعي من النساء «الخيزران» زوجة المهدي الخليفة العباسي، وأم ابنيه الهادي وهارون الرشيد، وأخذ العلم عن الإمام أيضاً أبو الفضل العباسي بن الوليد البيروتي[3].

وكان للإمام الأوزاعي أثر كبير في نشر الثقافة الإسلامية التي ازدهرت في القرن الثاني الهجري، ونشر العلم ومسائل الفقه منذ دخول المسلمين إلى بيروت.

حياة الإمام ووفاته في بيروت:

تنقل الإمام الأوزاعي كثيراً في بلاد العرب، لكنه كان يرجع مرة بعد أخرى إلى دمشق، ويقيم غالباً في بيروت، لا سيما في آخر أيامه، حيث نزل مع أهله وأولاده فاتخذها موطناً ورابط فيها وقضى بقية عمره بها حتى وفاته.

ويروى عن الإمام الأوزاعي عندما أتى إلى بيروت مرابطاً، وأثناء مروره بمقبرة التقى بامرأة سوداء فسألها: «أين العمارة يا هنتاه (أختاه)؟ فأجابت: إن أردت العمارة فهي هذه، وأشارت إلى القبور، وإن كنت تريد الخراب فأمامك

(١) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤١.
(٢) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٤٩ (ويذكر المؤلف أن أرسلان بن مالك اللخمي لقب بأمير الساحل ومن ضمنه بيروت، وأن الأمير أرسلان هو جد العائلة الأرسلانية ص ١٦).
(٣) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤١.

وأشارت إلى البلد»[1]، فأعجب الإمام بذلك، وعزم على الإقامة في بيروت، التي كانت في عصره بلدة صغيرة محدودة المساحة، ورابط فيها مكتتباً في ديوان الساحل[2]، و«كان أحد أفراد الحرس في بيروت يخرج في الغزوات والبعوث العسكرية التي كانت توجهها الدولة، فاكتتب مرة في بعث إلى اليمامة»[3].

وكان الإمام يأخذ العطاء كغيره من جند الساحل المرابطين إلى أن أصبح عالماً للجند في العصر الأموي، «ويعتبر المرابطون من أصحاب الديوان المكتتبين أفضل من المرابطين المتطوعين لارتباطهم الدائم بما نذروا أنفسهم له، وفي ذلك قال «الشعبي» حين سئل عن الغزو، وعن أصحاب الديوان أفضل أو المتطوع؟ قال: بل أصحاب الديوان، فالمتطوع متى شاء رجع»[4].

وبقي الإمام الأوزاعي في بيروت في أواخر أيامه حتى توفي فيها. وقد اختلف في وفاته وتعددت الروايات، فقيل: «إنه دخل الحمام في منزله، وأدخلت معه امرأته كانوناً فيه فحم لئلا يصيبه البرد، وأغلقت عليه باب الحمام من الخارج غير متعمدة، ولما هاج الفحم صغرت نفسه فوقع مختنقاً»[5].

(١) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٨٧ ـ وانظر د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، ص ٨٣، دراسات تاريخية، العدد الخامس، تموز ١٩٨١ م.
(٢) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٣٦ ـ وانظر د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٦ ـ وانظر د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٢ ومكتتباً: أي مسجلاً في ديوان الساحل، ويكون في رباط دائم، ويقابله المتطوع المؤقت.
(٣) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٦، الفكر الإسلامي، العدد ٩، أيلول سنة ١٩٨٧ م.
(٤) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ١٩.
(٥) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٧ ـ وانظر أيضاً د. فيليب حتي، المرجع السابق، ص ٣٣٠.

وقيل: «إنه دخل الحمام فزلق وسقط وغشي عليه ولم يعلم به حتى مات»[1].

علماً أن وفاته كانت في ثاني صفر سنة سبع وخمسين ومائة[2]، وقيل في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة[3]، عن عمر سبعين سنة وقد توفي في آخر خلافة المنصور[4].

وعقب وفاته ذهبت امرأته إلى سعيد بن عبد العزيز، فأمرها بعتق رقبة[5]، علماً أن الإمام لم يترك إلا ستة دنانير فضلت من عطائه وكانت جهازه[6].

وقد دفن في قرية على باب بيروت يقال لها حنتوس، وأهلها مسلمون، وهو مدفون في قبلة المسجد، وأهل القرية لا يعرفونه بل يقولون «ههنا رجل صالح ينزل عليه النور»[7].

وقبره الآن مشهور بخارج المدينة جنوب غربيها، وأصبحت هذه المحلّة تعرف باسمه.

وحول مقام الإمام الأوزاعي من الجهة الشرقية يوجد بعض القبور القديمة قيل أنها كانت لنخبة من العلماء بينهم: ابنه محمد، والوليد بن مزيد العذري البيروتي، وأبو الفضل بن العباس ابن الوليد البيروتي[8].

---

(١) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٤٥.
(٢) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٢٥ وص ٤٤.
(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٥ ـ وانظر شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٦.
(٤) شفيق طبارة، معابد بيروت، الزوايا، ص ٤٨٩، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١، ت ٢ ١٩٥٥ م.
(٥) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٧ ـ وانظر الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٦.
(٦) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٧٩.
(٧) داود كنعان، المرجع السابق، ص ١٩ ـ وانظر الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٢٥.
(٨) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٨٧.

ولم نعرف إلى الآن لماذا دفن الإمام الأوزاعي في حنتوس مع كونه توفي في باطن بيروت كما أشارت المصادر؟! وقد سألت بعض المسنين[1] حول دفن الإمام الأوزاعي فأفادوا أنه عندما توفي الإمام جهزت الجنازة إلى إحدى مدافن بيروت، ولكن النعش لم يسر في الاتجاه المراد له، فأشار أحد المؤمنين أن يوضع النعش على جمل ويترك الجمل يتجه حيث يشاء وسار الناس خلفه حتى وصل إلى مدفنه، وهذه الرواية نقلت إلى آبائنا عن طريق التواتر، وقيل إنه دفن في حنتوس بناء على طلب من نصارى الساحل[2]، والله أعلم.

الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام:

أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام وعالمهم، وقيل أنه أجاب في سبعين ألف مسألة[3]، فهذا الرقم ضخم جداً مما يدل على سعة علم الإمام وكثرة المسائل الفقهية التي أجاب عنها.

وعمل بمذهبه في الشام نحو مائتي سنة[4]، (وأول من عمل بمذهبه في دمشق أبو زرعة محمد بن عثمان، وكان يلي قضاء الشام والخطابة والإمامة بجامع بني أمية من كان على مذهب الإمام الأوزاعي)[5].

وكان عظيم الشأن وكان أمره فيهم أعز من سلطانهم[6]، وعرف عنه أنه

---

(١) مقابلة مع إبراهيم قرقوطي، تاجر قطع سيارات، ٧٥ عاماً نقلاً عن أبيه، المقابلة أجريت بتاريخ ١٥/٤/١٩٨٨م ـ ومقابلة مع سامي فايد موظف في القطاع الجمركي، ٥٧ عاماً نقلاً عن أبيه عن جده، المقابلة أجريت بتاريخ ٣/٢/١٩٨٨م.
(٢) فيليب حتي، المرجع السابق، ص ٣٣٠ وما بعدها.
(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٤ و ١٥ ـ وانظر داود كنعان، المرجع السابق، ص ١٩.
(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٤ و ١٥ ـ وانظر الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٤، وانظر د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤١.
(٥) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤٠.
(٦) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٥ ـ وانظر د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ١٨٩.

«كان يحفظ ألف ألف حديث»[1]، فذلك دلالة على سعة علمه إذ أن الأحاديث مبالغ في عددها. أما آخر من عمل بمذهبه (أحمد بن جندلم قاضي الشام، وقد دام مذهب الإمام في بلاد الشام إبان حياته، وبقي حتى أواسط القرن الرابع الهجري حيث حل مكانه مذهب الإمام الشافعي)[2].

مذهب الإمام الأوزاعي في الأندلس:

دام مذهب الإمام الأوزاعي في الأندلس طيلة أربعين سنة[3]، «منذ خلافة أول الخلفاء الأمويين عبد الرحمن الداخل بن معاوية إلى زمن ثالث خلفائهم الحكم بن هشام»[4]. بينما يذكر الأمير شكيب أرسلان «أن المذهب ظل سائداً في الأندلس إلى زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن الأموي إذ غلب مذهب الإمام مالك، وذلك في أوائل المائتين للهجرة»[5].

وقيل إن مذهب الإمام الأوزاعي نقل إلى الأندلس بواسطة «ساشاطو بن سلمة» الذي كان من تلاميذ الإمام، ولذلك كان يقال له الشامي، رغم أنه كان في الحقيقة أندلسياً، وقد عثر على اسم الإمام الأوزاعي بـ«الأوزيعي» Auziy في الكتابات الأندلسية نظراً لنطق الأندلسيين بالإمالة[6]، والذي ساعد على نشر المذهب في الأندلس هو صعصعة بن سلام بن عبد الله المتوفى سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م عندما انتقل من دمشق إلى قرطبة، ومحمد بن أحمد العتبي القرطبي (المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م) الذي كان على مذهب الإمام

(١) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٩٢.
(٢) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤١.
(٣) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤١ ـ وانظر صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٥ ـ وانظر الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٤.
(٤) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤١.
(٥) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٤ و ٥.
(٦) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٨ ـ نقلاً عن المستشرق الإسباني كوندي في تاريخ «استيلاء العرب على إسبانية» وعلق على الكتاب المستشرق دوماريليتس.

الأوزاعي ثم انتقل إلى المذهب المالكي[1]. «ثم تناقص مذهب الإمام الأوزاعي في الأندلس بعد أن بقي مدة أربعين سنة، ليحل مكانه مذهب الإمام مالك الذي أدخله إلى الأندلس زياد بن عبد الرحمن اللخمي، وذلك بأن جلب للأندلس مُوَطَّأ مالك، ثم تلاه يحيى بن يحيى»[2].

تعدد المذاهب الفقهية في العهد العباسي:

مما تقدم نرى أن مذهب الإمام الأوزاعي بعد أن انتشر قرابة مئتي عام في بلاد الشام حل محله المذهب الشافعي، بينما في الأندلس حل مكانه المذهب المالكي مما يؤكد على وجود عدة مذاهب فقهية في العهد العباسي.

وكان أبرز هذه المذاهب، مذهب أبي حنيفة، ومالك، والحسن البصري، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن شبرمة، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، والشافعي وابن حنبل، وغيرهم[3]. غير أن هذه المذاهب قد خف استعمالها واندثرت مع الأيام، ولم يبق منها إلا المذاهب الأربعة المعروفة.

ويعتبر مذهب الإمام الأوزاعي من أهم المذاهب الفقهية السابقة، إذ عدّ جمهور الأئمة الإمام الأوزاعي من أصحاب المذاهب الفقهية، فقد «قال الإمام مالك للخليفة المهدي ـ عندما طلب إليه أن يدون فقهه ليحمل الأمة عليه ـ: إن في كل صقع إماماً يكفيهم مصرحاً عن أهل الشام أن فيهم الرجل الذي علمته... يعني الإمام الأوزاعي»[4]. وكان الإمام مالك يقول عنه أنه يصلح للإمامة[5].

(١) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤٢.
(٢) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤١.
(٣) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٧.
(٤) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٨.
(٥) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٩ و١٠.

هذا، وذكر يحيى القطان «أنه سأل الإمام مالك، لما اجتمع عنده الأئمة الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة أيهم أرجح؟ فأجابه: الأوزاعي»[1]. لذلك كان الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام والأندلس دون منازع ولفترة طويلة من الزمن. ولكن هناك سؤال يطرح نفسه، لماذا اندثر مذهب الإمام الأوزاعي؟

اندثار مذهب الإمام الأوزاعي:

إن من شروط تأسيس المذهب الفقهي أن يكون مؤسسه حائزاً على صفات المجتهد المطلق من رجاحة العقل إلى العلم بمدارك الأحكام... ومن شروطه أن يكون لهذا المذهب نهج فقهي خاص مستقل عن غيره[2]. وإن جميع هذه الشروط موجودة عند الإمام الأوزاعي، وهو إمام أهل الشام في عصره دون منازع. غير أنه «يشترط لبقاء المذهب واستمراره أن يكون له تلاميذ قديرون يدونونه وينشرونه، وأن تساعده ظروف أخرى... كتبنّي الخلفاء أو الولاة للمذهب أو سهولة الاتصال بمؤسس المذهب...»[3] وإن توافر هذه الظروف يساعد كثيراً على نشر المذهب دون غيره.

أما سبب اندثار مذهب الإمام الأوزاعي فيعود:

١ ـ لبعد مدينة بيروت التي رابط فيها عن حاضرة الخلافة.

٢ ـ إن الذين كتبوا فقه الإمام كانوا قلّة وأشهرهم «الوليد بن مزيد»، علماً أن هذا التدوين لم يصل إلينا إذ أن توالي الحروب عبر العصور ضيع ثروات قيمة من الكتابات ومن ضمنها فقه الإمام رحمه الله.

---

(١) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٦٦. ويذكر أرسلان أن يحيى بن سعيد القطان هو حافظ العراقي المتوفى سنة ١٩٨هـ.

(٢) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٣) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤٦.

ومن أسباب اندثار مذهب الإمام في بلاد الشام أنه لم يعد شاملاً وملماً بشؤون الحياة ومتطلباتها فهذا لا يعني أني أنقص من حق الإمام وسعة علمه.

أما بالنسبة إلى التدوين فقد «ذكر المؤرخون أن الإمام صنف كتبه على يحيى بن أبي كثير في اليمامة، وأنه أول من صنف في الفقه في بلاد الشام، وأن له من الكتب: «السنن في الفقه، وكتاب المسائل في الفقه»[1].

هذا، وتناول الكثير من الكتّاب سيرة الإمام وآثاره في عدة كتب اندثرت جميعها منها كتاب ألّفه صالح بن يحيى[2]، وكتاب «الأقوال الصحيحة في أصول مذهب الأوزاعي» للأمير النعمان بن عامر الأرسلاني[3].

الإمام الأوزاعي عابداً:

كان الإمام رحمه الله عابداً، يحيي الليل وهو قائم يصلي، حتى يبلل موضع سجوده من بكاء الليل[4]. وهو بذلك يعمل بقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[5]. ومن كثرة خشوعه أنه «دخلت امرأة من جيرانه على امرأته فرأت الحصير التي يصلي عليها بالليل مبلولة، فقالت لها: لعل الصبي بال ها هنا، فقالت: هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده. وقالت: هكذا تصبح كل يوم»[6]. وقد ذكر المولى عز وجل الخاشعين في كتابه العزيز في عدة مواضع بقوله: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[7]. «وكان الإمام رحمه الله كثير العبادة، كثير الصمت، كان يذكر أن من أطال القيام في الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة»[8].

---

(١) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٣ و ١٤.

(٣) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٤) د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٥) سورة الإسراء: آية ٧٨.

(٦) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٧) سورة مريم: آية ٥٨.

(٨) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٧٥.

وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً. إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾[1].

اتصال الإمام بالحكام:

لعل أبرز ما كان في حياة الإمام علاقته بالحكام، خاصة شفاعته بالنصارى من أهل العاقورة الذين نقضوا عهد الأمان وعاثوا فساداً في البلاد، فكانوا يغيرون على البقاع والثغور[2]. عند ذلك ما كان من الحاكم العباسي «ابن علي العباسي» إلا أن أمر جيوشه بالهجوم على المردة الذين خرجوا على طاعة الدولة العباسية، ولما ظفر بهم أراد أن يجلي القسم الأكبر منهم عن أرض الشام[3]. فما كان من الإمام إلا أن طلب من الحاكم العباسي الصفح عن هؤلاء الثائرين الذين عصوا، وقال له قوله المأثور وهو الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[4]، فما كان من الأمير إلا أن امتثل واستجاب للإمام وعفا عن الجميع[5]. وقد رد للمسيحيين ما كان لهم من الأموال والأملاك التي كانت مصادرة منهم. وكان لهذا الموقف مع النصارى شأن، إذ أن الإفرنج عندما دخلوا بيروت أزالوا منها كل المعالم الإسلامية حتى المقامات والأضرحة التي دفن فيها المسلمون ولم يتركوا فيها إلا مقام الأوزاعي استجابة لشفاعته لأسلافهم النصارى[6].

هذا، وقد كتب الإمام رسالة إلى الخليفة أبي جعفر المنصور يصف له

---

(١) سورة الإنسان: آية ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ١٦.

(٣) كامل محيي الدين الداعوق، علماؤنا، ص ٧.

(٤) سورة فاطر: آية ١٨.

(٥) كامل محيي الدين الداعوق، المرجع السابق، ص ٧.

(٦) طه الولي، المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٥ ـ وانظر د. صبحي المحمصاني، المرجع السابق،ص ٢٥. هذا وسلم من الهدم أيضاً جامع شمس الدين وزاوية حسن الراعي اللذين زالا منذ عهد قريب، راجع طه الولي، المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٥.

حال المرابطين في السواحل، وأن الأعطيات لم تعد تكفي ويصف له الحياة القاسية التي يواجهونها.

وقد كتب الإمام ما نصه: «... كان أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ قصَّر بأهل الساحل على عشرة دنانير في كل عام سلفاً من أعطياتهم، وأمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ إن نظر في ذلك عرف أنه ليس في عشرة دنانير لأحد ذي عيال عشرة، أو أدنى من ذلك أو أكثر... ولو أجرى عليهم أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ سلفاً في كل عام خمسة عشر ديناراً ما كان فيها عن مصلح ذي عيال فضل ولا قدر كفاف، وأهل الساحل بمنزل عظيم غناؤه عن المسلمين، فإنه لا يستمر لبعوث أمير المؤمنين فصول إلى ثغوره، لا سيما في بلاد عدوّهم حتى يكون وراء بيضتهم وأهل ذمتهم بسواحل الشام من يدفع عنهم عدواً وإن هجم عليهم، وإنهم إذا كان القيظ تناوبوا الحرس على ساحل البحر، رجالاً وركباناً، وإذا كان الشتاء قاسوا طوال الليل وقره ووحشته حرساً في البروج، والناس خلفهم في أجنادهم في البيوت. فإن رأى أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ أن يأمر في أعطياتهم قدر الكفاف، ويجريه عليهم في كل عام، فعل. وقد تصرفت السنة التي كانت تأتيهم فيها عشراتهم، ودخلوا في غيرها حتى اشتدت حاجتهم وظهر عليهم ضرّها، وهم رعيته. وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «إنه لحبيب إليّ أن أفارق الدنيا وليس منكم أحد يطلبني بمظلمة في نفسه ولا ماله». أتم الله على الأمير نعمته وأحسن بلاءه في رعيته... جعل الله أمير المؤمنين برسوله ﷺ متشبهاً في رأفته ورحمته... والسلام»[1].

بهذه المواقف كان الإمام الأوزاعي يرابط ويدافع ويجاهد ليس فقط بالسلاح بل بدعم المجاهدين في سبيل الله والوقوف في صفهم ورفع معنوياتهم.

---

(١) أنظر د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، ص ٨٥، دراسات تاريخية، العدد الخامس، تموز ١٩٨١ ـ وانظر د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٨ و ١٩، الفكر الإسلامي، العدد ٩، السنة ١٦، أيلول١٩٨٧م، وانظر شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٣٥٦ و ٣٥٧.

زاوية الإمام الأوزاعي:

تقع هذه الزاوية في مدخل سوق الطويلة إلى يسار الداخل، وهي غربي زاوية الشيخ محمد خضر العراقي، وقد كان لهاتين الزاويتين سبيل ماء في القرن العاشر الهجري[1]، وهذه الزاوية عبارة عن بيت الإمام حيث رابط فيه واتخذه مسكناً، والزاوية داخل ثغر بيروت وملاصقة لسورها الغربي، وقد هدمت هذه الزاوية وأقيم مكانها مخزن مخصص ريعه للأوقاف الإسلامية، وفي أعلاه حجرة أعدت للصلاة وتعرف اليوم بزاوية الأوزاعي، ويذكر بأن لهذه الزاوية أوقاف لعبت بها أيدي العابثين على توالي الأيام[2].

وكانت الغاية من رباط الإمام الأوزاعي في بيروت واتخاذها مسكناً له، هو المساهمة في حراسة الشواطىء ضد أعداء الإسلام من جهة، وتفقيه الناس ونشر العلم والمعرفة والعدالة بين الناس من جهة أخرى.

بعض المرابطين في بيروت:

نزل بيروت عدد كبير من المرابطين على نية الرباط، فمنهم من اتخذ بيروت كمسكن دائم ومنهم من نزلها مرة ثم رابط في غيرها من سواحل الشام. ومنهم من رابط فيها ثم انتقل إلى أماكن داخلية أخرى.

ومن الوعاظ والمحدثين الذين رابطوا في بيروت واتخذوها سكناً لهم «ابن كعب الذي كان يعظ المسلمين، ومجاهد الذي كان يقص على الناس، ويقرئهم القرآن الكريم»[3].

وكان حرياً بالمسلمين الأوائل أن يكون لديهم مسجدٌ يقيمون فيه الصلاة، «وقد وجد في بيروت «المسجد الجامع» في أواخر العهد الأموي،

(١) داود كنعان، المرجع السابق، ص ١٩ ـ وانظر أيضاً شفيق طبارة، معابد بيروت، ص ٤٨٩، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١، ت٢، ١٩٥٥م.
(٢) شفيق طبارة، معابد بيروت، ص ٤٧٩، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١، ت ٢، ١٩٥٥ م.
(٣) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٥٠.

وعرف بمسجد ورد»[1]. كما وجد مسجد آخر هو «مسجد البدوي الذي كان مركزاً لرباط المسلمين ثم تحول إلى مسجد وكان يمتاز بطابع الأذكار التي تقام على الطريقة البدوية نسبة للشيخ الصوفي أحمد البدوي، ويقع هذا المسجد بجانب خان البربير في ميناء بيروت القديم وكان بينه وبين البحر طريق»[2].

ومن المرابطين الذين رابطوا فيها، نرى منهم على سبيل المثال لا الحصر:

محمد بن الإمام الأوزاعي:

لم نعرف عنه سوى أنه كان من عباد الله الصالحين، وقد سكن بيروت كمرابط. وقد ذكره صالح بن يحيى بقوله: «وممن سكن بيروت (محمد ولد الأوزاعي) كان عابداً قانتاً وعاش بعد أبيه عشرين سنة»[3]، ودفن بجوار أبيه في قرية حنتوس.

الوليد بن مزيد العذري البيروتي (١٢٦ هـ - ٢٠٣ هـ) (٧٤٣ م - ٨١٨ م):

وهو من المرابطين الذين رابطوا في بيروت وعالماً من علمائها الأوائل، وكان أفضل من أخذ العلم عن الإمام الأوزاعي. وكان الوليد ثقة ولم يكن يحفظ، وكانت كتبه صحيحة، (مات سنة ٢٠٣ هـ/ ٨١٨ م) عن سبع وسبعين سنة[4]. ودفن بالقرب من مقام الإمام الأوزاعي مع عدد من أتباع الإمام منهم ابنه محمد[5]. وقد أخذ العلم عنه ابنه أبو الفضل العباسي، وأبو مسهر، وعبد الله بن إسماعيل[6].

(١) المرجع السابق، ص ٥٠.
(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٤ و ١٥.
(٣) أسعد تميم، المرجع السابق، ص ١٠٧.
(٤) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٣٢ وص ٥٠.
(٥) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٨٧.
(٦) الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ٥٠.

إبراهيم بن أدهم:

كان من المرابطين الذين رابطوا في الساحل الشامي قدم إلى بيروت وأقام بها مدة وتردد على الإمام الأوزاعي. وقد سمعه في بيروت الإمام نفسه و«أبو الحسن علي بن بكار البصري الزاهد»، و«سهل بن هاشم الواسطي البيروتي» نزيل دمشق، وكان يصحبه أثناء رباطه في بيروت وساحل الشام «بقية بن الوليد» المتوفى سنة ١٩٧ هـ/٨١٢ م كما كان يصحبه أيضاً في غزواته البحرية[١]. ثم انتقل أخيراً إلى صور ورابط بها حتى استشهد هنالك وهو يجاهد في سبيل الله ضد القراصنة البيزنطيين الذين كانوا يغيرون باستمرار على السواحل الشامية[٢].

إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم:

«ولد سنة ٦١ هـ/٦٨٠ م، وأدرك معاوية وهو صغير، وكان يؤدب أولاد عبد الملك بن مروان، ثم صار والياً على قسم من أفريقية في عهد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠هـ/٧١٨ م، وكان حسن السيرة وأسلم أثناء ولايته لأفريقية عامة البربر، ثم عاد إلى الشام ونزلها على نية الرباط وقدم إلى بيروت في أواخر عهد الدولة الأموية وكان متشدداً ضد المعتزلة، وحينما التقى بالإمام الأوزاعي سأله إن كان منهم فأجاب الإمام بالنفي وتوفي في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩ م»[٣].

حسان بن سلمان، أبو علي الساحلي:

وكان ممن قدم الساحل الشامي للرباط فيه ونزل بيروت مدة سمع خلالها من سفيان الثوري والإمام الأوزاعي، وروى عنه أبو حفص عمر بن الوليد الصوري. ثم انتقل إلى صور ورابط فيها[٤].

(١ و٢) د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، ص ٨٧، دراسات تاريخية، العدد الخامس، ١٩٨١.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٠.

علي بن ميمون:

المكنى بأبي الحسن الهاشمي القرشي المغربي أصله من جبل غمارا من معاملة فاس في المغرب... وصل إلى ساحل الشام، ونزل بيروت على نية الرباط، وفيها تعرف على ابن عراق، وصحبه، ولما دخل بيروت استمر ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً وصادف أن ابن عراق كان هناك، فأتى بطعام. وقال لأحد الموجودين: ادع لي ذلك الفقير، فقام ابن ميمون لزيارته، وفي أثناء الطريق لعب ابن عراق على جواده كعادة الفرسان، فضحك ابن ميمون، عندئذ سأله ابن عراق: أتحسن لعب الخيل أكثر مني؟ قال: نعم. فنزل ابن عراق عن فرسه، وركبها ابن ميمون، ولغب على الجواد، فعرفوا مقداره في ذلك ثم انفتح الأمر بينهما[١]. ودفن في قرية مجد المعوش من قرى الشوف[٢].

ابن عراق:

هو محمد بن علي بن عبد الرحمن، أبو علي الشهير بابن عراق، وكان ابن عراق قد سأل أصحابه عن المكان الذي يرابط فيه، فأشاروا عليه ببيروت، ونزلها على نية الرباط والمرابطة والجهاد وطلب العلم، فاتخذ لنفسه زاوية[٣].

وقد أخذ ابن عراق علمه عن الشيخ علي بن ميمون المغربي... ثم انتقل إلى مصر فأخذ العلم عن شيخ الإسلام زكريا الحافظ الجلال السيوفي، أما عن رباطه في بيروت فقد بقي فيها مدة طويلة، ثم خرج منها عن كل ما

---

(١) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٨٥، الفكر الإسلامي، العدد ١١، السنة ١٦، ت ٢ ١٩٨٧م.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٧ و ٨٨ - ويذكر د. تدمري أن قرية مجد المعوش كانت من أملاك ابن عراق في جبل لبنان، وأهلها الآن دروز ونصارى... وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٣) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٨٥، الفكر الإسلامي، العدد ١١، السنة ١٦، ت ٢ ١٩٨٧ م.

يملك ورفض الدنيا وأعرض عنها، وله الكثير من المؤلفات في التصوف وكان يقصده الناس لأخذ الطريقة عنه، وقد توفي في مكة المكرمة سنة ٩٣٣ هـ ١٥٢٦ م ودفن فيها[١].

زاوية ابن عراق:

تقع هذه الزاوية تجاه زاوية الإمام الأوزاعي في سوق الطويلة، وقد بناها ابن عراق، وكانت داراً لعياله ورباطاً لفقرائه، وفي أوائل القرن العشرين كانت هذه الزاوية مدرسة دينية لتعليم «القرآن الكريم» وشيخها كان يسمى الشيخ عبد الرحمن البنداق[٢]. وقد تحولت الزاوية فيما بعد (٧٩ هـ/ ٨٠٨ م) إلى دكاكين تجارية، مؤلفة من عقارات «وقف العلماء» الذي ينفق ريعه على أزهر لبنان (كلية فاروق الأول الشرعية سابقاً)[٣].

ولم يبق من حالة الزاوية سوى القبة التي تغطي جزءاً ضيقاً من الأرض يضم بعض قبور الصالحين[٤].

محمد بن علي بن موسى الدمشقي (٧٥٢ هـ - ٨٥٢ هـ/ ١٣٥٢م - ١٤٤٨م):

«وهو الشيخ شمس الدين المعروف بابن قُدَيْدَار وهو من المرابطين الذين نزلوا بيروت وله الزاوية الرباطية القديدارية ببيروت، واشتهر بقراءة القرآن وتلاوته بالقراءات السبع، وصحب الشيوخ، وأقبل على العبادة واشتهر بعد سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨ م، وبلغ من شهرته أن تيمورلنك لما وصل الشام أرسل إليه رجالاً لحمايته، وكان السلطان المؤيد «شيخ المحمودي» يحترم قدره، وقد أرسله في سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥ م رسولاً من طرفه إلى الملك

---

(١) أسعد تميم، معالم المسلمين في بيروت، ص ٩٧، رسالة ماجستير، بإشراف د. زاهية قدورة.
(٢) أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٩٧.
(٣) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٩٠.
(٤) أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٩٧.

الناصر «فرج بن برقوق» وحين دخل القاهرة اجتمع به الحافظ المؤرخ ابن حجر وسمع عنه»[١].

كان محباً للعلماء متواضعاً، حسن السيرة، وقد تردد إلى بيروت للمرابطة فيها، وجعل بها زاوية جمع فيها السلاح، علماً أن كلمته كانت مسموعة لدى الفرنج الصليبيين، وقد مات ليلة عيد الفطر، ودفن صبيحتها، وكان جنازته مشهورة، وقد عاش حوالي المئة عام[٢].

محمد بن قاضي عجلون:

كان أبوه قاضياً في عجلون بفلسطين. . . وقد ذكر «أنه صاحب برج حربي في ساحل بيروت، وقيل أنه ذهب إلى بيروت في السابع من شهر رمضان سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨ م وجالس نائب الشام. . . وفي أول سنة ٩٠٧ هـ/ ١٥٠١ م ذهب بصحبة خاصكي، وعلى يديه خلعة لنائب صفد، وطلب منه أن يصل معه إلى بيروت ليشاهد البرج الذي جدّده بها، ويكتب بعد ذلك إلى السلطان في مصر ليأمر بوقف الأموال والسلاح للمرابطين فيه»[٣].

عبيد الله بن عبد الكريم بن مزيد، أبو زرعة الرازي:

كان من الحفاظ المتجولين، ورحالة في طلب العلم، نزل بيروت ورابط فيها مدة أثناء رحلته، وقال: «لا أعلم أنه صح لي رباط يوم قط إلا ببيروت»، هذا وقد سمع عبد الله بن محمد بن بشير البعلبكي وعمرو بن هاشم، والعباس بن الوليد البيروتيين. . . ثم زار العراق ومصر وأخذ العلم على يد

---

(١) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٨٨، الفكر الإسلامي، العدد ١١، السنة ١٦، ت ٢ ١٩٨٧م.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٨.
(٣) المرجع السابق، ص ٨٩.

أكبر شيوخ عصره[1]. ثم عاد إلى بغداد والكوفة والبصرة وجالس الإمام أحمد بن حنبل، وكان أحمد بن حنبل يقول: «إن هذا الفتى - يعني أبا زرعة - ، قد حفظ ستمائة ألف حديث». ولد سنة ٢٠٠ هـ/٨١٥ م وتوفي بالري أواخر سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م[2].

محمد بن يوسف بن إلياس، أبو عبد الله الرومي القونوي الحنفي:

«قدم دمشق واشتغل بالعلم والعبادة إلى أن فاق أهل زمانه، وارتفع صيته، وصنف التصانيف المفيدة، وكان يكاتب بيدمر نائب الشام فيما يعرف لمن يقصده من الناس من الحوائج»[3].

وقد كتب إلى حاكم مصر برقوق ليغير اسمه . . . عندما تولى السلطة. فكتب إليه: «أما بعد، فإن برقوق اسم هجين لا يليق بالملك وقد استخرت الله تعالى وسميتك أحمد ولقبتك بنظام الملك فأشع ذلك في عملك»، وكان السلطان برقوق اجتمع به في دمشق وأخذ عليه البيعة في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وله فيه اعتقاد، وزار القاهرة مرتين[4].

وكان الشيخ يتردد إلى صيدا وبيروت للمرابطة، وقد اشترك في القتال في واقعة جرت عند ثغر ضد الفرنج الصليبيين سنة ٧٨٥ هـ/١٣٨٣ م[5]. مما يدل على جهاد المرابطين واشتراكهم في المعارك والقتال فيها.

هذا، وقد بنى برجاً على ساحل بيروت، وبنى مسجداً عرف بمسجد

---

(١) و(٢) د. عمر تدمري، الرباط والمرابطون، ص ٩١ و ٩٢، دراسات تاريخية، العدد الخامس، تموز ١٩٨١م.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ص ٢٩٢، جـ ٤، ط ١، طبع دائرة المعارف العثمانية في الهند، حيدر آباد الدكن، سنة ١٣٥٠ هـ.

(٤) ابن حجر، المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٥) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٨٩، الفكر الإسلامي، العدد ١١، السنة ١٦، ت٢، ١٩٨٧ م.

«شمس الدين» وكان قائماً في سوق البازركان، (وهذا المسجد لم يعد موجوداً، إذ هدمته المديرية العامة للأوقاف الإسلامية سنة ١٣٦٩ هـ/١٩٤٩ م ورفعت مكانه بناية تجارية، ولم يبق مما يدل عليه إلا اسمه المكتوب على بلاطة علقت فوق مدخل البناية، كتب عليها «مديرية الأوقاف الإسلامية العامة، بناية وقف جامع شمس الدين»[1].

وبفضل الرباط والمرابطة في الثغور، استطاع هؤلاء المجاهدون المرابطون أن يحافظوا على بيروت وإعمارها وتحصينها مع سائر الساحل الشامي من أيدي العابثين الذين يتربصون لينالوا من الإسلام وأرضه.

---

(١) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ٨٩، الفكر الإسلامي، العدد ١١، السنة ١٦، ت ٢ ١٩٨٧م - وانظر طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٧٧.

الفصل الرابع

التنظيمات العسكرية في العهود الإسلاميـة الأولى حتى العهد العثماني

- لمحة تاريخية عن بدء البحرية الإسلامية
- الأسطول الإسلامي
- صناعة السفن في بيروت
- غابة الصنوبر
- غابة الصنوبر مصدر هام للأخشاب
- إبراهيم باشا يجدد الصنوبر حول بيروت
- الحرج (الحرش) مكان لمرور العسكر ولعقد الاجتماعات
- التدريب على الفروسية تحت الصنوبر
- التنظيم البري:
  - الإنكشارية
  - الرتب في الجيش
  - الجيش في عهد الأمير فخر الدين
  - الشرطة
  - التجنيد

ـ لمحة تاريخية عن بدء البحرية الإسلامية :

منذ فتح بلاد الشام وسيطرة المسلمين على شواطىء البحر الأبيض المتوسط، قام المسلمون بوضع خطة دفاعية تستهدف تأمين فتوحاتهم، فعمدوا إلى الثغور البحرية لحمايتها وشحنها بالحاميات والمقاتلة.

ثم نظر المسلمون إلى البحر فخاضوا غماره وانطلقوا به ليرفعوا راية الإسلام خفاقة بين أمم العصور الوسطى، حتى غلبت تسمية البحر الأبيض المتوسط بالبحر الشامي بينما كان يدعى من قبل البحر الرومي، وكان سكان السواحل يعانون الخطر الدائم من شن الغارات، وفي ذلك يذكر ابن خلدون: «... ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة إلى أهل عدوته[1]. والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوته يعانون من أحواله ما لا تعانيه أمة من أمم البحار»[2].

وأول من عرف أهمية البحر ومخاطره، معاوية بن أبي سفيان وإليه يعود الفضل الأول في رسم سياسة المسلمين البحرية منذ زمن مبكر، وحل

---

(١) العدوة: الثغر.
(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٢٧، جـ٢، ط ١، مهد لها ونشر فصولها د. علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٥٨ م.

المشكلة البحرية التي اعترضت المسلمين منذ فتوحاتهم الأولى في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وأدرك معاوية بثاقب نظره المقومات الضرورية اللازمة لبقاء المسلمين في حوض هذا البحر، فتطلع إلى إبعاد البيزنطيين عن سواحل الشام. «وعمد إلى الاستيلاء على الجزر القريبة من مقر ولايته والتي كانت قواعد للأساطيل البيزنطية»[1].

وكانت أول تجربة لمعاوية في الميدان البحري، عندما أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يستأذنه في غزو جزيرة قبرص، مظهراً خطورة هذا المعقل البيزنطي على سلامة مدن الساحل الشامي وجاء في خطابه «يا أمير المؤمنين إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص»[2].

ولكن الخليفة عمر (رضي الله عنه) كتب إلى عمرو بن العاص حين ملك مصر، أن صف لي البحر فكتب إليه: «إن البحر خلق عظيم، يركبه خلق ضعيف، دود على عود». فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه[3].

وقد رفض الخليفة عمر (رضي الله عنه) خوض غمار البحر لأن العرب كانوا أهل بداوة وليس لهم عهد بالبحر بعد. ويذكر ابن خلدون «أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه، والروم والفرنجة لممارستهم بأحواله والتقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته»[4].

ولما تولى خلافة المسلمين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كاتبه معاوية

(١) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٤.

(٢) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٤ - وانظر فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٢٨، جـ ٢ - وانظر أيضاً أمين الخولي، الجندية والسلم، واقع ومثال، ص ٨٤.

(٣) و (٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٢٨، جـ ٢ - وانظر أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٨٤.

بأهمية غزو الجزيرة القبرصية، وسمح له الخليفة بغزوها على أن يصطحب معه زوجته، وكان رد الخليفة «... إن ركبت البحر معك امرأتك، فاركب مأذوناً لك، وإلا فلا»[1].

وخرج معاوية بالحملة التي اتسمت بخروج النساء حيث اصطحب معه زوجته وأخته، وأخذ عبادة بن الصامت زوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية[2] وقد تكلمت عنها آنفاً. وكانت أول إغارة على قبرص، ثم وضعت هدنة بين أهل الجزيرة والمسلمين، وبموجبها يكون أهل قبرص على الحياد حيال الروم، وقد خرق هؤلاء الهدنة عندما مدّوا الروم بسفن ساعدتهم على مهاجمة الشواطىء الإسلامية بالشام، فصمم معاوية على استخدام أسطوله مرة أخرى ليحرم الروم نهائيا استغلال جزيرة قبرص وأهلها. وكان الأسطول الإسلامي الذي خرج في العام التالي لفتح قبرص سنة ٣٣ هـ/٦٥٤ م يتكون من خمسمائة سفينة وعدد كبير من الجند[3].

واستطاع الأسطول الإسلامي أن يسيطر على الجزيرة سيطرة تامة، وفي نفس السنة عمل معاوية على تدعيم نفوذ المسلمين في قبرص، فأرسل إليها اثني عشر ألف رجل من الجند النظامي، وأجرت لهم الدولة الإسلامية الرواتب ليكونوا جيشاً مقيماً بالجزيرة ليصد عنها عدوان البيزنطيين، ويقضي على أية إغارة يحتمل أن تمر بهذه الجزيرة[4]. وجاء احتلال الأسطول الإسلامي

(١) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٢ - وانظر أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٨٤.

(٢) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٢.

(٣) د. إبراهيم العدوي، الأساطيل العربية، ص ٢٥ - وأظن أن هذا العدد مبالغ فيه لأن أمين الخولي يذكر في كتابه الجندية والسلم ص ٨٤، أن السفن البحرية في أيام معاوية بلغت عدتها «١٧» قطعة فربما كان العدد فوق ذلك ودون الخمسمائة.

(٤) د. إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٤ - وانظر د. إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية، ص ٢٦.

لجزيرة قبرص حلاً لمشكلة حماية الشواطىء الإسلامية بالشام ومصر، والقضاء على المخاوف التي ساورت المسلمين عن قوة الروم البحرية.

وفي سنة ٣٣ هـ/٦٥٤ م أيضاً، خرج معاوية بالمقاتلين من ميناء صيدا إلى جزيرة رودس، ففتحوها وبقيت خراباً يباباً، حتى تولى معاوية الخلافة فأرسل إليها «جنادة بن أمية الأزدي الدّولي» من جديد سنة ٥٣ هـ/٦٧٤ م. وأرسل إليها المسلمين فرابطوا فيها وعمرها وبنى فيها مسجداً وشحنها بالمقاتلة وقواهم بالسلاح والمال وأمرهم بزراعة الجزيرة(١).

ولعل من أبرز القواد المخلصين في عهد معاوية في مجال البحرية «أمير البحر عبد الله بن قيس الحارثي»، إذ قام هذا القائد بخمسين غزوة بحرية صيفاً وشتاء دون وجل ولا خوف(٢). وهو نشاط ضخم لدولة ناشئة في الميدان البحري، تعاونت عليه قواعد المسلمين البحرية التي استهلت جهودهم بتحصينها ثم ما اتجهوا إليه بعد ذلك من تكوين أسطول إسلامي(٣) استفادوا منه في مجال القتال والجهاد من جهة والدفاع عن سواحل بلادهم من جهة أخرى.

ولا نجد ما بين عامي ٢٥ و ٣٥ هـ غارة بيزنطية على السواحل الإسلامية، بل بدأ المسلمون يشنون الحملات البحرية بدورهم(٤).

وخاض المسلمون عدة معارك بحرية، لعل أهمها معركة «ذات

(١) د. عمر تدمري، الرباط في ثغور الشام، ص ١٣، الفكر الإسلامي، العدد ٩، أيلول ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧ م.

(٢) د. إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٦٣ و ٦٤، وقد لقي هذا القائد حتفه حين كان متخفياً في أحد موانىء الروم بمهمة استطلاعية، فاشتبه به وقتل على الفور من قبل البيزنطيين.

(٣) كلمة أسطول ذات أصل رومي، وتعني سفن الحرب المجتمعة، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٦٧، جـ ٢.

(٤) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٢٧، جـ ٢.

الصواري»(١)، سنة ٣٤ هـ/٦٥٥ م التي وقعت قرب كيليكيا على ساحل آسيا الصغرى، التي كانت بداية موفقة للمعارك البحرية بين المسلمين والبيزنطيين.

وتعتبر موقعة ذات الصواري أول تفوق عسكري إسلامي على الأسطول البيزنطي، ذلك أن أسطول الروم كان يتألف من خمسمائة سفينة مزودة بآلات الحرب، راع منظرها المسلمين، لا سيما الذين سبق لهم أن اشتبكوا مع البيزنطيين في معارك بحرية(٢)، وقد اشترك في المعركة الامبراطور البيزنطي كونستانز نفسه، وكاد يؤسر في المعركة لولا أنه تنكر وهرب على ظهر مركب آخر اتجه به إلى صقلية، وانتصر المسلمون وكان على رأس قواتهم عبد الله بن أبي سرح والي مصر(٣).

ويعود السبب في ربح المعركة إلى الأسطول الهام الذي كان في حوزة المسلمين، مما جعل الامبراطور البيزنطي كونستانز يخرج في أسطول ضخم للقضاء على ما كان لدى المسلمين من أدوات للحرب في البحر المتوسط وتحطيم القوى البحرية في مهدها، ولو وفق في ذلك لظلت سيادة البحر الأبيض بيد البيزنطيين دون المسلمين، وقضت المعركة على اتصاف البحر المتوسط بالبحر الرومي وجعلته حرياً بأن يدعى بحر المسلمين.

الأسطول الإسلامي:

رأينا ما كان للأسطول الإسلامي من الأهمية في المجال البحري وقد تأسس بفضل جهود عبد الله بن أبي سرح والي مصر ومعاوية بن أبي سفيان في

(١) سميت ذات الصواري، لكثرة صواري السفن المشتركة في القتال، د. أحمد العدوي، الأساطيل العربية، ص ٤٢.

(٢) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٥.

(٣) د. إبراهيم العدوي، الأساطيل البحرية، ص ٣٨ وما بعدها.

الشام[1]. وكانت بمصر دور لصناعة السفن تخرج منها الأساطيل الحربية إلى قواعد الشام البحرية، حيث جرى النظام البحري على أن تتجمع السفن الإسلامية بموانىء الشام للهجوم على أراضي البيزنطيين القريبة منهم[2].

وبهذا الأسطول أصبح المسلمون في عهد الدولة الإسلامية من ذوي السلطان العظيم في البحر المتوسط وبفضل الجهاد والفتح، سيطروا على سائر الجزر المنقطعة عن السواحل. وفي ذلك يقول ابن خلدون «وكان المسلمون لعهد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه»[3].

أما في بلاد الشام فيعود الفضل في قيام المسلمين بأمور البحر إلى الأسطول الذي بناه العرب، بعد أن استقر لهم الملك وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم تحت سيطرتهم، فاستخدم المسلمون في البدء في حاجاتهم البحرية أمماً مارست البحر قبلهم، وبدأوا بصناعة السفن والشواني. وفي ذلك يذكر ابن خلدون: «فلما استقر الملك للعرب شمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولاً لهم وتحت أيديهم، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته، واستخدموا من النواتية[4] في حاجاتهم البحرية أمماً تكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بصراء بها، فشرهوا إلى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن فيه والشواني»[5].

(١) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ١٤ ـ ١٥، جـ ٢ ـ وانظر د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٥.

(٢) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٢٩، جـ ٢.

(٤) النواتية، جمع نوتي، وواضح فيها الأصل اللاتيني واليوناني، وهم الرجال الذين يعملون في السفن، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ٣٧٥، جـ ٢.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٢٨، جـ ٢ ـ أما الشواني فهي جمع شيني، أو شونة، وهي أقدم =

وأول من أمر ببناء الأسطول الإسلامي، معاوية الذي أدرك أنه لا يستطيع حماية الشواطىء من غزوات الروم إلا من خلال وجود أسطول يقوم بحراسة السواحل، لذلك نراه في سنة ٤٩ هـ/٦٦٩ م يجمع الصناع والنجارين ويرسلهم إلى عكا لينشىء بها أول دار لصناعة السفن بالشام إلى جانب دور الصناعة بمصر، وهدف من وراء ذلك إلى إيجاد أساطيل دائمة بموانىء الشام على استعداد لدفع أي هجوم بيزنطي مفاجىء[1]. علماً أنه كان في عكا قبل الفتح الإسلامي أحواض بيزنطية لبناء السفن فرممها، وكانت الغابات في جبل لبنان، مصدراً هاماً وغنياً للأخشاب التي اشتهرت عبر التاريخ بصلاحيتها للمجاذيف والاستعمالات الأخرى، هذا وجهز معاوية مراكبه بالملاحين من أهل الساحل الشامي الذين كانوا يتمتعون بشهرة عالمية في مجال الملاحة البحرية[2]. ثم تتابعت القواعد البحرية على امتداد الساحل الشامي كصور وصيدا وبيروت[3] . . .

صناعة السفن في بيروت:

كان ميناء بيروت إضافة إلى الموانىء الأخرى كصيدا وصور وعكا مركزاً هاماً لصناعة السفن الإسلامية لا سيما في عهد معاوية بن أبي سفيان إذ

= أنواع السفن التي عرفها المسلمون واهتموا بصناعتها، وظلت معروفة حتى عهد الدولة العثمانية، وكانت قبلهم معروفة للرومان، وكان المسلمون يتخذون بها الأبراج العظيمة، درويش النخيلي، السفن على حروف المعجم، ص ٨٣ ـ وانظر أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٨٨.

(١) د. إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٩ و ٨٠.

(٢) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٣٩٥ ـ ويذكر جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٧، أن الفرس في أواسط القرن السادس ق.م أحسنوا معاملة الفينيقيين للإستعانة بسفنهم في فتوحاتهم.

(٣) د. فيليب حتي، المرجع السابق، ص ٢٩٥.

ساهمت هذه المدينة بتجهيز المراكب التي أراد معاوية أن يرسلها لتحميل الجيش الإسلامي لغزو جزيرة قبرص فكانت بيروت دار صناعة دمشق[1].

«ولما استعاد المسلمون بيروت والساحل الشامي من الصليبيين، أرسل يلبغا الأتابكي نائب دمشق إلى بيروت الأمير بيدمر الخوارزمي ليشرع بعمارة شواني وحمالات ومراكب كثيرة، وأن يحصنها جيداً وذلك سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥ م»[2].

هذا وحرص الأمير بيدمر الخوارزمي (المتوفى ٧٨٩ هـ/١٣٨٧ م) على تحسين مرفأ بيروت والاهتمام به، وجعله مركزاً لصناعة السفن الحربية بعد أن أمر بقطع الأخشاب من حرج بيروت وجلبها إلى منطقة المرفأ لصناعة السفن والشواني، وتم صنع تلك المراكب ما بين المسطبة[3] وساحة بيروت والميناء[4].

هذا وحرص المسلمون على الحذر في صناعة المراكب حيث كانوا يخفونها عن أعين الأعداء ويخافون أن يأتي هؤلاء ويحرقوا ما تمت صناعته من السفن والشواني[5].

وكان يدخل في بناء السفن بالإضافة إلى الخشب، المعادن لصناعة المسامير والمراسي والروابط المختلفة التي كانت تستعمل لتصل بين ألواح

---

(١) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٣٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٣٠.

(٢) سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٨.

(٣) المسطبة، يقصد بها منطقة المصيطبة التي عمر بها الأمير بيدمر المراكب التي كانت تصنع بها بعيداً عن البحر، صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٣٤ و ٣٥.

(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٣٤ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٣٠.

(٥) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٣٥.

السفن فيما بينها، علماً أن الحديد كان يستورد من إسبانيا إذ أن مناجم الحديد فوق بيروت[1] لم تكن تغطي حاجة الاستهلاك المحلي لتلك الصناعة.

ولم يقتصر أمر بيروت على المساهمة في بناء السفن بل تعدى ذلك إلى المشاركة في الجهاد ويتجلى ذلك في سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٨ م عندما سار الأمير جمال الدين الأرسلاني بمائتي رجل من المدينة على ظهر الشواني إلى قبرص حيث حضرت عساكر الدولة لغزوها[2].

ثم خفت بعد ذلك صناعة المراكب في بيروت ولم يبق منها إلا محاولات بسيطة، خلال فترة الحكم المملوكي، إذ شهدت موانىء طرابلس وبيروت محاولات لبناء بعض المراكب الحربية الخاصة[3].

أما خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر فقد انعدمت صناعة السفن الحربية، وكل ما نراه أن الأمير فخر الدين المعني عندما هاجم طرابلس سنة ١٠٣٠ هـ/ ١٦٢٠ م، استعان بغليونين فرنسيين (مركبين حربيين) استأجرهما ووضع فيهما خمسين رجلاً من السكان ليحاصر طرابلس من جهة البحر ويمنع عنها الإمدادات[4].

إذن نرى أن صناعة السفن الحربية في بيروت خفت تدريجاً حتى انعدمت نهائياً منذ القرن السابع عشر.

---

(١) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٩٥.

(٢) سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٩.

(٣) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٩٠ ـ وانظر نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ص ٩٧.

(٤) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١٩٠.

غابة الصنوبر :

مما تقدم نرى أن بيروت اعتمدت على الغابات القريبة من المرفأ لاستخدامها في صناعة السفن ومن أقرب الغابات مسافة إلى المرفأ، لذا كانت غابة الصنوبر المحيطة بالمدينة تساهم بأخشابها لإمداد الصناع بالمواد الأولية، إن كان لصناعة السفن أو لاستخدامها في أدوات الحصار الحربي. ولا بد هنا من إعطاء لمحة تاريخية عن هذه الغابة التي تعود بتاريخها إلى ما قبل الفتح الإسلامي.

وقد ذكرها في القرن الرابع الميلادي شاعر بيزنطي[١]، كما ذكرها بعض الجغرافيين العرب كالإدريسي بقوله: «بيروت غيضة من أشجار الصنوبر سعتها اثنا عشر ميلاً تصل إلى نحو لبنان»[٢]. كما ذكرها الحميري قائلاً: «غيضة أشجار الصنوبر تصل إلى جبل لبنان وتسير هذه الغيضة اثنا عشر ميلاً في مثلها»[٣]. أما وليم الصوري فذكر الغابة أثناء حصار بيروت في الحرب الصليبية سنة ٥٠٤ هـ/ ١١١٠ م قائلاً: «وفرت الأخشاب لتجهيز آلات الحرب المستعملة في الحصار»[٤]. غير أن طه الولي يذكر أن غابة الصنوبر في بيروت

(١) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٤١.

(٢) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٨ ـ ٥٩، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦ م ـ وانظر تاريخ حوادث بيروت، بدون اسم المؤلف، ص ٢٥، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١ ،ك٢، ١٩٥٥م ـ وانظر د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٤١ ـ تصل إلى نحو لبنان: يقصد بذلك جبل لبنان إذ أن لبنان بمفهومه الحاضر لم يكن إلا ابتداءً من سنة ١٩٢٠ م أثناء فترة حكم الانتداب الفرنسي على بلاد الشام.

(٣) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٢٣.

(٤) الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، ص ٧٢١، المشرق، العدد العاشر، ١٩٣٣ م.

يرجع تاريخ غرسها أولاً إلى القرن الرابع عشر الميلادي[١]. وهذا ما لا أراه لأن الغابة كانت موجودة عند الفتح الإسلامي إذ أن شكيب أرسلان عندما تحدث عن مكان دفن الإمام الأوزاعي قال: «على شاطىء البحر في الصنوبر»[٢]. فهذا دليل على أن الغابة كانت موجودة منذ أوائل العهد الإسلامي وهو العصر الذي عاش فيه الإمام الأوزاعي ودليل أيضاً أن هذه الغابة كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي.

ومهما يكن من قدم الغابة، فإنها كانت تشكل الحدود بين ولاية بيروت وجبل لبنان[٣]، وإلى الجنوب منها كانت تمتد قرى الشياح وحارة حريك والبرج ومزارعها[٤].

هذا، ويروى أنه كان يعيش فيها الكثير من الحيوانات المتنوعة كالخنازير البرية والدببة والضباع والذئاب والحيوانات البرية الأخرى[٥].

غابة الصنوبر مصدر هام للأخشاب :

كان حرش الصنوبر يمتد إلى الجنوب من مزرعة العرب ورأس النبع، ويشكل ثروة كبيرة ليس فقط من أجل بناء السفن بل من أجل الاستعمالات الأخرى في ميدان الحصار الحربي. وأبرز ما يتجلى ذلك في حصار بيروت إذ أنه في سنة ٥٠٤ هـ/١١١٠ م وجد الصليبيون في غابة الصنوبر التي كانت

(١) طه الولي، صنوبر بيروت، ص ٣٤، المقاصد، العدد ١٥، تموز ١٩٨٣ م/١٤٠٣ هـ.

(٢) الأمير شكيب أرسلان، محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي، ص ١٦١.

(٣) عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، ص ١٧ ـ وانظر طه الولي، صنوبر بيروت، ص ٣٤، المقاصد، العدد ١٥، تموز، ١٩٨٣ م/١٤٠٣ هـ.

(٤) ثمرات الفنون، ص ٤، العدد ١٨، آب، ١٨٧٥ م ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ١٨.

(٥) طه الولي، صنوبر بيروت، ص ٣٥، المقاصد، العدد ١٥، ١٩٨٣ م/١٤٠٣ هـ.

تحيط بالمدينة مصدراً للأخشاب، فبنوا فيها أبراجاً خشبية تشرف على بيروت لدك أسوارها وهدمها[1].

كما كانت تعتبر هذه الأخشاب إحدى المواد الأولية اللازمة لصناعة الأقواس، وصناعة البنادق والعجلات والمدافع[2]، وبناء المراكب والسفن الحربية وتجهيز الأساطيل وصنع المجانيق وغير ذلك من الأدوات الحربية، إذ كان من عادة الأقدمين إذا حاصروا مدينة أن يقطعوا الأشجار المجاورة لها لبناء آلات الحصار[3].

ولم تنته أهمية الأخشاب عند بناء السفن والمساهمة في أدوات الحصار الحربي، بل تعداها إلى المساهمة في بناء سقوف البيوت. ويذكر صالح بن يحيى «أن زين الدين عمّر في رأس عرمون، وقصد في بدايته أن يجعله حصناً... ثم جعله بيوتاً للسكن وكان يحتاج الخشب لصناعة السقوف، فأرسل يحمل أخشاباً من بيروت»[4].

إذن إن القيمة الهامة للأخشاب وكثرة استعمالها وقطعها من الغابة وعلى فترات متلاحقة من التاريخ جعل عدد الأشجار يقل من فترة لأخرى، مما جعل بعض المسؤولين يعملون على تجديد غرس الأشجار في الغابة.

وممن سعى إلى تجديد غرس الأشجار في الغابة الأمير فخر الدين

---

(١) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٣٤٩ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام ص ٣٤٨ ـ وانظر د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، ص ٩٩.

(٢) نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ٨٥.

(٣) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٩، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م ـ وانظر د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٥٨.

(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٨٤.

المعني خاصة بعد أن كادت تبيد[1]. إلا أن الأمير فخر الدين جدد زراعة قسم منها، «وهذا التجديد جعل بعض المؤرخين في الأجيال التالية ينسب إليه خطأ زراعة الغابة بكاملها. وقد ظن تشارلز تشرشل وغيره أن الأمير فخر الدين هو أول من زرعها»[2].

أما متى قام الأمير فخر الدين بتجديد الغرس فيها؟! فنراه عندما كان في فلورنسة، كان يسر لمشاهدة الجنائن والمنتزهات حول المدينة، وعلى إثر رجوعه غرس حرج الصنوبر الذي شملت مساحته حوالي ميل ونصف[3].

وكان لدى الأمير بعثات فنية هندسية يقوم أفرادها بتجديد غرس شجر الصنوبر[4] وكان الغرس يتم بعناية وذوق مما يجعل الناظر يسر لمشاهدتها.

إبراهيم باشا يجدد الصنوبر حول بيروت:

ثم بعد الأمير فخر الدين قام بتجديد الغابة، إبراهيم باشا المصري نجل محمد علي باشا والي مصر. وذُكر أنها زرعت منعاً لزحف الرمال التي كانت تهاجم المدينة في جهتها الجنوبية الغربية، كما كان القصد من تجديدها نقاء الهواء واستجلاب الأمطار[5].

---

(١) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٩، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ١٤١.

(٢) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٣٤٨ ـ وانظر طه الولي، صنوبر بيروت، ص ٣٤ المقاصد، العدد ١٥، تموز، ١٩٨٣ م/١٤٠٣ هـ.

(٣) عيسى اسكندر المعلوف، المرجع السابق، ص ٢٥٥.

(٤) عيسى اسكندر المعلوف، المرجع السابق، ص ٢٥٣ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٣٤٦.

(٥) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٩، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م ـ وانظر داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ٤٢ ـ وانظر عبد الرحمن بك سامي، المرجع السابق، ص ١٧ ـ وانظر طه الولي، صنوبر بيروت، ص ٣٤، المقاصد، العدد ١٥، ١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ.

وقد زعم البعض أن إبراهيم باشا هو الذي زرعها، والواقع أن غرسها قد زيد في عهده والذي زرع الصنوبر بأمر منه هو السيد عبد الفتاح آغا حمادة[١].

هذا، ولم يزل حرش الصنوبر على هندسته وجماله حتى عام ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م، حيث نشبت الحرب الأهلية الأخيرة، ثم ما جرى في الاجتياح الإسرائيلي في عام ١٤٠٣ هـ/١٩٨٢ م مما كان له أثره السيء على الغابة إذ تعرضت للقصف الإسرائيلي مما جعل أشجار الصنوبر تخف من الغابة بشكل كبير وملحوظ. ثم تناقص عدد الأشجار من جهة أخرى بسبب تسهيل عملية (الدفن) في المقابر الإسلامية التي تمت مؤخراً في الغابة نظراً لضيق المساحة العمرانية في المدينة.

الحرج (الحرش) مكان لمرور العسكر ولعقد الاجتماعات:

هذا، ولم تكن أهمية غابة الصنوبر تقتصر على استخدام أخشابها بل كان لها أهمية أخرى في المجال السياسي إذ كان (حرش) حرج الصنوبر مكاناً لمرور العسكر ولعقد الاجتماعات. ويتجلى ذلك في عهد الأمير بشير الشهابي عندما علم الأمير أن الروم وصلوا بمراكبهم إلى برج أبو هدير[٢] في مدينة بيروت، «فأرسل ابنه الأمير خليل بعسكره للشويفات. وعند الصباح وصل إلى حرج (حرش) بيروت، وحضر إليه متسلم المدينة وأعيانها وقابلوه وشكروا همته...

---

(١) تاريخ حوادث بيروت، بدون ذكر المؤلف، ص ٢٥، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٥م - وانظر عبد الرحمن بك سامي، المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) وهو برج الخضر القائم على الساحل في محلة الخضر، ونظراً لأن حرف الخاء لم يلفظ في اللغات الأجنبية فقد تحور الاسم من الخضر إلى الهدر في عهد الاستعمار، .. ثم أخذ المسلمون هذا اللفظ وصار برج أبو هدير. ويذكر أسعد تميم في المرجع السابق، أنه وجد عدة كتابات في سجلات المحكمة الشرعية تثبت موضع البرج على الساحل في محلة الخضر، وحاولت مراجعة سجلات المحكمة المذكورة بنفسي إلا أن المسؤولين منعوا الدخول لأي شخص خوفاً على السجلات.

وعند الصباح أتاه الخبر أن الأروام الذين في البرج حين بلغهم وصول الأمير بعساكره رجعوا ليلاً إلى المراكب»[١].

وقد استعمل حرش بيروت كمخيم للعسكر، عندما «توجه محمد باشا العظم والي صيدا بعساكره وحضر إلى بيروت لمعونة الأمير منصور، فخيم في حرشها»[٢].

فـ «في سنة ١١٧٦ هـ/ ١٧٦٢ م عندما ظهر النفور بين الأمير منصور وأخيه الأمير أحمد، كتب الأمير منصور إلى محمد باشا العظم والي صيدا واستنجده، فحضر الوزير بعسكره إلى حرش بيروت ففر الأمير أحمد وأصبحت الولاية لأخيه الأمير منصور»[٣].

وفي سنة ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٨ م حضر عسكر الجزار إلى (حرش) حرج المدينة[٤].

وفي سنة ١٢١٩ هـ/ ١٨٠٤ م حاولت فرقة من الأرناؤوط - فرقة من الجيش العثماني - دخول بيروت ومنعوا من ذلك وباتوا ليلتهم تحت الصنوبر وكانت ليلة ممطرة[٥].

بعد ذلك شهدت الغابة مقابلات بين أهل جبل لبنان وبين ضباط الجيوش المتحالفة لإخراج إبراهيم باشا من البلاد[٦].

---

(١) حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ص ٧٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٣) داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ٣٧.

(٤) حيدر الشهابي، المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٢٧.

(٦) طه الولي، صنوبر بيروت، ص ٣٦، المقاصد، العدد ١٥، تموز، ١٩٨٣ م/١٤٠٣ هـ.

التدريب على الفروسية تحت الصنوبر:

هذا، وكانت تقوم في الغابة بعض ألعاب الفروسية والتدريب على السلاح من أجل صد الهجمات والغارات والدفاع عن بيروت. ونرى هذه التدريبات ظلت باقية حتى الثلاثينات من القرن العشرين. وكان التدريب يتم في ميدان المرمح الذي يقع في منتهى حرش بيروت إلى جهة الجنوب[1] ـ مقابل جامع الخاشقجي اليوم في منطقة قصقص[2] ـ... وكان هذا المرمح في مطلع القرن العشرين مقصداً لمحبي رياضة الخيل، وللرمي بالرماح على الطريقة العربية القديمة التي كانت تتم فيها عملية تدريب الجند. وكان أصحاب الخيول يعتنون بتزيين سروج الخيل بقطع من الفضة ويحلون رؤوسها بتيجان وأكاليل من الريش[3].

وقد شملت الغابة عدة ميادين كميدان البلشة الذي ذكره الأمير حيدر الشهابي بقوله: «كان أحمد بك الجزار عند قدومه إلى بيروت وهو مار في ميدان البلشة[4] قوسه (أطلق عليه نار) مغربي يقال له أبو عقلين. فأصيب في رقبته وانجرح جرحاً مؤلماً، فاعتنى الأمير يوسف في صحته... وفي الحال قتلوا ذلك المغربي»[5].

---

(١) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٨، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، ١٩٥٦م ـ وانظر عبد الرحمن بك سامي، المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) مقابلة مع الحاج عبد الرحمن قرقوطي، تاجر قطع سيارات، عاصر الحرب العالمية الأولى والثانية، تاريخ ١٥/ك ١/١٩٨٧ م.

(٣) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٨، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، ١٩٥٦م.

(٤) وهو المنطقة التي يقع فيها (حرش) حرج بيروت الشهير المليء بأشجار الصنوبر، الواقع في الناحية الجنوبية لمدينة بيروت، ولفظ البلشة تعني مكان الاشتباكات، أنظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت ص ٢٩٥، طبع الدار الجامعية سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ـ وانظر طه الولي، غابة صنوبر بيروت، ص ٣٤، المقاصد، العدد ١٥، تموز ١٩٨٣م.

(٥) الأمير حيدر الشهابي، المرجع السابق، ص ٩٥ ـ أنظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي =

إذن كان لغابة الصنوبر أثر بالغ في حياة مدينة بيروت عبر التاريخ، فقد مدت المدينة بالأخشاب اللازمة لبناء السفن وبناء أدوات الحصار الحربي وأسبابها كما كانت محطة أو مركزاً لمرور العسكر ولعقد الاجتماعات التي كانت تدور بين أهالي بيروت وأهالي جبل لبنان، إضافة إلى أنها كانت مركزاً للتدريب على الفروسية والرمي بالرماح ليكون المرء قادراً على المساهمة في صد الغارات التي كانت تتعرض لها بيروت. ومن الناحية الجمالية أضافت منظراً رائعاً حول المدينة وخففت من حدة الرمال التي كانت تعصف بها.

التنظيم البري:

إن التنظيم البري هو ما نعني به في مفهومنا الحاضر «الجيش» وهو القوة الحامية التي ترعى الدولة وتحمي الأمة وتدافع عن الوطن والعقيدة من كل اعتداء. وكان يضم العديد من الفرق أهمها الانكشارية.

الإنكشارية:

وتعني الجيش الجديد، وهو الجيش العثماني الذي أنشأه السلطان أورخان الذي تولى الحكم عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ م، وقد عرف عن هذا الجيش قوته وصلابته، وبواسطته تمكن العثمانيون من فتح أكثر المناطق، وكان قائد هذه الفرقة يحمل لقب «آغا الإنكشارية» وقد تمركز قسم منهم في أبراج وقلاع بيروت[1]، وكان أفراد هذه الفرقة من ذوي الأجساد القوية

= والاقتصادي والسياسي في بيروت، ص ٢٩٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٥٨ ـ وانظر طه الولي، صنوبر بيروت، ص ٣٤، المقاصد، عدد ١٥، تموز، ١٩٨٣.

(١) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٦٧ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٣٥٧.

ويخضعون لتدريبات صارمة وقاسية، وكان عناصر فرقة الخيالة يعرفون «بالصباهيين»[1].

وقام جنود هذه الفرقة بالكثير من الأعمال العسكرية، مما جعل اسمها يعم أرجاء البلاد «ثم تناقصت شهرتها فيما بعد إثر الهزائم التي خاضتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والسبب في ذلك يعود إلى رفض عناصرها التدريب على فنون القتال الحديثة»[2].

الرتب في الجيش:

أما الرتب المعروفة في الجيش في بيروت فهي:

١ ـ أونباشي[3] وهو المسؤول عن عشرة جنود.

٢ ـ يوزباشي[4] وهو القائد المسؤول عن مائة جندي.

٣ ـ بنباشي[5] وهو القائد المسؤول عن ألف جندي[6].

كما كان هناك رتبة الأضاباشي وكان «أحمد آغا البيروتي» أضاباشي في أيام إبراهيم باشا المصري[7].

وكان هناك التفنكجي وهو القناص وحامل البندقية. وكانت فرقة

(١) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٤١.
(٢) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٦٧.
(٣) إن كلمة أون في اللغة التركية تعني عشرة، وباشي تعني رئيس لذلك فالكلمة تعني رئيس العشرة.
(٤) «يوز» تعني مئة في اللغة التركية.
(٥) «بن» تعني ألف في اللغة التركية.
(٦) يوسف الحكيم، بيروت في عهد آل عثمان، ص ١٧، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٤م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٦٨.
(٧) حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ص ٨٤٧.. وكلمة الأوضة تعني الغرفة ولا تزال الكلمة تتداول إلى الآن في بيروت، ولهذا أعتقد أن كلمة الأضاباشي تعني رئيس الغرفة أو المجموعة.

التفنكجية عادة من الفرق المهرة في إطلاق الرصاص[1]. وأول ما ظهرت قوة هذه الفرقة في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[2].

إذن عرف التفنكجي مع مجيء العثمانيين إلى بلاد الشام.

كما كان هناك الطوبجي والمدفعجي، وكان لفرقة الطوبجية أمير آلاي أو «قائد مدفعية»، في حين أن الطوبخانة تعني مدافع الجيش. بينما الجباخانة تعني بالتركية المكان الذي تودع فيه الأسلحة والذخائر[3].

أما في الأعياد الرسمية كعيد مولد جلوس جلالة السلطان على العرش وعند كل استعراض يظهر في طليعة الجند، مفرزة من الجيش لا يزيد عدد أفرادها على الخمسين، يرأسها ضابط برتبة يوزباشي موضوعة تحت أمر الحاكم دون أن يكون لها وظيفة أخرى سوى ذلك[4]. وهي تشبه اليوم في وظيفتها الحرس الجمهوري.

الجيش في عهد الأمير فخر الدين:

وكانت قوات هذا الجيش تتألف من عنصرين: العنصر الوطني، والعنصر المأجور. ويتألف العنصر الوطني[5] من عناصر درزية وشيعية وسنية ومسيحية[6]، وكان للسنيين من أهالي صيدا وبيروت وطرابلس، مكانة لا تنكر في هذا الجيش[7].

(١) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٦٨ و ١٦٩.
(٢) نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ٨٨.
(٣) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٦٩.
(٤) يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، ص ١٧ و ١٨.
(٥) المرجع السابق، ص ١٧، ويضيف المرجع أن الجند في لبنان من أبنائه دون سواهم لم يتجاوز عدده الألف في وقت ما إلا بعد سنة ١٩١٢م إذ بلغ في تلك السنة ألفاً ومئتين.
(٦) الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٥ ـ وانظر نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ١٧٢ و ١٧٣.
(٧) د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ٣٥٧.

«وكان أفراده يحملون السلاح كل بحسب قدرته، فمنهم من كان يحمل بندقية أو غدارة[١]، أو سيفاً، أو رمحاً، أو فأساً، وعلى الأمير أن يقدم لهم البارود[٢] والرصاص»[٣].

أما العنصر الثاني فيتكون من عناصر مأجورة وهي ما يعرف بالسكبان وقد استطاع ابن معن أن يجند عدداً كبيراً منهم لما يغدقه عليهم من الرواتب والهدايا، وكان يقود هذه الفئة الأمير يونس بن معن[٤]. وكان الجندي الراجل من هؤلاء يحمل بندقية ويطقاناً. أما الجندي الفارس فيحمل ترساً، ويتقلد بندقية ذات قداحة أو بارودة هندية طولها ستة أقدام تنتهي ماسورتها برأس من حديد يشبه الحربة. أما اليطقان فمتدل على الجنب مع دبوس من حديد مشدود إلى السرج. وكان الفارس يرتدي درعاً من الجلد المتين، ويحتضن صحيفة من النحاس لتقيه ضربات السيوف[٥].

فهذه الأنواع من السلاح تسمى الأسلحة الخفيفة، وقد تفنن الصناع في صنعها وخاصة السيوف فعمدوا إلى تزيينها بالمعادن والجواهر الثمينة، ولعل

---

(١) وهي نوع من البنادق، نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ٨٨.

(٢) استعمل البارود في أواسط القرن السابع الميلادي اليونان المقيمون في المملكة الرومانية، وقيل أن المسلمين استعملوه في حصار مكة سنة ٦٩٠ م، وأنه لم يكن يعرف في أوروبا قبل سنة ١٢٥٧ م أنظر سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٥٥ و ٥٦ ـ ويذكر أمين الخولي أن الذي اخترع البارود رجل من أهل بعلبك يدعى كلينيكوس سنة ٦٦٨ م ـ والبارود هو النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث أمام النار الموقدة بالبارود بطبيعة غريبة، أنظر أمين الخولي، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) جوزيف نعمة آمر فصيلة بيروت، الجيش اللبناني في عهد الأمير فخر الدين الثاني، ص ٥٠٥، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١، ت ٢ ١٩٥٥م.

(٤) نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ١٧٢ و ١٧٣ ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٣٥٧.

(٥) جوزيف نعمة آمر فصيلة بيروت، المرجع السابق، ص ٥٠٥. واليطقان هو سيف عريض معقوف.

سيف الأمير بشير الشهابي أكبر مثال على ذلك ويسمى سيف الصاعقة، وكان مرصعاً بالجواهر وغمده من الذهب الإبريز، وقد أهدته قرينته بعد وفاته لإسماعيل باشا الخديوي، بينما سيوف رجال الأمير كانت قصيرة، وعريضة وقليلة الانحناء[١].

أما الأسلحة الثقيلة فكانت عبارة عن المدافع، ولم يعرف المسلمون هذا النوع من السلاح إلا في منتصف القرن السابع الهجري، وكانت كلمة المدفع تطلق تارة على الآلة القاذفة وتارة على الكرات المقذوفة المدفوعة[٢].

وفي عهد الأمير فخر الدين كانت المدافع نادرة ويجهل الجنود استعمالها[٣]، بينما يذكر نوفان رجا الحمود أن الأمير فخر الدين المعني الثاني استخدمها ضد قراصنة البحر في مينائي صيدا وبيروت[٤]، وقد استوردها من أوروبا، مع كثير من التجهيزات العسكرية الأخرى التي أتى بها من فلورنسة[٥].

أما في أواخر القرن العشرين وأوائل هذا القرن فكان الرشاش الآلي من ضمن الأسلحة الثقيلة المستعملة في الجيش العثماني... وكان هذا الرشاش بحاجة إلى سبعة من الجنود لتشغيله[٦].

---

(١) د. أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، ص ٤، جـ ١.

(٢) أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٣٦.

(٣) جوزيف نعمة، آمر فصيلة بيروت، المرجع السابق، ص ٥٠٧.

(٤) نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ٩١.

(٥) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٥٦.

(٦) مقابلة مع الحاج توفيق الحوري نقلاً عن أبيه راشد الحوري الذي كان برتبة ضابط في الجيش العثماني، وقد ذكر لي الحاج توفيق أن تدريب الجند العثماني كان متأثراً بالتدريب البروسي من جهة نظامه وزيه، ٥ آذار ١٩٨٨م.

الشرطة :

من الضرورات الأمنية أيضاً، وفي عهد إبراهيم باشا، فإن عامله محمود ناجي بك عني عناية كبيرة بمدينة بيروت، إذ قام بحفظ الأمن والنظام في المدينة وأدخل إليها نظام الشرطة الذي كان معروفاً ومعمولاً به في القاهرة في ذلك العصر، فعيّن ضابطاً للشرطة وأمره أن يقوم مع أعوانه أثناء الليل بالتناوب، ويلقي القبض على كل شخص لا يحمل بيده مصباحاً[١].

ثم كثر الاهتمام بأمر النظام وحفظ الأمن عن طريق إنشاء المخافر، بعدما كثرت الحوادث العديدة التي كانت تحصل في بيروت وضواحيها، علماً أنه عام ١٢٩٩ هـ/١٨٨٢ م، صدر الإذن من الحكومة بإنشاء تلك المراكز العسكرية أو المخافر[٢]. وفي عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ م «أقيم مخفر في محلة الأشرفية، لإقامة الجند ورجال الدرك تعزيزاً لدعائم الأمن وتوطيداً لأركان الراحة في تلك المحلة، وحضر الاحتفال عطوفة الوالي»[٣].

التجنيد :

أما بالنسبة للتجنيد فإن حالة الحرب وإصرار إبراهيم باشا في القرن التاسع عشر على بلوغ القسطنطينية كانا يمليان عليه فرض التجنيد الإجباري في سائر بلاد الشام[٤] ومنها بيروت. وطبق التجنيد على المسلمين أولاً، فأخذ مسلمو بيروت الصالحون للتجنيد يلجأون إلى القنصليات الأوروبية أو إلى بيوت الأجانب هرباً من ملاحقة المصريين لهم، وكان بعضهم يلجأ إلى الكهوف القريبة ليختبىء فيها[٥]، حتى لا يقاتل المسلم أخاه المسلم.

---

(١) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٦١.

(٢) ثمرات الفنون، ص ١، العدد ٣٩٥، ٧ شوال ١٢٩٩ هـ - ٢١ آب ١٨٨٢ م.

(٣) ثمرات الفنون، ص ٥، بيروت العدد ٨٨٢٩٧ جمادى الأولى ١٣١٨ هـ، ٣ أيلول ١٩٠٠ م.

(٤) و (٥) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٥١٤.

وفي أوائل القرن العشرين عمدت الدولة العثمانية إلى التجنيد العام فكان الأمر يستدعي سائر الشباب المسلم، أما من كان على قدر جيد من التعليم أو من حملة الشهادات فكانت له مكانة خاصة، إذ كان يحمل مع رفاق له إلى اسطنبول حيث كان يتم التدريب العسكري، في مدة ستة أشهر، ويعطى رتبة عسكرية تعادل رتبة ضابط، ومن هؤلاء البيارتة على سبيل المثال لا الحصر، راشد الحوري[١]، عبد الله دبوس[٢]، وعزيز مومنة[٣].

أما من أراد التخلص من التجنيد الإجباري لقاء ظرف ما في حياته، فإن الدولة العثمانية عمدت إلى تقاضي فدية - بدل - مالية عنه. وعند استلامها المال تخلي سبيل المجند مقابل إعطائه ورقة مصدقة من الدولة تثبت تقاضي المال[٤].

وأثناء الحرب العالمية الأولى «وفي خلال عام ١٣٣٤ هـ/ ١٩١٥ م كان تجنيد المتطوعين من شباب بيروت يتم بناء على طلب قومندانية بيروت، ففي شهر شباط من تلك السنة قامت قومندانية المدينة بفتح باب التطوع الاختياري

---

(١) ذكر لي الحاج توفيق الحوري عن أبيه راشد الحوري، أنه ذهب خلال الحرب الأولى مع زملائه الضباط للحرب في شمالي العراق في منطقة الأكراد، وحاربوا الإنكليز وما لبثوا أن وقعوا في الأسر، وأرسلوا إلى الهند إذ كانت تلك المنطقة خاضعة لسيطرة النفوذ الإنكليزي القائم هناك، ثم أحضروا إلى معسكرات الأسرى في مصر، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أخلي سبيلهم. وبعد الحرب ساهم في تأسيس جمعية البر والإحسان، مقابلة مع الحاج توفيق الحوري في ٥/٣/ ١٩٨٨م.

(٢) عمل في الحركة الكشفية فيما بعد وهو من مؤسسي حزب النجادة، مقابلة مع الحاج توفيق الحوري، في ٥/٣/ ١٩٨٨م.

(٣) كان مديراً في مدرسة (الحرش) الحرج - المقاصد - ثم أنشأ فيما بعد المدرسة العزيزية في محلة البسطة قرب المخفر وذلك بعد الحرب العالمية الأولى، مقابلة مع الحاج توفيق الحوري، في ١٩٨٨/٣/٥ م.

(٤) إن الأوراق العثمانية القديمة موجودة بكثرة بين المسنين من أفراد عائلات بيروت ولدى الكثير من الناس أوراق مصدقة من الدولة العثمانية تثبت ذلك وانظر الملاحق الوثائقية.

لأهالي المدينة وأهالي الجبل لصد غارة العدو عن السواحل عند اللزوم وذلك بإذاعتها التعليمات التالية :

أولاً : يجب على المتطوعين تشكيل قوة مسلحة داخل القضاء الذي ينتسبون إليه بدون تفريق في الجنس والمذهب ويكونون تحت نظارة قائمقام ومديري ذلك القضاء.

ثانياً: يمكن للمتطوعين أن يشتغلوا أشغالهم البيتية وعندما يرى لزوماً لهم يدعون حينئذ للخدمة التي تكون في القسم الساحلي داخل قضائهم وعند الانتهاء من خدمتهم يعودون إلى بيوتهم ويكونوا بإمرة قومندان القطعة العسكرية الموجودة في ذلك المكان»[(١)].

أما الفارّون من الخدمة العسكرية فقد أعفي عنهم إذا التحقوا بمراكزهم ضمن فترة محددة، وفي عام ١٣٣٤ هـ ١٩١٥ م أذاع والي بيروت البلاغ التالي :

«**أولاً**: يوجد أفراد فرارية كثيرة من طابور العمليات.

ثانياً: صدر أمر حضرة قومندان الجيش بالعفو عن الذين يعودون نادمين إلى مراكزهم حتّى مساء ١٣ حزيران ١٩١٥ م»[(٢)].

فنلاحظ أن الدولة العثمانية عندما كانت بحاجة للتجنيد الإجباري وعند فرار الأفراد من التجنيد، كانت تقوم بفتح باب العفو عنهم إذا ما عادوا والتحقوا بالأماكن المعدة لالتحاقهم بالثكنات.

إذن إن التجنيد كان إما إجبارياً يتم للضرورة الحربية التي تحتم ذلك وإما عن طريق فتح باب التطوع بغية دفع الخطر عن الساحل.

---

(١) داود كنعان، المرجع السابق، ص ١٤٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٧٩.

الفصل الخامس

التحصينات العسكرية في بيروت في العهدين المملوكي والعثماني

- **سور بيروت**
- **طول السور وبناؤه**
- **تلف السور**
- **أبواب بيروت :**

١ - باب السلسلة
٢ - باب الدباغة
٣ - باب الدركة
٤ - باب يعقوب
٥ - باب إدريس
٦ - باب السنطية
٧ - باب أبو النصر
٨ - باب السراية

- **الثكنات :**

الثكنة العثمانية (القشلة) - المستشفى العسكري - ثكنة السواري - السراية الصغيرة - الثكنة الهامايونية أو القشلة الهامايونية.

- **الأزواق**
- **الأبراج**
- **برج الأمير جمال**
- **برج البعلبكية أو البرج الصغير**
- **برج الفنار والسلسلة في المرفأ**
- **برج الحصن**

- برج الكشاف

- برج الشلفون أو الغلغول

- أبراج في منطقة رأس بيروت:

برج الحمرا	برج البواب
برج شاتيلا	برج دعبول
برج قدورة	برج ربيز

أبراج أخرى:

برج الخضر	برج حمود
برج المحجر الصحي	برج البراجنة
برج أبي حيدر	

- برج العريس أو برج الباشورة

- برج القشلة - برج دندن - البرج الجديد - البرج المستدير - برج شعبان - برج المجيدية.

- أبراج بأسماء العائلات: برج بيهم - برج سلام - برج سيور - برج القرقوطي.

- قلعة بيروت

- خراب القلعة

- جامع المجيدية كان قلعة

- مرفأ بيروت

- المرفأ في العهد العثماني

- رسو السفن في المرفأ

- ازدهار المرفأ

- الإدارة - التعرفة في المرفأ

سور بيروت:

كان لبيروت سور اهتم به المؤرخون ودرسوا تاريخه وقالوا إن تاريخ المدينة يستدل عليه من قدم سورها، «ووجد بين أنقاض السور قواعد من الرخام وأعمدة كثيرة من الحجر المانع وخرائب من أبنية قديمة»[١]، مما يدل على عظمة المباني التي كانت موجودة في المدينة، ولا بد أن الزلازل التي تعرضت لها بيروت حولت هذه المنشآت إلى أنقاض.

وتعرض السور من جهة البحر للخراب عدة مرات، واندثرت تلك المعالم لمرور الأزمان وتوالي الدهور[٢].

وكان في العصور الوسطى عظيم البنيان، فعندما حاصر بلدوين الأول مدينة بيروت مع سائر الساحل الشامي عام ٥٠٤ هـ/١١١٠ م ذكر مناعته وقوة تحصينه[٣]. مما يدل على اهتمام المسلمين بمدنهم وتحصينهم لها، إذ كانت

---

(١) «المانع» هو نوع من الحجارة استخدم في بناء السور وقد جلب من أسوان إلى سائر البلاد، صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٧ و ٨ - وانظر عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت وتقويم الإقبال، ص ٩، ط جديدة، الإقبال، بيروت، ١٣٢٦ هـ - وانظر عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين، ص ٢٥٧.

(٢) عمر ثلاث مرات حتى أيام صالح بن يحيى، أنظر صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٧ و ٨.

(٣) الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٢.

بيروت عندما دخلها المسلمون بلدة صغيرة دمرتها الزلازل ولم يبق منها سوى بيوت قليلة متناثرة. وقد ذكر سور بيروت عدد من الكتاب المسلمين منهم الحميري على سبيل المثال لا الحصر، فقال: «... وعلى بيروت سور حجارة»[١].

أما أقدم ما ورد عن تجديد بناء السور فهو ما قام به الأمير بيدمر نائب الشام في العصور الوسطى، وذلك عندما «جعل بيدمر أول السور عند الحارة... واصلاً إلى تحت البرج الصغير...»[٢].

أما آخر من قام بتجديده وترميمه وتحصينه، فهو أحمد باشا الجزار، حين تمرد عليه أمير جبل الدروز يوسف الشهابي سنة (١١٨٥ هـ/ ١٣٠٦ هـ) (١٧٧١ م ـ ١٧٩١ م)[٣].

«وقام الجزار بهدم بعض دور الأمراء الشهابيين الذين سكنوا في بيروت وبنى بحجارتها السور»[٤].

وقد استخدم السور من بعده إبراهيم باشا (نجل محمد علي باشا)، وما فيه من تحصينات وأبواب لأغراض أمنية داخلية، وفي مقدمة هذه الأغراض «منع بعض الأشقياء من رعايا جبل لبنان من التسرب إلى داخل بيروت والعبث فساداً في ربوعها»[٥].

(١) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٢٣.
(٢) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٦١ ـ وانظر شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٢، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥م.
(٣) حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ص ٩٧ ـ وانظر د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٢ ـ وانظر د. حسن سليمان، بيروت تخرج من السور، ص ٢٦، المقاصد، العدد ١٩، السنة الثانية، ت ٢ ١٩٨٣ م.
(٥) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٥، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤ م.
(٥) المرجع السابق، ص ٤٥.

مما تقدم نرى أن السور في بيروت كان الحصن المنيع لها ويشكل الحزام الأمني لأهاليها وأهميته تكمن في حماية البلدة في أيام الحروب والغارات، أو لدوافع أمنية أخرى كالتخوف من تسرب بعض الأشقياء المشاغبة إليها.

طول السور وبناؤه:

هذا، و «كان السور يمتد من شمال الساحة ـ موقع السبيل الحميدي[١] (ساحة رياض الصلح) ـ وبمحاذاة حائط سينما كابيتول، ويمتد باتجاه الشرق حتى كنيسة مارجرجس المارونية التي تقع داخل السور»[٢].

ثم يمتد شمالاً نزولاً إلى سوق أبي النصر وهو سوق يقع خارج السور، إلى أن يصل حائط السور إلى بناية دعبول (تجاه جامع السراي)(جامع الأمير عساف)، ثم يمتد شمالاً إلى غربي مرفأ بيروت حيث ميناء القمح (قرب خان أنطون بك)[٣]. ويذكر د. أسد رستم أن سور بيروت الشمالي كان يمتد من جامع المجيدية غرباً إلى زاوية الراعي والقلعة شرقاً[٤]. «بعد ذلك يمتد السور

(١) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣، ويضيف د. حلاق ص ٩٧ أن هذه الساحة كانت تعرف بساحة السور، أما السبيل الحميدي فقد بني في ختام القرن ١٩ الميلادي، ودشن في عام ١٩٠٠ م وكان البيارتة يقصدون تلك الساحة في الأعياد ـ أنظر أيضاً، ثمرات الفنون، العدد ١٢٩٧، ص ٥، ٣ أيلول ١٩٠٠م، ٨ جمادى الأولى ١٣١٨ هـ ـ وانظر عبد الغني الداعوق، سبيل ساحة السور صار أثراً، ص ١٢٠، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ٣، آذار ١٩٥٧م.
(٢) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت، ص ١٥٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣.
(٣) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣ ـ وانظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي، ص ١٥٥ و ١٥٦ ـ وانظر د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦ ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٢٩ وانظر الملاحق الوثائقية.
(٤) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥.

غرباً حتى مقبرة السمطية التي كانت خارج السور، ثم يمتد صعوداً أي جنوباً باتجاه باب إدريس وكنيسة الكبوشية التي كانت خارج السور، فمدرسة الشيخ عبد الباسط الأنسي فسوق المنجدين، ويستمر السور صعوداً إلى أن يلتقي مع بدايته في الساحة»[1]. وكان يعلوه أبراج متقاربة، واجهاتها من الحجر، وكانت أبراج السور تقوم بحماية قواعد الجدران من النبش والهدم، وذلك بإقامة الجنود في هذه الأبراج لحراسة المدينة من المقتحمين[2].

أما جدرانه فكانت مبنية من الحجارة الرملية[3]، «وكانت سماكتها حوالي أربعة أمتار عند القاعدة ثم تقل كلما ازدادت ارتفاعاً حتى تصل إلى ثلاثة أمتار. وبلغ ارتفاعه نحو خمسة أمتار»[4]، وهو ارتفاع كاف لحماية البلد وحماية المدينة من أخطار تسلق الأسوار واقتحامها.

«أما طول السور فيبلغ حوالي ٥٧٠ متراً»[5]، وكان أول من ذكر سعة بيروت هو صالح بن يحيى بقوله: «يستدل على كبر بيروت وسعتها ما يجده

(١) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة، ص ١٣ ـ وانظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي، ص ١٥٥ و ١٥٦ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦ ـ ويذكر د. حلاق في هذا الكتاب ص ٦٦ أن كلمة عصور المتداولة حالياً تعني على السور أي سور بيروت القديم الذي كان يحيط بالمدينة.

(٢) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٧٨، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥م.

(٣) د. حسن سليمان، بيروت تخرج من السور، ص ٢٦، المقاصد، العدد ١٩، السنة الثانية، ت ٢ ١٩٨٣ م.

(٤) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٧٨، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥م ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦ ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٥) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣ ـ وانظر شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٧٨، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥م ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦ ـ وانظر الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥١، إذ يذكر الكونت أن مساحة بيروت هذه كانت في عهد إبراهيم باشا ـ وانظر د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥ ـ وانظر أسعد تمبم، المرجع السابق، ص ٢٩.

الناس في الحدائق بظاهرها من الرخام وآثار العمائر القديمة قريب من ميلين»[1].

تلف السور:

وقد خرّب السور وأعيد تجديده عدة مرات، بفعل الزلازل والغارات عبر العصور المختلفة شأن كل مدن الساحل الشامي، وقد شرع بعض القادة إلى هدم السور لأغراض حربية فمثلاً نرى سنجر الشجاعي يهدم سور بيروت عام ٦٩١ هـ/١٢٩١ م[2] من قبل الملك الأشرف عندما حاصر المدينة واستخلصها من أعداء الإسلام.

وفي العصر الحديث فإن السور تصدع عندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا وقد نال بيروت ما نالها من القصف سنة ١١٨٥ هـ/١٧٧١ م، ثم جدد الجزار بناء السور ولكنه لم يكن في متانته السابقة[3].

وفي سنة ١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م تحالفت الدول الأوروبية مع السلطان عبد المجيد لإخراج إبراهيم باشا من بلاد الشام واستخلاصها من يد والده محمد علي باشا، فضربت سفن حربية إنكليزية ونمسوية بيروت بقنابلها حتى غدا قسم من المدينة أطلالاً، وتهدم سورها تهدماً يكاد يكون كاملاً[4].

(١) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٨.

(٢) الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، ص ٧٢٢، المشرق، العدد العاشر ١٩٣٣ م ـ وانظر سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ص ٦٨.

(٣) و (٤) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٧٩ و ٢٨٠، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥م.

أبواب بيروت :

كان يتخلل سور بيروت سبعة أبواب[١]، ثم أضيف إليها باب جديد هو باب أبي النصر، فهذا الباب ليس كسائر أبواب بيروت القديمة من الناحية الاستراتيجية العسكرية[٢] ولكن الغاية منه كانت لتسهيل عملية الانتقال من خارج المدينة إلى داخلها وبالعكس. وهكذا أصبحت المدينة في القرن الثامن عشر تضم ثمانية أبواب[٣]، وكانت هذه الأبواب تقفل عند المغرب باستثناء باب السراي الذي كان يقفل عند العشاء[٤]. وكان هذا النظام في إقفال الأبواب ضمن التحصينات العسكرية التي يحتمها العامل الأمني.

وكان المسؤول عن إغلاق الأبواب وإقفالها بعض أعيان بيروت فكان المكلف بقفل الباب يضع المفتاح عند متسلم البلد حتى الصباح[٥]، وكان يتعين على المكلف هذا أن يكون مسؤولاً عن نفقة مصباح يعلق على جانب الباب الخارجي ينيره منذ غروب الشمس إلى إشراقها في فجر اليوم التالي

---

(١) أبواب بيروت القديمة كانت سبعة على غرار سائر المدن الإسلامية، «والرقم سبعة كان له مدلول خاص، فكان يعني لدى المسلمين معنى الكمال الذي له أبعاده الروحية والدينية، إضافة إلى ارتباط أذهانهم بإيجابياته المتصلة اتصالاً وثيقاً بالسماوات السبع. . .» علماً أن اقتصار أبواب بيروت على سبعة إنما هو من قبيل التفاؤل، طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٥، المقاصد العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢ ١٩٨٤ م ـ لمزيد من المعلومات عن العدد سبعة راجع طه الولي، العدد سبعة، المقاصد، العدد الافتتاحي، أواخر العام الهجري ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥ ـ وانظر الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٤ وما بعدها.

(٣) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥ ـ وانظر شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥ م.

(٤) د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لبيروت، ص ١٥٥ و ١٥٦ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣ فيذكر د. حلاق أن باب السراي كان يقفل عند العشاء لأنه الباب الرئيس للمدينة ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٥) المفتاح كان كبيراً في تلك الأيام ويزيد طوله على ٨ سنتم.

وهكذا كل يوم، وكانت القوافل التي تصل ليلاً إلى المدينة تنتظر خارجها حتى الصباح حتى يحين موعد فتح الأبواب[١].

أما أسماء الأبواب فقد اكتسبت من أسماء الأماكن التي تواجدت فيها، وأحياناً من أسماء الأشخاص القاطنين بجوارها أو المكلفين بحراستها[٢].

وأبواب بيروت هي :

باب السلسلة، وباب الدباغة، وباب الدركة، وباب يعقوب، وباب إدريس، وباب السنطية، وباب السراية، وباب أبو النصر.

١ ـ باب السلسلة :

إن هذا الباب هو أقدم أبواب بيروت القديمة، إذ يرجع تاريخه إلى أيام نائب الشام الأمير بيدمر الخوارزمي المملوكي وقد ذكره صالح بن يحيى بقوله : «لما جدد الأمير بيدمر نائب الشام سور بيروت على جانب البحر، جعل أوله من عند الحارة التي لنا على البحر. . . وكان عليه سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسمي باب السلسلة»[٣]. ويقع هذا الباب في شمالي بيروت بين برجين هما برج الفنار وبرج السلسلة[٤].

وكان الغرض منه منع السفن الغريبة من دخول مرفأ بيروت والخروج إلا بإذن السلطات المملوكية في ذلك الحين[٥]، إذن نرى أن هذا الباب يعود في عراقته إلى أيام المماليك.

---

(١) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٢، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥ م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٦.

(٢) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٥، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك ٢، ١٩٨٤ م.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٦١ ـ انظر طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٥، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك٢، ١٩٨٤م.

(٤) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥ ـ وانظر د. حسن سليمان، بيروت تخرج من السور، ص ٢٦، المقاصد، العدد ١٩، السنة الثانية، ت٢، ١٩٠٣م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٥.

(٥) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٥، المقاصد العدد ٢١، السنة ٣، ك٢، ١٩٨٤م.

وقد هدم إثر عاصفة هوجاء عام ١٢٦٦ هـ/١٨٤٩ م[1].

٢ ـ باب الدباغة:

ويقع بالقرب من جامع الدباغة[2] في الناحية الشرقية الشمالية من المدينة، وسمّي بذلك لأنه قريب من سوق الدباغين أو محلة الدباغة[3].

وكان هذا الباب أكثر أبواب المدينة ازدحاماً، تجتازه القوافل لقربه من الميناء، واتخذ مركزاً لمحصل المكوس المقدرة على البضائع الصادرة والواردة[4]. وقد ذكر هذا الباب الكونت دوبويسون بقوله: «باب الدباغة فتح في بدنة السور، عرضه نحو مترين وستين سنتم، وكان يعلوه قوس محدث من الحجر، وبقرب القوس المذكور من باطنه خشبة ضخمة تعترضه لها في طرفيها ثقبان، وعلى هذا المثال بقية الأبواب كباب السراي وباب يعقوب»[5]. فهذا الوصف يدل على ما كان عليه نمط البناء في صناعة الأبواب في العهد القديم، وكيف كان الاعتناء بالتحصينات الهامة لبيروت لتتقي بها شر المعتدين.

وقد أقيم فوق الباب لحراسته برج مستند إلى ثلاث دعائم كان الجنود يرمون منه القذائف على العدو، وكان باب السراية مجهزاً بمثل ذلك، أما هندسة الباب فلم تكن على شكل واحد من جانبيه شرقاً وغرباً، فإن بناءه أوسع من جهة الشرق وأدق صنعاً مما يدل على عهد أقدم[6].

---

(١) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٥.

(٢) د. حسن سليمان، بيروت تخرج من السور، ص ٢٦، المقاصد، العدد ١٩، السنة الثانية ت٢، ١٩٨٣م.

(٣) و(٤) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٠، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥ م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٤.

(٥) الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٦ وما بعدها ـ وانظر طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٨، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك٢، ١٩٨٤م.

(٦) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٨، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك ٢، ١٩٨٤م.

هذا، وقد وجد عند باب الدباغة وأثناء الحفريات في سنة ١٢٨٤ هـ/ ١٨٦٧ م آثار الدار التي تعود إلى الأمير ناصر الدين التنوخي الذي كان يملك في زمانه، الزقاق المعروف باسم زقاق الخيالة[1]. وقد هدم الباب عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م[2].

٣ ـ باب الدركة:

وكان يسمى أيضاً باب الأربعين، ويقع هذا الباب بالقرب من جامع الدركة والكنيسة المسكوبية[3]، أي في الزاوية الغربية من شارع المعرض لجهة الجنوب[4]. وكان بالقرب من الباب زاوية العمرية وتعرف باسم زاوية الدركة[5].

وكان هذا الباب أنيق البناء عالي الأركان، بني كله بأحجار صلدة جلبت إليه من أرجاء البلاد، وعدّ يومئذ أجمل أبواب المدينة، وأصل اسمه «دركاة» ومعناه في اللغة التركية الفندق، وكان عند الباب عبارة يونانية مثبتة على عتبة قديمة لباب الدركة معناها «أيها الداخل بهذا الباب افتكر بالرحمة»[6].

وقد ذكر أن إبراهيم باشا دخل بيروت من هذا الباب، وشق طريقه إلى السراي في موكب فخم[7].

---

(١) سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٨.

(٢) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥.

(٣) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٥، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك٢، ١٩٨٤م.

(٤) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٠، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٤ ـ وانظر طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٨، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك٢، ١٩٨٤م.

(٥) د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ١١٨.

(٦) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٤ ـ وانظر طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٩، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك٢، ١٩٨٤م.

(٧) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٠، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٤ ـ وانظر طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٨، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك٢، ١٩٨٤م.

٤ ـ باب يعقوب :

يقع في الجهة الجنوبية لبيروت القديمة على الطرف الشمالي لطلعة الأميركان شرقي سراي الحكومة، وكان هذا الباب يؤدي إلى ساحة السور (ساحة رياض الصلح) وقد بنى هذا الباب أحمد باشا الجزار والي عكا، وعندما قام بترميم السور أدخل مساحات جديدة من الأراضي البور المجاورة له وصارت ضمنه[١].

وكان يقع بالطرف الشمالي من الباب المذكور جامع بوابة يعقوب، وكان بجواره سوق يعرف «بسوق بوابة يعقوب» كما كان بمحاذاته زاوية الشيخ حسن الراعي[٢].

ومن سمات بيروت الهامة الواقعة قرب الباب المحلة المعروفة بالثكنات التي سأتكلم عنها فيما بعد والخستة خانة (المستشفى الحكومي العثماني)[٣].

أما وصف الباب فقد ذكره الكونت دوبويسون بقوله: «غمر الرمل باب يعقوب وهو اليوم معبر مبني تحت شارع السراي وينفذ إلى غربي شارع فخر الدين (رياض الصلح) ويقيس هذا الباب مترين وسبعين سنتم في العلو ويقيس مثل ذلك في عرضه وهو يشبه في صورته وتنظيمه بابي السراي والدباغة، وسمك الحائط خمسة وسبعين سنتم»[٤].

أما بالنسبة لتسمية هذا الباب فقد اختلف في ذلك. فمنهم من نسبه إلى يعقوب الكسرواني الذي كان يملك داراً فوق الباب، ومنهم من نسبه إلى

---

(١) د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٥٦ ـ وانظر طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٩ و ٥٠، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك ٢، ١٩٨٤م.
(٢) و (٣) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٦.
(٤) الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٤ وما بعدها ـ وانظر طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٥٠، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤ م.

طبيب من صيدا يدعى يعقوب أبيلا، وكان يسكن داراً تلاصق جدار الباب[١].

وقد زالت آثار هذا الباب في منتصف الأربعينات من القرن العشرين[٢].

٥ ـ باب إدريس :

«وهو من أبواب بيروت القديمة المعروفة، ويقع بالضبط على امتداد حائط كنيسة الآباء الكبوشيين التي ما تزال موجودة في مكانها القديم[٣]، ويطل الباب على الجهة الشمالية للسور، وله مدخل داخلي يطل على خط الترامواي المستحدث في أوائل القرن العشرين، قريباً من سوق إياس»[٤].

أما تسمية الباب فتنسب إلى رجل من أسرة إدريس المعروفة، إذ كان يملك منزلاً يتصل بالباب ويقع عند مفترق طرق تلك المحلة. ويذكر أنه عندما قدمت الشركة الفرنسية لهدمه وقسماً من سور المدينة لإيصال الطريق إلى البحر رفض أبو إدريس صالح، صاحب الدار التي تجاور الباب وتلتصق به، ورفض التخلي عن ملكه وأصر على البقاء فيه. فقال له الوالي كلاماً يدل على رؤية مستقبلية: «إنك ستذكرني يوماً بالخير وتتمنى لنفسي الرحمة إذا رأيت ما سيحصل من المنافع بفتح هذه الطريق[٥]». وقد هدم الباب في عام ١٨٥٩[٦]، «ولم يبق من الباب إلا اسمه، ويطلق اليوم اسم باب إدريس على

---

(١) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨١، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٥ ـ وانظر أيضاً د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٥٦.
(٢) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٥٠، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤ م، وذكر الولي أنه شاهد بنفسه اندثار معالم الباب في منتصف الأربعينات.
(٣) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٥٠، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤ م.
(٤) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣.
(٥) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٥٠، عن لسان عبد القادر قباني، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤ م.
(٦) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨١، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣.

المنطقة الواقعة ما بين سوق البازركان القديم في الشرق وبين بناية ستاركو في الغرب وما بين كنيسة الكبوشيين في الجنوب وحتى سيف البحر»[١].

٦ ـ باب السنطية :

«يقع في الجهة الشمالية لسور بيروت، بالقرب من مقهى الحاج داود في الطريق المؤدية إلى مرفأ بيروت»[٢]، وبجواره مقبرة السنطية ولذلك سمي بها، وهذا الباب هو أصغر أبواب بيروت[٣].

٧ ـ باب أبي النصر :

ويقع على مقربة من قهوة القزاز، في مدخل سوق أبي النصر من ناحية ساحة الشهداء[٤]، قريباً من أسواق الخضار واللحوم والأسماك[٥].

وينسب الباب إلى الشيخ عمر أبي النصر اليافي. وكان السلطان عبد الحميد وهب له قطعة الأرض القائم عليها سوق أبي النصر الحالي وسمي باسمه. وإلى الشيخ عمر أبي النصر ترجع أسرة أبي النصر اليافي المعروفة[٦].

---

(١) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٥٠، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤ م.

(٢) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٥.

(٣) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٠، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥م ـ ويذكر د. حسان حلاق في كتابه بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٥، أن تسمية السنطية تعود إلى السماط وهو جانب الطريق أو أرصفته حيث كان الباعة المسلمين يعرضون بضائعهم للبيع والشراء ـ بينما نرى في أوراق لبنانية، ٢٨٠، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥ م، أن كلمة السنطية مشتقة من سنطا وكان الأقدمون يطلقون على تلك البقعة من الأرض «تيراسنتا» أي الأرض المقدسة.

(٤) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٠، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥م.

(٥) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣.

(٦) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٠، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥م، ويذكر =

وباب أبي النصر ليس من أبواب بيروت القديمة إنما هو أضيف إلى السور فيما بعد وقد ذكرنا ذلك سابقاً.

٨ ـ باب السراية :

ويعرف أيضاً بباب المصلى لأنه كان يصل الناس بساحة المصلى[١]، ويقع بالقرب من مركز الحكومة اللبنانية[٢]، وقد أطلق عليه هذا الاسم لقربه من سراية الأمير فخر الدين التي تهدمت سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢[٣]. «وبالقرب من الباب يوجد جامع الأمير منصور عساف (جامع السراي) قرب سوق سرسق، ويحده من الغرب السراي، ومن الشرق الطريق المؤدي إلى محلة المدور التي كانت تعرف باسم مزرعة الصيفي، ويحده من الجنوب خان الوحوش، وسهلات البرج حيث تقع ساحة الشهداء أو البرج، وسينما أوبرا حيث اسطبلات الأمير فخر الدين المعني»[٤].

وهذا الباب متميز عن بقية الأبواب، إذ أن أبواب المدينة، كانت تقفل عند المغرب باستثناء هذا الباب، فكان يقفل عند العشاء. وذلك لأهميته، وكان بمثابة الباب الرئيس للمدينة.

= شفيق طبارة أن الشيخ عمر من أقطاب الطريقة الخلوتية البكرية، وهي إحدى الطرق الصوفية التي شاعت يومئذ وكان لها أثر بالغ في نشر الشعائر الدينية في بيروت ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٣.

(١) د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٤ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٤ ـ وانظر طه الولي، أبواب بيروت السبعة ص ٤٦، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤ م.

(٢) د. حسن سليمان، بيروت تخرج من السور، ص ٦، المقاصد، العدد ٩، السنة الثانية، ت ٢، ١٩٨٣ م.

(٣) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨٠، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، ١٩٥٥م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٤.

(٤) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٦، المقاصد، العدد ٢١، السنة ٣، ك٢، ١٩٨٤م ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٥٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ١٥.

وقد بقي الباب قائماً بحالة جيدة إلى أن تمّ هدمه سنة ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٧ م عندما بوشر بتخطيط الشوارع في المدينة القديمة[1]، إذن كان لهذه الأبواب دور أساسي في حماية المدينة من المعتدين بالدرجة الأولى، وما إغلاق الأبواب عند مغيب الشمس وتسليم المفاتيح لوالي المدينة إلا زيادة في الحرص كما أن الأبواب وضعت لتغلق في حالة الحرب أو إذا ما تعرضت بيروت لغارة من غارات المعتدين . . .

أما اليوم فإن الأبواب اندثرت ولم يبق منها سوى بعض الأسماء كمحلة باب إدريس.

ثم اتسعت المدينة وأصبحت تضم أحياء جديدة، «وبلغ عدد أحياء مدينة بيروت عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ م ستاً وعشرين محلة وهي: محلة الغربية، محلة الدباغة، محلة الفاخورة، محلة الشيخ أرسلان، محلة حمام الصغير، محلة الشرقية، ومحلة رجال الأربعين، ومحلة الدركة، ومحلة التوبة، ومحلة الحضرة، ومحلة الباشورة، ومحلة ميدان المزرعة، ومحلة مزرعة العرب، ومحلة الصيفي، ومحلة الرميل، ومحلة القنطاري، ومحلة الأشرفية، ومحلة رأس النبع الشرقي[2]، ومحلة رأس النبع، ومحلة الرمل، ومحلة المصيطبة، ومحلة زقاق البلاط، وجميزة يمين، وميناء الحسن، ومحلة عين المريسة، ومحلة رأس بيروت»[3].

وباتساع المدينة وانعدام الأبواب وفائدتها عمدت حكومة بيروت إلى تنظيم أمر الدخول إلى المدينة عبر نقاط محددة وضعتها وسميت لدى العامة بالدخولية «وهذه النقاط عبارة عن نقاط مراقبة للبضائع التي تدخل المدينة،

(١) طه الولي، أبواب بيروت السبعة، ص ٤٦، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤م.

(٢) كان المختار في تلك المحلة عام ١٣٢٦ هـ هو السيد محيي الدين أفندي بيضون والإمام الشيخ خضر أفندي خالد (عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، ص ١١٧، تقويم الإقبال سنة ١٣٢٦ هـ).

(٣) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، ص ١١٧، تقويم الإقبال سنة ١٣٢٦ هـ.

فكان الداخل إلى بيروت يدفع رسوماً على البضائع الواردة وعلى الحمولة»[1].

وكانت هذه النقاط في عهد المتصرفية[2] أربع وهي:

١ ـ دخولية قصقص وموقعها بالتحديد على زاوية الطريق ما بين المقابر الفرنسية والطريق العام الخارجية ـ قرب ميدان المرمح ـ.

٢ ـ دخولية الطيونة على طريق صيدا القديمة.

٣ ـ دخولية فرن الشباك على طريق الشام وهي منطقة حدود بيروت.

٤ ـ دخولية النهر على طريق الساحل ـ طريق بيروت طرابلس ـ وموقعها بالتحديد على جسر نهر بيروت[3].

الثكنات:

الثكنة العثمانية (القشلة)[4]:

من ملامح بيروت العسكرية الهامة في العهد العثماني الثكنات. وكانت محلة الثكنات واقعة بالقرب من باب يعقوب وذلك دعماً للسور الذي كان ضعيفاً في تلك المحلة بسبب طبيعة الأرض المنحدرة باتجاه البحر مما جعل تلك النقطة غاية في الضعف إذا ما حاول الأعداء اقتحام المدينة من تلك الناحية، لذلك بني هناك ثمانية أبراج[5] وقامت الثكنة العسكرية خارج السور للحماية وزيادة في التحصين والمراقبة.

(١) مقابلة مع السيد عبد الرحمن قرقوطي بتاريخ ١٥/١٢/١٩٨٧ م.

(٢) مقابلة مع الحاج توفيق الحوري بتاريخ ٥/٣/١٩٨٧م ـ والحاج توفيق الحوري ينتمي إلى أسرة بيروتية مغربية الأصل، كانت تقطن في باطن بيروت، برز منها بعض الأشخاص منهم الحاج أحمد بن محمد الحوري شيخ العقادين في بيروت، يراجع د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٥٨.

(٣) مقابلة مع السيد عبد الرحمن قرقوطي بتاريخ ١٥/١٢/١٩٨٧م ـ ومقابلة مع الحاج توفيق الحوري بتاريخ ٥/٣/١٩٨٨م.

(٤) القشلة في اللغة التركية تعني الثكنة في مفهومنا المعاصر، د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٧٨.

(٥) الأب لامنس اليسوعي، المرجع السابق، ص ٧١٧.

والثكنة[1] العثمانية (تسمى اليوم سرايا الحكومة) كانت تقع بالقرب من باب يعقوب، غربي المدينة في أحسن مواقعها اللطيفة[2]، وهي قائمة على ربوة مرتفعة يبلغ علوها اثنان وأربعون متراً[3]، فوق سوق المنجدين ـ وقد عرفت باسم الثكنات ـ

وفي عهد الانتداب اتخذها المفوض السامي الفرنسي مركزاً له، كما اتخذتها الحكومات اللبنانية المتعاقبة مركزاً لها في الفترة الممتدة بين عامي ١٣٦٣ و ١٤٠٢ هـ/ ١٩٤٣ م و ١٩٨١ م، وهي التي عرفت باسم «السراية الكبير» الذي انتقل مركزها الجديد إلى منطقة الصنائع حيث سراية الحكومة[4] الحالية.

وكان للقشلة في أوائل هذا القرن عدة مسؤولين وهم على التوالي:
«قومندان الموقع سعادتلو علي باشا، كاتب القومندان الملازم عبد الوهاب أفندي بنباشي التابور، رفعتلو شكري أفندي، وكاتب آلاي رفعتلو عثمان رائف أفندي، والكاتب رفعتلو أحمد حمدي أفندي، وإمام الثكنة فضيلتلو كمال أفندي»[5].

---

(١) كانت الثكنات في صدر الإسلام عبارة عن خيام، فكان الجيش ينصب مضاربه المتنقلة ويقيم حيث تجب الإقامة، ولم تبرز الثكنات بمفهومنا المعاصر إلا بعد أن امتد العمران، أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٦٠.

(٢) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت وتقويم الإقبال، ص ٢٠ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٧٨ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٧٦ و ٧٧ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوراق بيروتية، برنامج تلفزيوني عرض في ١٩٨٨/٢/٢٢م.

(٣) الأب لامنس اليسوعي، المرجع السابق، ص ٧١٧.

(٤) جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ص ١٥٠ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني ،ص ٧٩. والسراية: بلاط الملك، أو مكان الدوائر الحكومية.

(٥) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت وتقويم الإقبال، ص ٧٧ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٧٨ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٧٦ و ٧٧.

المستشفى العسكري:

«ويقع إلى شمال الثكنة، ويعرف بـ «الخستة خانة»، أو «الأستخانة» وأصبح مكانه فيما بعد العدلية»[1].

وكان بجوار القشلة حمام[2].

وزيادة في التحصينات العسكرية في تلك المحلة، وإلى الجهة الجنوبية منها يوجد مكتب الرشدية العسكري، ويقع في طلعة برج أبي حيدر (مدرسة حوض الولاية)[3]، ولا تزال قائمة إلى وقتنا الحاضر.

ثم المدرسة السلطانية التي تحولت إلى مكتب إعدادي في منطقة الباشورة[4]، وهي الآن مدرسة للبنات تابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

ثكنة السواري:

تقع هذه الثكنة غربي حديقة الحرية في محلة برج الكشاف[5]، وكانت قائمة غربي قصر الحكومة الحالي في ساحة البرج، وقد هدمت عام ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠ م[6]، وكان المبنى يسمى[7] قرقول (كركون الخيالة السواري).

---

(١) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٧٩.

(٢) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت وتقويم الإقبال، ص ١١٩.

(٣) و (٤) أسعد تميم، معالم المسلمين في بيروت، رسالة ماجستير لم تنشر، الجامعة اللبنانية، بإشراف د. زاهية قدورة، ص ٤٠٢.

(٥) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت تقويم الإقبال، ص ٧٨.

(٦) عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ص ٢٥٥.

(٧) ذكر لي الحاج توفيق الحوري أن الثكنة العسكرية تقوم في ساحة البرج لجهة سوق سرسق وأن الأراضي المقابلة للقشلة أعطيت لوقف سكة حديد الحجاز وقد بني هناك مبنى تجاري فيما بعد، مقابلة مع الحاج توفيق الحوري، في ٥ آذار ١٩٨٨ م ـ ويذكر د. أسد رستم، في كتاب آراء وأبحاث، ص ٥٦ أنه لم يكن من المباني العمومية سوى سراي الأمير فخر الدين في مكان سوق سرسق.

«وفي ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م كان المسؤول في الثكنة ميرالاي عزتلو شكري بك، وبنباشي رفعتلو عزيز بك، ورفعتلو ديمتراكي أفندي، وأمين آلاي رفعتلو لطفي أفندي، وكاتب آلاي رفعتلو عثمان أفندي، وإمام فضيلتلو إبراهيم أفندي»(١).

وكان بجانب الثكنة العسكرية المستشفى العسكري(٢).

السراية الصغيرة:

قامت السراية الصغيرة في موضع البرج الكبير في ساحة البرج وقد هدمتها البلدية سنة ١٣٧٠ هـ/١٩٥٠ م، وكان قد بناها في سنة ١٣٠١ - ١٣٠٢ هـ/١٨٨٣ - ١٨٨٤ م بشارة أفندي الدب، مهندس ولاية بيروت، بعد انهدام سراي فخر الدين سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢ م(٣).

الثكنة الهمايونية أو القشلة الهمايونية:

وقد أقيمت هذه القشلة سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١ م(٤)، في موضع البرج المستدير. وفيها قدم الفرسان من الباب العالي بفرمان إلى نعمان باشا والي صيدا يأمره بتولية الأمير قاسم(٥).

إن هذه الثكنات قامت لحفظ الأمن وحماية المدينة من الأعداء، ولم يقف الحد عند إنشاء الثكنات حول بيروت بل تعداها إلى الضواحي كإقامة الأزواق والأبراج مثلاً بعيداً عن المدينة.

---

(١) و (٢) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت تقويم الإقبال، ص ٧٨.

(٣) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٠، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ٢، ك ٢، ١٩٥٧م - وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٤) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت تقويم الإقبال، ص ٢٥.

(٥) داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ٣٦ و ٣٧.

الأزواق:

«حتى اليوم، لا يزال يوجد في ضواحي بيروت الشمالية، مناطق تعرف بـ «الأزواق» جمع «زوق» كزوق مكايل وزوق مصبح، وكانت هذه الأماكن في السابق معسكرات تعود إلى أيام المماليك في تاريخها، وكان يقطنها أفراد من العشائر المجندين مع عائلاتهم، ثم تحولت مع الزمن إلى قرى وسكانها الآن نصارى على المذهب الماروني»(١).

وفي سنة ٩٢٢ هـ / ١٥٤٤ م عندما تولى الحكم سلاطين الأتراك وانتهى الحكم المملوكي في بلاد الشام ومصر وسائر البلاد الأخرى، وجد العثمانيون أن الاعتماد على تلك العشائر يكون في صالحهم بعد أن أوجدهم المماليك في تلك المنطقة(٢). فهذه العشائر كانت عوناً للعثمانيين في تثبيت الأمن في تلك الأماكن.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر بينما «كان عساكر السكبان(٣) يقيمون في الأزواق، أطلق الحلفاء الفرنسيون والانكليز المدافع على بيروت وتظاهروا بإنزال العساكر في رأس بيروت، وقامت النقالات العثمانية إلى جونية فأنزلت عساكرها فيها لحماية البوارج فتصدى لها عساكر السكبان المقيمون في الزوق وذلك في أيلول ١٨٤٠ م»(٤).

---

(١) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ١٩ ويضيف طه الولي أن كلمة زوق تعني سوق، وقد استبدل الناس حرف السين بحرف الزاي ودرجوا على ذلك.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩.

(٣) هي فرقة من الخيالة عرفت زمن الأمير فخر الدين المعني الثاني، الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ١١٣ و ١١٨ - وانظر نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ١٠٦ و ١٠٧.

(٤) د. أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، ص ٢٠٤، جـ ٢، ط ٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م.

الأبراج:

إن الاستراتيجية الحربية القديمة كانت فيما مضى تعتمد على الأبراج للدفاع عن المدينة من العدوان الخارجي، وكانت تقوم فوق الروابي، مقام الحصون في الحماية.

وتم بناؤها في أزمان وعهود مختلفة[١]، وفي العهد الإسلامي كثر بناء الأبراج ابتداء من عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان البراجون يشعلون فيها النار لتجاوبها نار الأبراج الأخرى في قمم الجبال، إيذاناً بوقوع غارة مباغتة، وطلباً للمدد وجمعاً للقوة[٢]. وهذه النار تسمى المواقيد.

كما كان هناك أبراج تعلو سور بيروت وكانت متقاربة وواجهاتها من الحجر وبناؤها كان من البناء القديم العريق، ويعود إلى عهود قديمة كالعصر الكنعاني والحثي[٣].

أما جنود الحامية فكانوا يلجأون إليها ويرمون السهام مع قذائف النفط الملتهب ليردوا بها هجمات المقتحمين[٤] والمعتدين.

هذا وقد وجد نوع آخر من الأبراج لم تكن غايتها عسكرية، بل كان بعضها للاصطياف ولا سيما التي كانت في «البرية» وقال عنها جرجي زيدان «إنها أبراج لكنها للسكن وليست للدفاع، وقد بناها بعض الأمراء والأعيان في عهود متفرقة... وقلما يسكنها غير القادرين لوقوعها خارج المدينة وتعرضها للغزو وسطو اللصوص وقاطعي الطريق»[٥].

---

(١) داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ١٨.

(٢) شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ص ٢٧ ـ وانظر أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك في مصر والشام، ص ٢٠٩، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٩م ـ وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٢٤٩.

(٣) و (٤) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٢.

(٥) عبد الرحمن الداعوق، سبيل ساحة السور صار أثراً بعد عين، ص ١٣٣، أوراق لبنانية، م ٣، =

وهناك أبنية عالية تسمى في العصر الحديث أبراج. ومنها ما يراه الناظر اليوم في بعض مناطق بيروت كمنطقة خندق الغميق وزقاق البلاط، فيرى قباباً عالية على سطوح هذه الأبنية التي يعود بناؤها إلى قرن أو قرنين من الزمن[١] فهذا يعني أن هذه الأماكن كانت تستعمل للاصطياف وليس للحراسة أو للأغراض العسكرية.

وكانت بعض الأبراج تستعمل للبريد بواسطة الحمام الزاجل «فإذا نزل الحمام في مركز منها، أخذ البراج الرسالة... وكان الإيجاز والتركيز من أهم مميزات الرسائل التي ينقلها الحمام الزاجل»[٢]، وأول من عني بالحمام نور الدين زنكي، إذ رأى ضرورة وصول الأخبار بسرعة، والحمام غنيّ بذلك، وأنفق في ذلك أموالاً طائلة، واستعمله بعده صلاح الدين الأيوبي في الحروب الصليبية[٣].

إذن الأبراج نوعان إما للأغراض العسكرية وهو ما اشتهرت به أبراج بيروت، وإما للاصطياف أو لأغراض مدنية.

«وأهم الأبراج العسكرية الهامة هي:

برج القلعة، وبرج الغليني، وبرج السنطية، والبرج البراني، وبرج الشيخ، وبرج الكشاف، وقد ضمت هذه الأبراج سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م اثنين وخمسين جندياً من طائفة المستحفظان وهم الإنكشارية، وهذه الفرقة اشتركت في فتح مصر ولهذه الفرقة أهمية كبرى في الدفاع عن القلاع»[٤].

= جـ ٣، آذار ١٩٥٧م ـ نقلاً عن جرجي زيدان، استبداد المماليك، ص ٨٩، طبعة دار الهلال، ١٩٥٠م.

(١) مقابلة مع الحاج توفيق الحوري، بتاريخ ٥/٣/١٩٨٨م.

(٢) د. أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص ٢١٣.

(٣) أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ص ٧٣ و ٧٤.

(٤) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت، ص ٢٨٣.

برج الأمير جمال الدين:

وهو من أهم الأبراج في بيروت ويعود تاريخه إلى سنة ١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م[١]، ويذكر أن الأمير فخر الدين كتب إلى أهالي الشوف «ليجوا إليه بالعدد، وأرسل بلوكباشيين بنفرهما سكنوا برج الأمير جمال الدين في مدينة بيروت، لأنه برج منيع وحاكم على جميع المدينة والبيوت»[٢]، وينسب هذا البرج إلى الأمير جمال الدين حجي بن نجم الدين محمد بن حجي أحد ولاة بيروت في القرن السابع الهجري[٣].

برج البعلبكية أو البرج الصغير:

سمي كذلك نسبة إلى الجنود الذين كانوا يحملون إليه كل سنة أبدالاً من بعلبك للغزو في البحر والدفاع عن الثغور جهاداً في سبيل الله، وقد ذكر هذا البرج صالح بن يحيى «وجعل بيدمر أول السور عند الحارة التي لنا على البحر واصلاً تحت البرج الصغير العتيق عمارة تنكز نائب الشام المعروف ببرج البعلبكية وجعل بين هذا السور وبين البرج المذكور باباً وركب عليه سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج سمي باب السلسلة»[٤].

---

(١) شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٧٩، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥م ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦ ـ وانظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت، ص ١٥٥ و ١٥٦.

(٢) الخالدي الصفدي، لبنان في عهد الأمير فخر الدين الثاني، ص ٦٧.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١١٠ ـ ١١١، وانظر شفيق طبارة، بعد نشر مقالة عن معالم بيروت القديمة، ص ٧٨، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ٢، شباط ١٩٥٧م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢١.

(٤) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٦١ ـ وانظر شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١١ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٢ ـ وانظر شفيق طبارة، سورها وأبوابها، ص ٢٨٢، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران ١٩٥٥م ـ وانظر الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٦ ـ وانظر أسعد تميم، ص ٢٣. ويروى أن تسميته تنسب إلى مهندسه أبي بكر بن البصيص البعلبكي، وهو مشيد لمراقبة المرفأ وكذلك لحماية المدينة من جهة البحر.

ويقع البرج إزاء البحر بمحاذاة برج السلسلة ويعود تاريخه إلى العصور الوسطى[١].

هذا، وكانت استحكامات بيروت من جهة الغرب تتألف في القرن الخامس عشر ـ ما عدا سور البحر والقلعة ـ من الحصن المعروف بالبرج الصغير أو البعلبكي المشيد لمراقبة المرفأ ومدخل البحر[٢]. فهذا يدل على أهمية البرج واستراتيجية موقعه التي ساعدت في الدفاع عن أمن المدينة وقت الأزمات.

برج الفنار والسلسلة في المرفأ:

كان في مدخل المرفأ برجان يسمى أحدهما برج الفنار، ويقوم على صخرة منفردة فوقها فنار، ويبعد عن البر مسافة خمسة وعشرين متراً[٣]، بينما يتصل البرج الآخر باليابسة برصيف هدمته من آخره عاصفة هوجاء سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م ويسمى برج السلسلة[٤]. بينما يذكر البعض أن البرج هدمته شركة مرفأ بيروت على إثر نيلها الامتياز بإنشاء المرفأ.

وقد بدأ عملها في سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[٥]، ويدعى برج السلسلة أيضاً برج الميناء[٦].

---

(١) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٢.

(٢) الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٦.

(٣) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٦.

(٤) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٧، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ١٩٥٧م ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ١٧.

(٥) أوراق لبنانية، ما قيل حول معالم بيروت القديمة، ص ١٣، م ٣، جـ ١، ك ٢. ١٩٥٧م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة، ص ٢٤ ـ وانظر الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٧.

(٦) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٤ ـ وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٢٤.

وكان برج الفنار وبرج السلسلة متقابلين، تقوم بينهما سلسلة من حديد وكان عليها الحراس والأمناء[١]، فلا يدخل أحد أو يخرج من الميناء إلا بعلمهم.

برج الحصن:

ويقع في محلة الحصن القريبة من منطقة الفنادق غربي بيروت[٢]. ويذكر داود كنعان أن هذا البرج يعود إلى القرن الرابع وأقيم في عهد الملكة هيلانة والدة قسطنطين الكبير، عندما أتت إلى القدس للبحث عن خشبة الصليب، فبنت أبراجاً متقاربة على طول الطريق من أورشليم إلى القسطنطينية، وقد دعيت هذه الأبراج أبراج القديسة هيلانة[٣].

برج الكشاف:

يقع في ساحة البرج، وكان قائماً محل مقهى البارزيانا[٤]، ويبعد حوالي مئة وخمسين متراً شرقي زاوية الأسوار[٥]. «وكان قريباً من سراي الأمير فخر الدين المعني، وقد عرف بالبرج الكبير»[٦]، ويبدو أنه كان أكبر أبراج بيروت حجماً.

أما بناء البرج فكان مربع الشكل[٧]، وارتفاعه يبلغ ثمانين قدماً[٨]،

---

(١) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٧، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ١٩٥٧م - وانظر شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، ص ٢٨١، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران، ١٩٥٥م.

(٢) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٤.

(٣) داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ١٨.

(٤) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٠ - وانظر شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٦، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م - وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٣٤٨ - وانظر تاريخ حوادث بيروت، مخطوطة لبنانية، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٥) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥ - وانظر الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٢.

(٦) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢١ وانظر الملاحق الوثائقية.

(٧) عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ص ٢٦٠.

(٨) د. فيليب حتي، المرجع السابق، ص ٣٨٢.

بينما يذكر المعلوف أن ارتفاع البرج يبلغ ستين قدماً، وسماكة جدرانه اثني عشر قدماً[١]. وقد سمي الكشاف لأنه كان يكشف تحركات الأعداء القادمين من البحر[٢].

أما تاريخ البرج فيعود بناؤه إلى عهد الملك الظاهر برقوق (٧٨٤ هـ - ٧٩١ هـ)/(١٣٨٢ م - ١٣٨٩ م)، وقد أشار إليه صالح بن يحيى بقوله: «... في أيام السلطان الملك الظاهر برقوق، عمر البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من أبراج القلعة الخراب فقرروا به المجاهدين»[٣]. فالمجاهدون إذن كانوا يأتون إلى بيروت لحمايتها والدفاع عنها بواسطة تلك الأبراج فكانوا يقومون بحراستها والإقامة فيها.

أما الساحة الموجودة أمام البرج فقد سميت باسمه[٤] (ساحة البرج)، وقد أطلق على هذه الساحة ساحة المدافع place des canons يوم رابط فيها الجيش الفرنسي عام ١٢٧٧ هـ/١٨٦٠ م[٥]. ثم أطلق عليها اسم ساحة الشهداء تكريماً لذكرى الذين علقوا على المشانق عامي ١٣٣٤ هـ -

---

(١) عيسى إسكندر المعلوف، المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(٢) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٠، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧م - وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٣٤٨ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢١.

(٣) الكونت دومنيل دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٦ - وانظر د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ص ٣٤٩ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢١ - وانظر د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت، ص ٢٨٣ - وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٢٤ - وانظر د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٥.

(٤) عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، ص ٢٦ - وانظر الكونت دومنيل دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٢ - وانظر د. يوسف مزهر، المرجع السابق، ص ٣٤٨ - وانظر عيسى إسكندر المعلوف، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٥) د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت، ص ٢٨٣.

١٣٣٥هـ/١٩١٥م و١٩١٦ م بسبب قيامهم بنشاطات سياسية للانفصال عن السلطنة العثمانية.

وقد جدد بناء البرج في عهد فخر الدين[١]، وكثيراً ما كان الأمير يجلس في أعلى البرج ليطل على الأراضي المحيطة به ليروح عن نفسه[٢].

وقد دب الخراب في البرج ولم يبق منه أيام إبراهيم باشا سوى درجات من الصخر، وقد شوهدت هذه الدرجات عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، وكان هذا البرج يحاذي بستان فخر الدين من الجهة الجنوبية الشرقية[٣].

ولعل السراية الصغيرة ـ سراية الحكومة ـ قد بنيت في موضع البرج علماً أن هذه السراية هدمتها البلدية في سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م[٤].

برج الشلفون أو الغلغول[٥]:

«يقع في ساحة دير العازارية للأيتام الصبيان، ودعي فيما بعد «ببرج الشلفون» باسم الأسرة التي تملكته في أوائل القرن الثامن عشر مع كافة الأرض المقامة عليها اليوم بنايات العازارية، ثم باعوها لراهبات المحبة

---

(١) طنوس الشدياق، مرجع سابق، ص ١٣ ـ وانظر عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين، ص ٢٥٣ ـ وانظر د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٥٦.
(٢) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٠.
(٣) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٦، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م ـ وانظر شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٠.
(٤) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٠.
(٥) حي الغلغول يقع بالقرب من منطقة خندق الغميق فوق سور بيروت ـ أنظر طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ٧١ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦ ـ وانظر عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ص ٢٩ ـ وانظر صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٣٧ ـ وانظر داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ١١.

«العازارية» عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م»[١].

وفي سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م وقعت معركة عند البرج بين القيسية واليمنية قتل خلالها عبد الله بن قايد بيه بن الصواف مقدم اليمنية[٢].

أبراج في منطقة رأس بيروت:

حوت منطقة رأس بيروت عدة أبراج في أزمان مختلفة وقد وجد في تلك المنطقة أنقاض برج يعود بناؤه إلى العهد الصليبي[٣].

برج الحمرا:

كانت النار تشتعل في قمته لإعلام دمشق بالتتابع مع عدة أبراج أخرى بأن خطراً سيدهم ثغرها، وقد سمي «بالحمرا» نسبة إلى أمراء بني الحمرا أمراء البقاع، وهم أول من سكن هذه المنطقة قبل عام ٥٣٩هـ/١١٤٩م، ومن أشهرهم الأمير الشيخ محمد الحمراء[٤].

برج البواب:

يقع في رأس بيروت على الشاطىء[٥].

برج شاتيلا:

يقع جنوبي غربي منارة بيروت الحالية. وذكر الرحالة الفرنسي دارفيو في سنة ١٦٦٠م برجاً عالياً على الشاطىء قرب المنارة، وقال أن الرقيب الحارس

---

(١) و(٢) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٨٨ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦ ـ وانظر داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ١١.
(٣) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٨٩ ـ وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت، ص ٦٦.
(٤) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٥.
(٥) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١١ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة، ص ٢٥.

يظل فيه، صباح مساء، ليعطي الإشارة عن اقتراب السفن إلى اليابسة[١].

برج دعبول :

«وهو برج الشيخ دعبول وكان موقعه شمالي سراي الحكومة اليوم (مدرسة الصنائع سابقاً) وكان موقعه تحديداً حيث المصرف المركزي اليوم»[٢].

برج قدورة :

«يقع في رأس بيروت قرب كنيسة الوردية حالياً ولا يزال هذا المبنى قائماً حيث يستعمل كمستودع لشركة شهاب للآلات الكهربائية، بعد أن اشتراه أحد الأجداد (الحاج سعد الدين شهاب) من آل قدورة»[٣].

برج ربيز :

وكان في شارع عمر بن عبد العزيز في شارع الحمرا[٤].

أبراج أخرى :

برج الخضر :

وموقعه في ظاهر بيروت شرقي المدينة بمحاذاة البحر[٥]، بالقرب من جامع الكرنتينا[٦]. وقد ذكره جون كارن بقوله «ويتجلى برج قديم يقال أنه

---

(١) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١١ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٤.
(٢) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٥.
(٣) أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٢٨.
(٤) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٥.
(٥) د. حسان حلاق، المرجع السابق، ص ٢٤.
(٦) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٠ - وانظر شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٧، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م.

قريب من الحقل الذي ذبح فيه القديس جاورجيوس التنين»[١]، ويعني بذلك برج الخضر.

برج حمود :

«وموقعه بالقرب من برج الخضر شرقي بيروت، وقد أقامه أمراء بني حمود المغاربة الأندلسيون الذين وفدوا إلى بيروت للدفاع عنها ضد الصليبيين، وكان أمراء آل حمود قادة على ثغر بيروت وبعض الثغور الشامية»[٢].

برج البراجنة :

ويقع في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت.

برج أبي حيدر :

يقول البعض أن أصله برج أبي هدير فصار برج أبي حيدر، وتعرف المحلة في الوقت الحاضر باسمه، وكان للجهة الشمالية من دار المغفور له مصطفى نجا، وقيل أن هذا البرج كان يسمع منه صوت خفيف بسبب علوه ونفوذ الريح في مخارقه، واسمه مشتق من هدر يهدر هديراً[٣]. بينما ذكر د. حلاق، أن هذا البرج ينسب إلى أسرة أبي حيدر على غرار بعض الأبراج العسكرية والمدنية التي نسبت للعائلات البيروتية، وكان هذا البرج من الأبراج العاملة في حماية بيروت وأهلها[٤].

---

(١) جون كارن، المرجع السابق، ص ٢٦٦ - وانظر الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٣ - وانظر د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٦.
(٢) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٤ و ٢٥.
(٣) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١٠، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧م - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٣.
(٤) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٦ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٣.

برج المحجر الصحي:

ذكر جون كارن أن إبراهيم باشا بنى برج المحجر الصحي[1]، وقد ذكره شفيق طبارة قائلاً: «... إن المحجر الصحي (الكرنتينا) الذي بناه سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م هنري غيز قنصل فرنسة في بيروت يومئذ بإيعاز من إبراهيم باشا المصري وبالاشتراك مع قناصل النمسا والدانمارك وإسبانية واليونان»[2].

برج العريس أو برج الباشورة:

وكان غربي البسطة التحتا، وما زالت آثاره قائمة إلى اليوم وتتصل به مغارة قديمة يقال إنها نافذة إلى محلة المزرعة[3]. «وسمي أيضاً برج الباشورة ويقع في المنطقة التي تضم جبانة الباشورة، وقد سميت بالباشورة وجمعها بواشير بمعنى سد التراب، وقد استخدمت الباشورة في المنطقة الإسلامية كسد ترابي لمنع وصول الخيالة والرجال والسهام إلى موضع المحاربين»[4]، وكان هذا البرج من الأبراج العسكرية القائمة لحماية المدينة[5].

ولعل هذا البرج من ضمن الأبراج الثمانية التي قامت للدفاع عن بيروت كما يظهر في خارطة ديليون الإنكليزية ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م[6]، حيث أن التحصينات كانت ضعيفة من جهة الغرب ويستطيع العدو أن يقتحمها زاحفاً إليها من أعالي السرايا الكبيرة حيث كان يشرف على كل المدينة[7] تقريباً نظراً لطبيعة الأرض حيث تأخذ في الانحدار إلى البحر.

---

(١) جون كارن، المرجع السابق، فصل بيروت وجبل لبنان، ص الأولى.
(٢) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٥٧، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م.
(٣) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١١ - وانظر شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٦٠، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٣ و ٥٨.
(٤) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٢ و ٢٣.
(٥) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٦ وانظر الملاحق الوثائقية.
(٦) الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٦٥ - وانظر د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥.
(٧) الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٦٥ - وانظر د. حسن سليمان، بيروت تخرج من السور، ص ٢٦، المقاصد، العدد ١٩، السنة الثانية، ت ٢، ١٩٨٣م.

برج القشلة:

روى الفيكونت فيليب دي طرازي: «إن هذا البرج الذي بناه شخص اسمه «كشلي» بقي معروفاً بهذا الاسم حتى تهدم ولم يبق منه إلا بعض أنقاض بنت عليها حكومة المتصرفية سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م ثكنة للجند عرفت باسم «القشلة»، وهذه الثكنة أو القشلة هي اليوم مقر حكومة الجمهورية اللبنانية في الصنائع وتعرف باسم «السراية الكبير»[1].

هذا، وقد وجد أنقاض برجين عند باب الدركة يعود البناء إلى أيام العرب

برج دندن:

ينسب إلى الأمير دندن شقيق الأمير فياض الذي جاء مع الأمير فخر الدين المعني عند عودته، في سنة ١٠٢٨هـ/١٦١٨م، من مدينة طرابلس وبلاد جبيل والبترون، وكان هذا البرج في زمن إبراهيم باشا المصري أطلالاً دارسة، «قرب كركول العبد، في طريق الشام جنوب شرق المدينة»[2].

البرج الجديد:

بنى الأمير مراد منصور البرج الجديد فوق طاقة القصر في سنة ١١٦٣هـ/١٧٤٩م تقريباً[3] ومن اسمه تعلم أنه ربما بني منذ عهد قريب.

أما موقعه فيذكر شفيق طبارة أن البرج كان يقوم على ربوة إزاء الكنيسة

---

(١) إضافة إلى ما قيل حول معالم بيروت القديمة، ص ١٢ و ١٣، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ١٩٥٧م.
(٢) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١١ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٣ ويضيف د. حلاق أن عائلة دندن تنسب إلى الأمير دندن - وانظر د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في العهد العثماني، ص ٥٦ - وانظر أسعد تميم، المرجع السابق، ص ٢٧.
(٣) الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٣ - وانظر داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ٣٦ و ٣٧.

الإنجيلية في محلة باب يعقوب، عند طلعة الأميركان جنوبي السرايا الكبيرة[١].

بينما يذكر البعض أن البرج الجديد يقع بإزاء برج الكشاف في الزاوية الجنوبية الغربية وله تحصينات مثله[٢].

البرج المستدير:

بنته زوجة الأمير أحمد الشهابي المكناة «أم دبوس» ويقع البرج بجانب السور وقد بني سنة ١١٦٣ هـ/ ١٧٤٩ م[٣]. ولعل اسمه يدل على شكله أي دائري الشكل.

برج شعبان:

يقع شمالي غربي بيروت في محطة الديك، بموضع عيادة الطبيب عبد الرحمٰن سنو[٥].

أبراج بأسماء العائلات:

برج المجيدية:

«وهو المعروف اليوم بجامع المجيدية، وكان قلعة من قلاع بيروت البحرية، وبرجاً هاماً من أبراجها القائمة لحماية ثغر بيروت»[٤]. وموقعه في شمال المدينة.

---

(١) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١١ ـ وانظر شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٦٠، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٥.

(٢) الكونت دوبويسون ص ٧٥٢، وانظر د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٥.

(٣) الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، ص ١٣ ـ وانظر داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ٣٦ و ٣٧.

(٤) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ١١ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٥.

(٥) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٥٥.

سميت بعض الأبراج بأسماء العائلات التي سكنتها وكانت مسؤولة عن حراستها ومن بين تلك الأبراج:

برج بيهم:

يقع شرقي محلة المصيطبة، وقد بني على بعض أنقاضه المرحوم حسين بيهم الطابق الأرضي من منزله. وكان هذا المنزل في عام ١٩٥٧ م يخص السيد أمين صادق وأحمد مختار بيهم[١].

برج سلام:

«ويقع أيضاً في محلة المصيطبة جنوبي بيروت، وقد سمي باسم أسرة سلام البيروتية، وصاحبه هو سليم علي سلام (أبو علي)، وهذا البرج من الأبراج المدنية»[٢].

برج سيور:

وقد بني سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥١ م وكان صاحبه يوسف سيور، وقد ذكره الشيخ ناصيف اليازجي بقوله:

قد شاد هذا البرج يوسف عصره — من آل سيور الأكارم نيسب
قالت لدى الباب المؤرخ وفده — هذا لنا برج وهذا كوكب[٣]

برج القرقوطي:

ويقع في حي مار نقولا بالقرب من حي السراسقة في المنطقة الشرقية من بيروت، ويقع بالقرب من منزل موسى سرسق[٤]، ومنزل خنيصر ومنزل

---

(١) ما قيل حول مقال كتبه شفيق طبارة، تحت عنوان «معالم بيروت القديمة»، ص ١٢، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٣.

(٢) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٣ و ٢٤.

ما قيل حول مقال كتبه شفيق طبارة، تحت عنوان «معالم بيروت القديمة»، ص ١٣، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢ ١٩٥٧ م.

(٣) روى لي والدي إبراهيم القوقوطي عن أبيه عن جده، أنه في أواخر القرن التاسع عشر كان لدى موسى سرسق (نصراني) جارية سوداء أسلمت واستجارت بالحاج إبراهيم القرقوطي (صاحب البرج) الذي أجارها وتم إعتاقها، مقابل أراضٍ أخذها موسى سرسق من صاحب البرج قيست يومئذ بالشملة (وتستعمل في لف الخصر لدى الرجال وتعادل (٢٠ متراً تقريباً)).

(*) برج القرقوطي: الدكتورة حنان قرقوتي تنتمي أصلاً إلى عائلة القرقوطي وقد تحرف الاسم لبعض أفراد العائلة زمن الإحصاء في الثلاثينات من القرن العشرين عندما تم إحصاء السكان في دولة لبنان الكبير زمن الانتداب الفرنسي.

الشملاتي. ويبعد البرج حوالي مئة وخمسين متراً عن كنيسة مار نقولا الحالية، وقد هدم البرج عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م وبنيت مكانه السفارة النمساوية في حينه ثم هدمت عام ١٩٥٦ م وبني مكانها في العام ١٩٨٩ م بناية برج معوض. وبقي من آثار البرج بئر الماء المحفور في الصخرة وقسمه العلوي بني بالأحجار الرملية قرابة متر ونصف.

وكان البرج يتألف من طبقتين شأن بقية الأبراج، وكانت الطبقة السفلى للدواب والعلف، بينما الطبقة العليا كانت للسكن والحراسة[١].

أما نوع البناء فكان مؤلفاً من الحجر الرملي القديم المعروف في أبنية بيروت القديمة والسقف عقد (قناطر)[٢].

هذا، وقد وجدت أنقاض برجين عند باب الدركة يعود بناءهما إلى أيام العرب[٣].

مما تقدم نرى أن الأبراج كانت نوعين عسكري ومدني، ولكن بصفة عامة فإن هذه الأبراج اتخذت منهجاً عسكرياً وجهادياً لحماية المدينة العريقة من هجمات الأعداء والدفاع عن ثغر بيروت. وجهاد في سبيل الله.

أما الأبراج التي سميت بأسماء العائلات فتعود إلى الذين سكنوا تلك الأبراج وكانوا مسؤولين عن حراستها.

قلعة بيروت:

لم يكتف المجاهدون ببناء الأبراج لحماية بيروت وإقامة السور وحراسة الأبواب حول المدينة، بل اهتموا بقلعتها التي كانت على ساحلها شأنها كسائر

---

(١) مقابلة مع إبراهيم القرقوطي ومع عبد الرحمن القرقوطي بتاريخ ١٥/١٢/١٩٨٧ م.

(٢) وقد ذكرت البرج الدكتورة حبوبة حداد في عام ١٩٥٦ م في برنامج إذاعي تكلم عن معالم بيروت القديمة، وروت السيدة (د. حداد) أن معلوماتها استقتها من الكونت فيليب دي طرازي وقتذاك، هذا وقد أجريت اتصالاً بالمطبعة الكاثوليكية حيث أنهم يقومون الآن بإعادة طبع كتاب للكونت طرازي عن معالم بيروت القديمة ولا يزال الكتاب تحت الطبع.

(٣) الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٦٣.

(*) انظر ملاحق الصور.

مدن العصور الوسطى، أما تاريخ بناء القلعة فليس لدينا تاريخ ثابت، غير أن عهدها سابق لعهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، إذ أن هذا السلطان عندما تسلم مدينة بيروت من الصليبيين قام بنصب السنجق السلطاني على قلعتها نهار الخميس تاسع عشر من شهر جمادى الأولى ٥٨٣ هـ/آب ١١٨٧ م[١].

أما موقعها، ففي الجنوب الشرقي من مدخل الميناء فوق محلة الخارجة[٢]، وقد ذكرها دولد بنورغ سنة ٦٠٩ هـ/١٢١٢ م فقال: «إنها من جهة يحفظها البحر، ومن جهة أخرى تشرف على هوة عميقة... ويراها الناظر من ذلك المرتفع المشرف رأساً عمودياً على الميناء»[٣].

وكان للقلعة دور هام، فكان حاكم المدينة عندما يشعر بالخطر يتحصن بداخلها، وهذا ما حصل عندما وقعت مشاحنات بين «فردريك الثاني» إمبراطور بيزنطية، وبين جان ديبلين صاحب بيروت وذلك عندما ادعى الإمبراطور أن له حقوقاً في بيروت وطلب أن يملك المدينة سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م. فأنكر عليه الأمر صاحب بيروت، عندئذ أوفد «فريدريك الثاني سنة ٦٢٩ هـ/١٢٣١ م جنوداً نزلوا ليلاً إلى المدينة واستولوا عليها إلا أن جان ديبلين تحصن في قلعتها فحاربه عسكر الإمبراطور وحاصروه وكادوا يفتحوا القلعة عنوة لولا أن ملك قبرص قدم لمساعدة الحامية واضطر جنود الإمبراطور إلى فك الحصار ولاذوا بالفرار»[٤].

هذا وقد تعرضت القلعة للهدم والقصف عدة مرات في التاريخ وذلك للضرورات الحربية التي كانت تحتمها المواقف العسكرية. ففي سنة ٦٨٩ هـ/

---

(١) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٢٢.

(٢) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٧، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧م.

(٣) الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، ص ١٨، المشرق، العدد العاشر، ١٩٣٣ م.

(٤) الكونت دومنيل دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٤.

١٢٩٠ م مثلاً تعرضت للخراب عندما قدمت جيوش الملك الأشرف لبيروت فحاصرتها وفتحتها ودكت قلعتها وكانت حصينة جداً[١].

أما بناء القلعة فكان مبنياً من الحجارة الضخمة . . . ومجهزة من الداخل بالأدوات الحربية كالمنجنيق (المدفع الحربي) والمواد النفطية المتفجرة[٢]، كما كان هناك الحبس وذلك في عهد الأمير فخر الدين المعني كما تدل المراجع، فيذكر الخالدي الصفدي «أن في الحال مسك الأمير موسى وحبسه في حبس قلعة بيروت حتى يجي المال»[٣].

هذا، وأدرك الأمير فخر الدين أهمية القلاع والحصون والأبراج داخل منطقة نفوذه، فقام ببناء وترميم الكثير منها[٤]، ولا بد أنه قام بترميم القلعة وتحصينها شأنها كشأن سائر القلاع الواقعة ضمن حكمه.

وكانت القلعة مقر الحامية في المدينة، واشتهرت بمناعتها، وتوالت بعض الأسر البيروتية ذات المكانة على حراستها، عرف منهم آل القوتلي وآل دية[٥].

وكان أبناء القوتلي من الشجعان، وقيل إن لقبهم مشتق من كلمة تركية أصلها قوة لي، أي صاحب القوة أو القوي، ويروي آل القوتلي في بيروت عن جدتهم سعود بنت صالح طبارة، زوجة قاسم القوتلي، «أن بعض قرصان البحر من أهل أوروبا هاجموا القلعة ذات يوم على غرة، فتصدى لهم

---

(١) سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، ص ٦٨ وانظر ملاحق الصور.
(٢) شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، ص ٢١، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦م.
(٣) الخالدي الصفدي، لبنان في عهد الأمير فخر الدين الثاني، ص ٩٤، بينما يذكر شفيق طبارة. بعد نشر مقال معالم بيروت القديمة، ص ٧٨، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ٢، شباط ١٩٥٧م«أن في الحال مسك الأمير يوسف وحبسه في حبس قلعة بيروت رهينة حتى يجي المال»، فهناك فارق في الأسماء ولعل شفيق طبارة وقع في خطأ في الاسم.
(٤) الخالدي الصفدي، المرجع السابق، ص ١٧٧.
(٥) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٧، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧م.

رجال الحامية ووقعت بين الفريقين موقعة شديدة، أبلى فيها رجال الحامية مع نسائهم أحسن البلاء حتى انتهت بانتصار البيروتيين ودحر المعتدين، وانتزعت سعود هذه، في جلبة المعركة، سيفاً كان يتقلده أحد القرصان، واحتفظ حفيدها إبراهيم قاسم القوتلي بهذا السيف الأثري[١]».

أما في عهد الأمراء الشهابيين فحين قدموا إلى بيروت وتوطنوها، قام الأمير يوسف الشهابي في سنة ١١٨٦ هـ/ ١٧٧٢ م بتجريم الأمير الشيخ عبد السلام عماد، والشيخ حسين تلحوق، لميلهما إلى الجزار . . . وأقامهم عن القلعة، واستولى عليها، وأقام فيها محافظاً من قبله رجلاً من وجوه أهل بيروت يدعى صادق دية[٢]. وقد ذكر أن إبراهيم باشا المصري أقام في سنة ١٨٤٠ م عبد الله أبو دية، متسلماً على بيروت وهو الذي كان في ولاية الجزار المسؤول عن قلعة المدينة[٣].

خراب القلعة:

بدأ الخراب يظهر بوضوح بقلعة بيروت ابتداء من سنة ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧ م. وذكر ذلك الرحالة موندرل الإنكليزي الذي قام برحلته إلى بيروت في تلك السنة فقال: «وعلى شاطىء البحر قلعة قديمة متخربة» . . .[٤].

---

(١) شفيق طبارة، المرجع السابق، ص ٧ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٣٠.
(٢) وهو الجد الذي تنتسب إليه أسرة دية المعروفة في بيروت، راجع شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٨، م ٣، جـ ١، ك٢، ١٩٥٧م ـ وانظر الأمير حيدر الشهابي في عهد الأمراء الشهابيين، ص ١٠١ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٠.
(٣) الأمير حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ص ٤٢٠ ـ وانظر شفيق طبارة، المرجع السابق، ص ٨ ـ وانظر د. حسان حلاق، المرجع السابق، ص ٢٠.
(٤) عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ فخر الدين المعني، ص ٢٥٧.

وظلت أعمال الترميم تظهر وتضمحل بين فترة وأخرى، مما جعل القلعة قائمة بجدرانها القديمة إلى أن دمرتها قنابل مدفعية الأسطولين البريطاني والنمساوي سنة ١٨٤٠[١].

بينما يذكر د. فيليب حتي أن القلعة ظلت قائمة حتى سنة ١٨٥٦ م[٢]. فهذا يدل على أن بيروت كانت دائماً مدينة محصنة حتى أواخر القرن التاسع عشر.

جامع المجيدية كان قلعة:

«يقع هذا الجامع في نهاية سوق الطويلة في محلة ميناء الخشب إزاء البحر[٣]»، وقد عرف بجامع المجيدية ابتداء من سنة ١٢٦٠ هـ/١٨٤٤ م[٤] نسبة للسلطان عبد المجيد، هذا وكان المسجد جزءاً من القلعة البحرية[٥]، ويذكر طه الولي «أن أهل بيروت التمسوا من السلطان المذكور أن يسمح لهم بتحويل القلعة إلى مسجد فنزل عند رغبتهم»[٦].

وربما عندما رأى أهل بيروت ما حلّ بالقلعة من شدةالقصف في سنة ١٢٥٦ هـ/١٨٤٠ م رأوا أن يستغلوا ما بقي من قلعتهم فالتمسوا من السلطان أن يحول ما بقي من القلعة إلى مسجد، «وقد عرف المسجد باسمه»[٧].

---

(١) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٨، م ٣، جـ ١، ك٢، ١٩٥٧م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٠.

(٢) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٣٨٢.

(٣) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٠و٢١ ـ وانظر د. صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص ٧٨.

(٤) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٥٥.

(٥) د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٧٨ ـ وانظر طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٧٨ و ٩١ ـ وانظر د. عبد الرحمن الحوت، الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ص ١٨، ط ١، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٢٠ و ٢١.

(٦) و (٧) طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، ص ٩١.

أما بالنسبة لآثار القصف فقد ظلت ظاهرة حتى أوائل القرن العشرين في الجدار الشمالي[١]. وقد ثبتت على باب المسجد الجنوبي قطعة من الرخام كتب عليها: «بسم الله الرحمن الرحيم. . . جدد في عهد المغفور له السلطان عبد المجيد العثماني ١٢٥٧هـ/١٨٤١ م»[٢].

إذن إن بيروت كانت تزخر طيلة تاريخها بالقلاع والأبراج لتستطيع أن تؤمن الدفاع للمدينة ولأهلها.

مرفأ بيروت:

إن أهمية بيروت تعود إلى أهمية مرفئها الذي يقع في الجهة الشمالية من المدينة، والمرفأ قديم العهد، علماً أنه كان معروفاً منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، كما تثبت ذلك كتابة مصرية قديمة محفوظة في المتحف البريطاني في لندن، وكان أول مرفأ في المنطقة[٣]. «وكان من يستولي عليه يستطيع التقدم نحو المدينة وبقية المناطق، لهذا حرص الإفرنج في العصور الوسطى بعد سيطرتهم على بيروت ومدن الساحل، على الاهتمام بتحصين المرفأ»، وبالتالي تحصين المدينة ليتمكنوا من الدفاع عنها ضد المسلمين[٤].

ولما استعاد المسلمون بيروت وسائر مدن الساحل الشامي عملوا على الاهتمام به كاهتمام الأمير بيدمر الخوارزمي المتوفى سنة ٧٨٩ هـ/١٣٨٧ م الذي حرص على تحسينه[٥].

---

(١) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٥١٥ ـ وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٥٥.

(٢) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٥٥.

(٣) مرفأ بيروت، صادر عن إدارة شركة مرفأ بيروت، ص ٤، طبع في لبنان على مطابع إيليا زكا. د.ت.

(٤) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٣٠.

(٥) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٤١.

هذا، وقد تعرض المرفأ للردم بين فترة وأخرى مع سائر موانىء الساحل في أيام المماليك لمنع سفن الأعداء من دخول الموانىء[1] نظراً للضرورات الحربية التي تحتمها الظروف الأمنية، وكانت عملية الردم تتم عندما لم يكن لدى المسلمين قوى بحرية تستطيع أن تهاجم سفن الأعداء.

المرفأ في العهد العثماني:

عندما سيطر العثمانيون على بيروت وبلاد الشام، شعروا بأهمية المرفأ واستراتيجيته فعملوا على تنشيطه من الناحية الاقتصادية والعسكرية.

أما الأمير فخر الدين المعني الكبير فقد أمر بردم المرفأ تخوفاً من الأسطول العثماني واتقاء لهجماته[2].

هذا، وكان للمرفأ دور كبير في التاريخ ففي عام ١٢٣٨ هـ/١٨٢٢ م مثلاً أرسل مركب فرنسي كان راسياً في ميناء بيروت إلى الدامور ليحمل الأمير بشير الشهابي مع أتباعه وولديه خليل وأمين إلى مصر لزيارة السلطان محمد علي باشا[3]. وفي عام ١٢٥٦ هـ/١٨٤٠ م جاء أسطول مؤلف من سفن إنكليزية ونمساوية وتركية فهاجم ميناء بيروت الذي اتخذه الجيش المصري قاعدة له. ولا تزال آثار قصف الأسطول بادية للعيان في الخدوش التي أحدثتها القنابل في مسجد المجيدية[4].

وفي فترة اضطراب جبل لبنان «اجتمع في ميناء بيروت مقدار عشرين

---

(١) د. فيليب حتي، المرجع السابق، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ص ٢٤٠ و ٢٥٤ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٣٠.

(٣) د. أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، (١٨٠٤ م - ١٨٤١ م) ص ١٥، جـ ١، ط٢، بيروت ١٩٦٦م.

(٤) د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٥١٥ - وانظر د. أسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، ص ٢٠٩، جـ ٢، ط ٢.

مركباً أوروبياً كان محمولهم مدافع وعساكر كثيرة جاؤوا لمساعدة النصارى في سوريا، ولما عقد اتفاق بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية انسحبت المراكب وتعين عسكر خصوصي جاؤوا من فرنسا إلى سوريا»[1]. وقبل أن تخرج العساكر الفرنسية من بلاد سوريا، «وصل إلى ميناء بيروت مراكب كبار حربجية من فرنسا كان محمولها مدافع وعساكر كثيرة ووصل أيضاً مراكب حربجية من الدول الأخرى الإنكليز والمسكوب والعثملي وبقوا رابطين إلى أن صار الهدوء تام»[2]. وهكذا نرى ما كان من أهمية المرفأ في الحروب فحيناً كان يردم لمنع سفن العدو من الوصول إلى المدينة، وأحياناً كان بمثابة قاعدة حربية كالفترة التي تمركز بها أسطول الجيش المصري وأحياناً أخرى كان المرفأ يستعمل للضغط على سوريا حينما جاءت المراكب الأوروبية لمساعدة ومساندة نصارى سوريا.

أما في مطلع هذا القرن فقد كان الاهتمام بالمرفأ كبيراً من حيث حراسته من المهربين وملاحقة أعمال التهريب حتى عن طريق الغطس. فمثلاً في عام ١٣٢٥ هـ/١٩٠٧ م ألقى بعض المهربين سلاحاً وذخائر في البحر خوفاً من إلقاء القبض عليهم. «وقد علم رجال الشرطة العثمانيون أن بعض المهربين أخرجوا قسماً من السلاح وأخفوه... كما أجري التحري بواسطة الغطاسين الذين توفقوا في ضبط سبعة وثلاثين تفنكة (نوع من السلاح كان يستعمل في مطلع القرن العشرين يشبه البواريد)... وعشرة آلاف خرطوشة... ومائتين قطعة حديد لأجل بواريد المارتين»[3].

أما في الحرب العالمية الأولى «وفي العاشر من تموز

---

(١) لويس شيخو، نبذة مختصرة في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠ - ١٨٦٢) ص ٤٠.

(٢) لويس شيخو، نبذة مختصرة في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠ - ١٨٦٢) ص ٤٣.

(٣) المارتين نوع من السلاح الحربي، أنظر ثمرات الفنون، العدد ١٦٣٣، ص ٥، بيروت، ١ ت ١ ١٩٠٧ م/٧ رمضان المبارك ١٣٢٥ هـ.

١٣٣٥ هـ/١٩١٦ م حلقت طائرتان في سماء بيروت وألقتا قنابلهما على الجمرك حيث أحدثت بعض الأضرار على الزوارق المرابطة في المرفأ فقتلت نوتياً وجرحت ثلاثة آخرين»[١]. إذن بالرغم من الاعتداءات المتكررة والحوادث التي وقعت في المرفأ إلا أنه استطاع الاستمرار. . . وتم توسيعه وتطويره حتى غدا على مدار ثلاثة أرباع القرن العشرين، من أهم موانىء الحوض الشرقي للبحر المتوسط.

رسو السفن في المرفأ:

إن مرفأ بيروت اشتهر منذ القدم بصلاحه لرسو السفن، وهو الميناء الذي تجد فيه المراكب الأمان في جميع الفصول، وكانت السفن ترسو قديماً في داخله، فيضع العاملون فيه «الصقالات» وهي ألواح عريضة من الخشب يستعملها المسافرون جسراً للنزول إلى البحر وإنزال البضائع إلى الرصيف. ويذكر جون كارن أن رصيف الميناء قديم جداً بقوله: «إن رصيف المرفأ يتألف في بعض أجزائه من أعمدة غرانيتية قديمة»[٢].

أما السفن الكبيرة القادمة إليه، فكانت في الصيف تستطيع الوقوف في رصيف الميناء، أما في الشتاء فكانت تضطر إلى أن تلجأ إلى خليج الخضر عليه السلام القريب من منطقة الكرنتينا، لتتجنب هبوب الرياح[٣].

ازدهار المرفأ:

هذا، وفي القرن الثامن عشر الميلادي بدأت بيروت تحتل مكانة

(١) داود كنعان، بيروت في التاريخ، ص ٢١٥.
(٢) جون كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، ص ٢٦٩.
(٣) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٦ و ٧، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧م - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٣١ - وانظر د. حسن سليمان، بيروت تخرج من السور، ص ٢٦، المقاصد، العدد ١٩، السنة الثانية، ت٢، ١٩٨٣ م.

اقتصادية بارزة بفضل مينائها الذي أعيد تجديد بنائه في عهد الأمير ملحم الشهابي ١١٦٣ هـ/١٧٤٩ م[١].

وهذه المكانة الاقتصادية شملت أكثر من قطاع مما دفع التجار الأجانب ولا سيما الفرنسيين منهم المقيمين في عدة مدن ساحلية كصيدا مثلاً أن يكتبوا إلى حكومتهم لإرسال بعض التجار والصناع إلى بيروت وجوارها لتوجيه الصناعة والتجارة فيها وذلك عام ١١٦٧ هـ/١٧٥٣ م[٢].

وبسبب التطور الاقتصادي الذي شهدته بيروت، قامت الدول الأوروبية بفتح قنصليات لها في المدينة. «ففي عام ١٢٣٨ هـ/١٨٢٢ م افتتحت وزارة الخارجية الفرنسية قنصلية لها في بيروت»[٣]، ثم تتابع وجود القنصليات الأجنبية بجوار الميناء[٤].

ثم جرى توسيع المرفأ عام ١٢٤٦ هـ/١٨٣٠ م في عهد إبراهيم باشا[٥]، وفي نهاية القرن التاسع عشر أصبح الميناء من أكبر موانىء آسيا، وفي ذلك يذكر عبد الرحمن بك سامي فيقول: «إن بيروت الآن فرضة سوريا كلها وهي أكبر الموانىء الآسيوية على بحر الروم»[٦].

ونظراً للتطور التجاري في بيروت وتزايد أهمية المرفأ، عمد التجار إلى تقسيم المرفأ إلى أقسام عدة لتسهيل عملية عرض البضائع وتصنيفها في

(١) مرفأ بيروت، إدارة شركة مرفأ بيروت، ص ٤.
(٢) و (٣) د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٣٠ و٣١ و٣٢.
(٤) جون كارن، المرجع السابق، ص ٢٦٩ - وانظر شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٧ أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧م - وانظر عيسى إسكندر المعلوف، المرجع السابق، ص ٢٦٠.
(٥) مرفأ بيروت، إدارة شركة مرفأ بيروت، ص ٤.
(٦) عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، ص ٣٣.

المكان المخصص لها، كميناء الأرز، وميناء البطيخ، وميناء الخشب[١]، وميناء القمح، وميناء البصل، وموقعها إلى الجهة الغربية من الميناء[٢].

الإدارة:

وكان للمرفأ عمال وموظفون يقومون بمهام تسيير الأعمال فيذكر صالح بن يحيى: «إن على باب الميناء دواوين وعامل وناظر ومشارف[٣]، وشاد[٤] يتولون من دمشق». أي أن هذه الرتب يتم تعيين أصحابها في دمشق.

أما الرواتب فكانت تحمل (من عائدات المدينة) للموظفين والفائض يحمل إلى دمشق[٥].

وفي الثلث الأول من القرن التاسع عشر كان دخل جمرك المرفأ ما قيمته ٤٥,٠٠٠ قرش من أصل دخل حكومة بيروت الذي كان يقارب عام ١٨٣٠م «١,٠١٣,٥٠٠» قرش[٦].

وكانت تجري عمليات البيع بين المرفأ وداخل المدينة عند باب

---

(١) شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، ص ٧، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧م. «إن الموضع خلف مصرف سوريا ولبنان لا يزال يعرف باسم ميناء الخشب».
(٢) المرجع السابق، ص ٧ - وانظر د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، ص ٣٢ وانظر ملاحق الصور.
(٣) وهي رتبة المشرف، من مناصب الدولة العليا في أيام السلاطين المماليك، راجع صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٤٠.
(٤) وهو من يتولى الدواوين وغيرها من الوظائف في أيام المماليك الجراكسة. صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ٤٠.
(٥) صالح بن يحيى، المرجع السابق، ص ٤٠.
(٦) د. أسد رستم، آراء وأبحاث، ص ٥٧ و ٥٨، نقلاً عن دفتر حسابات أحد أعيان ساحل بيروت (١٨٢٦ - ١٨٣٠) من محفوظات الجامعة الأميركية في بيروت.

الدباغة. وكان أصحاب الجمرك يسجلون المعاملات عند ذلك الباب[١].

التعرفة في المرفأ:

في مطلع القرن العشرين كان يوجد إدارة للبواخر وكان مركزها في خان أنطون بك[٢]. وفي الربع الأول من القرن العشرين كانت مفوضية المرفأ تضع تعرفة جديدة لركوب الزوارق فقد جاء في جريدة الإقبال من عام ١٣٤٣ هـ/١٩٢٤ م «إن أجرة الركوب في الزوارق خمسة عشر قرشاً سورياً عن كل مسافر يقصد إحدى البواخر الراسية خارج المرفأ. أما أجرة الطرود فعشرة قروش عن كل طرد ينقل إلى البواخر الراسية في المرفأ، وخمسة عشر قرشاً عن كل طرد ينقل إلى البواخر الراسية في الخارج»[٣].

إذن نرى أنه كان للمرفأ دور عسكري في أيام الحرب، إذا ما تعرضت المدينة للاعتداءات الخارجية لا سيما من جهة البحر.

كما وأن المرفأ طمر عدة مرات بسبب افتقار المسلمين للقوى البحرية، أما من حيث الموقع فإن الميناء يعتبر مفتاح بيروت إذ أن من يستطيع أن يسيطر عليه فقد سيطر على المدينة لأنها تقع من حوله.

أما في السلم فإن العناية به كانت كبيرة، لا سيما بعد أن وسعت أحواضه وأصبحت قادرة على استيعاب السفن الكبيرة، وأصبح من أوائل موانىء حوض المتوسط.

---

(١) الكونت دوبويسون، المرجع السابق، ص ٧٥٩، وقد دعي باب الدباغة لأنه كان ينفذ إلى سوق الدباغين، وكان الذي يمر فيه يمشي على جلود الحيوانات المفروشة في وسطه فتلين تحت أرجل المارة.
(٢) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، ص ١٦٤ - وانظر مرفأ بيروت، إدارة شركة مرفأ بيروت، المرجع السابق ص ٤.
(٣) عبد الباسط الأنسي، جريدة الإقبال، صحيفة رقم ٣، في ٦ ت ٢، ١٩٢٤ م.

الخاتمة

الخاتمة:

بنتيجة البحث والدراسة، فقد تمكنت من استخلاص النتائج التالية:

١ ـ إن مدينة بيروت قديمة العهد وقد ذكرت في التوراة، كما جاء ذكرها في أقدم الكتب التاريخية.

وشهدت المدينة في العهود القديمة حضارة ضمت في حناياها الكثير من الأبنية الضخمة كبناء مدرسة الحقوق التي اشتهرت بها خلال العهد الروماني، ثم ما لبثت أن دمرتها الزلازل ولم يبق لها شأن يذكر حتى دخول المسلمين إليها.

٢ ـ إن الواقع الذي عانته مدن الساحل الشامي قبيل الفتح الإسلامي سهل قدوم المسلمين لهذه البلاد، فدخلوها كمحررين وليس كمحتلين، وهذا ما أظهرته عندما تكلمت عن واقع الشام قبيل الفتح، ثم ما كان من فتح بلاد الشام والساحل الشامي وبيروت، ثم ما عانته هذه المدينة خلال تاريخها الإسلامي من الاحتلال الصليبي الأول، حيث تم تحريرها فيما بعد على يد السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي الذي استطاع أن يعيد إليها مجدها الإسلامي، ولكن هذا الأمر ما لبث أن غاب سريعاً بعد موته مما أوقعها تحت الاحتلال الصليبي الثاني إلى أن تم تحريرها في عهد المماليك على يد سنجر الشجاعي ثم آل أمرها إلى الحكم العثماني.

٣ ـ إن للجهاد الدور الأساسي في فتح هذه البلاد والحفاظ عليها، سيما وأنه من خلاله تمت الفتوح وبفضله استطاع المسلمون الصمود والبقاء في الثغور لإعلاء كلمة لا إله إلا الله.

واستطاع المجاهدون أن يقوموا بدور فعال لحماية المنطقة وصد أي هجوم أو غارة مباغتة.

هذا، وكانت الأخبار تصل من الثغور إلى المناطق الداخلية عبر المواقيد التي كانت في أعاليّ الجبال حيث كانت النار تضرم فيها لتجاوب بعضها بعضاً ولا تكون سوى ساعات ويصل المدد لصد الخطر.

٤ ـ يعتبر الرباط مرافقاً للجهاد بعد الفتح، واستطاع المرابطون الأوائل أن يسكنوا في بلاد الشام ويكونوا قواداً ومعلمين لغيرهم من الأجيال التالية، معلمينهم كيفية الصمود ونشر الدين بين سائر سكان هذه البقعة. وكان أول من رابط في الساحل الشامي نفر من صحابة رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين، والذي شجع هؤلاء المرابطين ما قيل فيهم من الأحاديث النبوية الشريفة وما قيل في فضل الرباط والمرابطة.

وبيروت رباط دمشق، وقد رابط بها عدد من هؤلاء الصحابة الكرام ثم أتى بعدهم التابعون إلى أن رابط فيها إمام أهل الشام والأندلس أبو عمرو الأوزاعي، ثم تبعه بعض المرابطين أمثال ابنه محمد، والوليد بن مزيد العذري البيروتي، وعلي بن ميمون، وابن عراق ومحمد بن علي بن موسى الدمشقي ومحمد بن قاضي عجلون إلخ . . . وكان لهؤلاء المرابطين الفضل الأكبر في تشجيع الناس على السكن في الثغور وحمايتها من جهة وتعريب المنطقة من جهة أخرى.

إذن بالجهاد والرباط استطاع المسلمون أن يحافظوا على طابع المدينة الإسلامي.

ومن أهم ما قام به هؤلاء أنهم عمدوا إلى تلافي نواحي الضعف في

جبهتهم، فكانوا كلما فتحوا مدينة رتبوا فيها قدر ما تحتاج إليه من المسلمين، وإن حدث وتعرضت لاعتداء سربوا إليها الأمداد.

٥ ـ بعد تحصين الثغور انطلق المسلمون في البحر المتوسط لنشر الدين الجديد مما دفعهم للاهتمام بالبحرية وبناء السفن، وكان لبيروت دور في صناعة السفن الإسلامية التي ساهمت في الغزو البحري، وهذا ما أظهرته خلال البحث إضافة إلى غابة الصنوبر التي كانت مصدراً هاماً للأخشاب بالنسبة لبناء السفن الإسلامية من جهة واستعمال الخشب في أدوات الحصار الحربي من جهة أخرى.

٦ ـ إن بيروت ـ مع سائر مدن الساحل الشامي ـ شملها الإسلام بنواحيه المختلفة. وكان الفضل في ذلك يعود إلى تدعيم الدور الجهادي بالتحصينات العسكرية التي استطاعت أن تؤمن الدفاع عن أمن بيروت عبر الأبراج التي اتسمت بالطابع العسكري، والتي كان يسكنها المجاهدون ويقومون بحراستها ليل نهار، علماً أن الأبراج انتشرت حول بيروت لمراقبة السواحل وحراستها من الأعداء.

أما الأبراج التي بنيت في أعلى السور فكانت غايتها المحافظة على السور نفسه الذي دخل في التحصينات العسكرية لحماية بيروت شأن سائر مدن العصور الوسطى والذي بني للدفاع عن سكان المدينة وحمايتهم من أي اعتداء خارجي. وكانت الأبواب التي تتخلل السور وإقفالها مساءاً من الأمور الهامة في حراسة المدينة، إضافة إلى الثكنات العسكرية التي كانت خارج السور، وكذلك القلعة التي استطاعت أن تقدم الحماية لبيروت فكان يتولاها بعض أبناء الأسر البيروتية.

كما كان للمرفأ دور أساسي خلال التاريخ الإسلامي من الناحية العسكرية والتجارية لا سيما أنه مفتاح بيروت، علماً أن من كان يسيطر عليه كان يستطيع أن يسيطر على المدينة.

أما الجيش فكان لـه نظامه الخاص ويتجلى ذلك من خلال الرتب العسكرية التي كانت معروفة في بيروت. كما كان للشرطة دور هام في المحافظة على أمن السكان. وكذلك كان للتجنيد دور فعال في الحياة العسكرية الإسلامية سيما في العهد العثماني.

مما تقدم نرى أنه لولا المرابطين والمجاهدين المسلمين لما كان لبيروت أو غيرها من مدن الساحل الشامي أي طابع إسلامي، علماً أن المسلمين عندما كانوا يدافعون عن أرضهم باسم الإسلام كانوا دائماً المنتصرين وهم الأعلون. أما عندما كان حب الدنيا يملأ صدورهم فالمتتبع للتاريخ يرى دولاً كانت تزول وترزح تحت الاحتلالات الاستعمارية... ثم تنشأ دول مجاهدة تستطيع الذود عن حمى الإسلام.

والسؤال الذي يتردد اليوم في مجتمعنا المعاصر، من خلال الشرذمات الحاصلة في عالمنا الإسلامي هو: ألسنا مسلمين؟ وإن كنا كذلك فلماذا لا يؤيدنا الله بنصر من عنده؟

ثم نرى الجواب يورده القرآن الكريم بصراحة ووضوح. قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**[1].

فالمسلمون اليوم يبلغ عددهم مئات الملايين من البشر، وقد أصبحوا غثاء كغثاء السيل عند الشعوب وكالهشيم تذروه الرياح بين الأمم، كالزبد يذهب جفاء بين الدول بسبب تعلقهم بالدنيا وكرههم للموت. ولو أنهم يعملون بقوله جل وعلا: **﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**[2] ولو أنهم ينظرون إلى الموت نظرة الإسلام إليه وينزعون

---

(١) سورة محمد: آية ٧.

(٢) سورة النحل: آية ٦١.

من قلوبهم الجبن والوهن ويسيرون على خطى أبطال أمتنا الإسلامية أمثال خالد بن الوليد الذي قال قوله الشهير: «ما في جسمي شبر إلا وفيه طعنة رمح أو سيف» وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي وينضوون جميعاً تحت لواء الإسلام لإعلاء كلمة لا إلـه إلا الله لعادوا سادة وقادة كما كانوا.

فالجهاد في سبيل الله هو إحدى الحسنيين إما الشهادة والفوز بالجنة وإما النصر وإعلاء كلمة الله في الأرض ورفع شأن الإسلام بين الأمم كافة.

تمّت بحمد الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصادر الدراسة

مصادر الدراسة

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ التوراة.

** ** ** **

١ ـ ابن حجر (أحمد بن علي...)، الدرر الكامنة في أعيان الملة الثامنة، جـ ٣ ـ وجـ ٤، ط ١، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة في الهند، حيدر آباد الدكن، سنة ١٣٥٠ هـ.

٢ ـ ابن حوقل (محمد بن حوقل...)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

٣ ـ ابن خلدون (عبد الرحمن محمد المتوفى ٨٠٨ هـ)، المقدمة، شرحها وعلق عليها د. علي عبد الواحد وافي، جـ ٢، ط ١، مطبعة لجنة البيان العربي، سنة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م.

٤ ـ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ ١، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، بدون تاريخ.

٥ ـ أحمد الصفدي، لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، نقحه د. أسد رستم، ود. فؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، ١٩٦٩ م.

٦ ـ البخاري، التاريخ الكبير، جـ ٤، ط ١، طبع بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد سنة ١٣٦٠ هـ.

٧ ـ البلاذري، فتوح البلدان، جـ ١، نشره ووضع فهارسه د. صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٦ م.

٨ ـ جون كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، تعريب رئيف فاخوري، ط ٢، منشورات دار الكشوف، بيروت، ١٩٤٨ م.

٩ ـ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥ م.

١٠ ـ حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، جـ ٢ و٣ من الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان، تعليق د. أسد رستم ود. فؤاد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣ م.

١١ ـ سليمان جاويش، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، طبع في المكتبة العمومية في بيروت، سنة ١٨٨٧ م.

١٢ ـ صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، علق عليه الأب لويس شيخو اليسوعي عن نسخة باريس، ط ٢، المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٢٧ م.

١٣ ـ الشيخ طنوس الشدياق، كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان، وضع مقدمته وفهارسه د. فؤاد أفرام البستاني، جـ ١، بيروت، ١٩٧٠م.

١٤ ـ عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، سلسلة التواريخ والرحلات، رحلة إلى سوريا في أواخر القرن التاسع عشر، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان،١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.

١٥ ـ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية حققه هربرت بوسه، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٧١ م.

١٦ ـ محمد بيرم التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، جـ ١ و٢ و٣، دار صادر، بيروت، ١٣٠٣ هـ.

١٧ ـ مرفأ بيروت، كتيب صادر عن إدارة شركة مرفأ بيروت، مطابع إيليا زكا، لبنان، بدون تاريخ.

١٨ ـ الشيخ نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، حققه وضبطه جبرائيل سليمان جبور، طبع في المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٥ م.

١٩ ـ هنري غيز، بيروت ولبنان منذ قرن ونصف قرن، تعريب مارون عبود، جـ ٢، مباحث أجنبية في تاريخ لبنان، جـ ٢، منشورات دار الكشوف، بيروت، لبنان، ١٩٥٠ م.

٢٠ ـ ياقوت الحموي، جـ ١، جـ ٦، دار الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م.

المراجـع

١ ـ إبـراهيم أحمد العـدوي، الأمويـون والبيزنـطيون (البحـر المتـوسط بحيـرة إسلامية)، طبع مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون تاريخ .

٢ ـ إبـراهيم أحمد العـدوي، الأساطيـل العربيـة في البحر المتـوسط، مكتبـة نهضة مصر بالفجالة ـ القاهرة، بدون تاريخ .

٣ ـ د. أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلاميـة في مصر والشـام، دار الأحد، البحيري إخوان، بيروت، ١٩٧٢ م .

٤ ـ د. أحمـد مختار العبـادي، قيـام دولـة الممـاليـك في مصـر والشـام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٦٩ م .

٥ ـ أحمـد نار، القتـال في الإسلام، ط ٢، نشـر وتوزيـع المكتبة الإسـلامية، حمص، سوريا، سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

٦ ـ د. أسـد رستم، بشيـر بين السلطان والعـزيـز (١٨٠٤ م ـ ١٨٤١ م) جـ ١ وجـ ٢، ط ٢، بيروت، ١٩٦٦ م .

٧ ـ د. أسـد رستم، آراء وأبحاث (١٨٩٧ م ـ ١٩٦٥ م)، منشـورات الجامعـة اللبنـانية، قسم الـدراسـات التـاريخيـة، المـطبعـة الكاثوليكيـة، بيـروت، ١٩٦٧ م .

٨ ـ أسعد محمد مطيع تميم، معالم المسلمين في بيروت، بإشراف د. زاهيـة قدورة، رسالة أعدت لنيل دبلوم في الدراسات العليا في التاريخ، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، بيروت، ١٩٨٧ م .

٩ ـ أمين الخولي، الجندية والسلم واقع ومثال، ط ١، طبع دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٠ م.

١٠ ـ جوزيف صدقي، لبنان حضارة وتاريخ وجمال، ط ١، طبع دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٩ م.

١١ ـ جوزيف نعمة، الجيش اللبناني في عهد الأمير فخر الدين، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١، ت ٢، ١٩٥٥ م.

١٢ ـ د. حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني، سجلات المحكمة الشرعية، المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، ط ١، بيروت، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

١٣ ـ د. حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، الدار الجامعية، ط ١، بيروت، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٤ ـ د. حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت، الولايات العثمانية في القرن التاسع عشر، سجلات المحكمة الشرعية، الدار الجامعية، بيروت، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م.

١٥ ـ د. حسن سليمان، بيروت تخرج من السور، المقاصد، العدد ١٩، السنة الثانية، ت ٢، ١٩٨٣ م.

١٦ ـ داود كنعان، بيروت في التاريخ، جـ ١، بقلم داود خليل كنعان، وجـ ٢، بقلم إبراهيم نعوم كنعان، مطبعة عون، بيروت، ١٩٦٣ م.

١٧ ـ درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، مطابع الأهرام التجارية، الإسكندرية، ١٩٧٤ م.

١٨ ـ الكونت دومنيل دوبويسون، استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة، المشرق، جـ ٩، أيلول ١٩٢٢ م.

١٩ ـ شفيق طبارة، الإمام الأوزاعي، ط ١، دار الريحاني، بيروت، ١٩٦٥ م ـ ١٣٨٥ هـ.

٢٠ ـ شفيق طبارة، بيروت سورها وأبوابها، أوراق لبنانية، م ١، جـ ٦، حزيران، ١٩٥٥ م.

٢١ ـ شفيق طبارة، من معابد بيروت الزوايا، أوراق لبنانية، م ١، جـ ١١، تشرين الثاني، ١٩٥٥ م.

٢٢ ـ شفيق طبارة، ضواحي مدينة بيروت، أوراق لبنانية، م ٢، جـ ٢، شباط ١٩٥٦ م.

٢٣ ـ شفيق طبارة، معالم بيروت القديمة، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ١، ك ٢، ١٩٥٧ م.

٢٤ ـ شفيق طبارة، المساجد والمزارات في بيروت، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ٦، حزيران، ١٩٥٧ م.

٢٥ ـ شفيق طبارة، برج الأمير جمال الدين في بيروت، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ٢، شباط، ١٩٥٧ م.

٢٦ ـ الأمير شكيب أرسلان، محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي عن نسخة مخطوطة في مكتبة برلين الملوكية، بقلم الشيخ زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

٢٧ ـ د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، جامعة بيروت العربية، ط ١، دار الأحد، بيروت، ١٩٧٨ م.

٢٨ ـ د. صبحي المحمصاني، الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨ م.

٢٩ ـ طه الولي، صنوبر بيروت، المقاصد، العدد ١٥، السنة الثانية، تموز ١٩٨٣ م، ١٤٠٣ هـ.

٣٠ ـ طه الولي، أبواب بيروت السبعة، المقاصد، العدد ٢١، السنة الثالثة، ك ٢، ١٩٨٤ م/١٤٠٤ هـ.

٣١ ـ طه الولي، نكبات بيروت، المقاصد، العدد السابع، السنة الأولى، محرم ١٤٠٣هـ/ت ٢، ١٩٨٢ م.

٣٢ ـ طه الولي، تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، جـ ١، ط ١، دار الكتاب، بيروت ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م.

٣٣ ـ طه الولي، العدد سبعة، المقاصد، العدد الافتتاحي، أواخر العام الهجري ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

٣٤ ـ عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت تقويم الإقبال، جريدة الإقبال، بيروت، ١٣٢٦ هـ.

٣٥ ـ عبد الباسط الأنسي، الإقبال، بيروت في ٢٥ ت ١، ١٩٢٤ م.

٣٦ ـ عبد الباسط الأنسي، الإقبال، بيروت في ٦ ت ٢، ١٩٢٤ م.

٣٧ ـ الشيخ عبد الباسط الفاخوري، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، تحقيق الشيخ نزار الفاخوري، دار الجنان، ط ١، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م.

٣٨ ـ عبد الرحمن الحوت، الجوامع والمساجد الشريفة في بيروت، ط ١، بيروت، ١٩٦٦ م ١٣٨٦ هـ.

٣٩ ـ عبد الرحمن الداعوق، سبيل ساحة السور صار أثراً بعد عين، أوراق لبنانية، م ٣، جـ ٣، ١٩٥٧ م.

٤٠ ـ د. عبد الرؤوف سنو، المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين (١٨٤١ م ـ ١٩٠١ م)، ط ١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٧ م.

٤١ ـ د. عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٠ م.

٤٢ ـ د. عبد الكريم غرايبة، سورية في القرن التاسع عشر، (١٨٤٠ ـ ١٨٧٦ م)، دار الجيل، القاهرة، ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ م.

٤٣ ـ د. عمر عبد السلام تدمري، الرباط والمرابطون، دراسات تاريخية، العدد الخامس، تموز ١٩٨١/رمضان ١٤٠١ هـ.

٤٤ ـ د. عمر عبد السلام تدمري، الرباط في ثغور الشام، الفكر الإسلامي، العدد التاسع، السنة السادسة عشرة، أيلول ١٩٨٧ م، محرم ١٤٠٨ هـ.

٤٥ ـ د. عمر عبد السلام تدمري، الرباط في ثغور الشام، الفكر الإسلامي، العدد ١١، السنة السادسة عشرة، ت ٢ ١٩٨٧ م، ربيع الأول ١٤٠٨ هـ.

٤٦ ـ عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، تموز ١٩٦٦ م.

٤٧ ـ فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، جـ ١، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٨ ـ فتحي عثمان الحدود الإسلامية البيزنطية، جـ ٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٩ ـ فريمان ـ جرنفيل، التقويمان الهجري والميلادي، ترجمه عن الإنكليزية د. حسام محيي الدين الآلوسي، مطبعة الجمهورية، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م.

٥٠ ـ د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ترجمة د. أنيس فريحة، مراجعة د. نقولا زيادة، دار الثقافة بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، نيويورك، ١٩٥٩ م.

٥١ ـ كامل محيي الدين الداعوق، علماؤنا في بيروت، ط ١، بيروت ـ لبنان، بدون تاريخ.

٥٢ ـ الأب لامنس اليسوعي، الحياة في بيروت على عهد الصليبيين، المشرق، العدد العاشر، ١٩٣٣ م.

٥٣ ـ لويس شيخو، نبذة مختصرة في حوادث لبنان والشام، ظهرت أولاً بالمشرق (١٨٤٠ م ـ ١٨٦٢ م)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٧ م.

٥٤ ـ محمود شيت خطاب، إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، الفكر

الإسلامي، السنة الثالثة، العدد الأول، ك ٢، ١٩٧٢ م، ذو القعدة ١٣٩١ هـ.

٥٥ ـ نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٥٦ ـ وليد زهر الدين، المقاصد وتاريخها، المقاصد، العدد الافتتاحي، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

٥٧ ـ يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، سلسلة نصوص ودروس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٦٤ م.

٥٨ ـ د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، جـ ١، بدون تاريخ، ولم يذكر مكان الطباعة.

الدوريات

١ ـ الإقبال، بيروت في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٤ م.

٢ ـ الإقبال، بيروت في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٤ م.

٣ ـ أوراق لبنانية، بيروت، م ١، جـ ١، جـ ٦، جـ ٧، جـ ١١، ١٩٥٥ م.

٤ ـ أوراق لبنانية، بيروت، م ٢، جـ ٢، ١٩٥٦ م.

٥ ـ أوراق لبنانية، بيروت، م ٣، جـ ١، جـ ٢، جـ ٣، جـ ٦، جـ ٩، ١٩٥٧ م.

٦ ـ التقرير الإسلامي، رقم ١٣، ٢٢ أيار ١٩٨١ م، رجب ١٤٠١ هـ.

٧ ـ ثمرات الفنون، عدد ١٨، ١٧ آب ١٨٧٥ م.

٨ ـ ثمرات الفنون، عدد ٣٩٥، ٢١ آب ١٨٨٢ م.

٩ ـ ثمرات الفنون، عدد ١٢٩٧، ٣ أيلول ١٩٠٠ م.

١٠ ـ ثمرات الفنون، عدد ١٣٥٣، ٢٨ تشرين الأول، ١٩٠١ م.

١١ ـ ثمرات الفنون، عدد ١٣٥٤، ٤ تشرين الثاني ١٩٠١ م.

١٢ ـ ثمرات الفنون، عدد ١٦٣٣، تشرين الأول ١٩٠٧ م.

١٣ ـ دراسات تاريخية، العدد الخامس، تموز ١٩٨١، رمضان ١٤٠١ هـ.

١٤ ـ الفكر الإسلامي، عدد ١، كانون الثاني ١٩٧٢ م، وعدد ٤، نيسان، ١٩٧٢ م، وعدد ٥، أيار ١٩٧٢ م، وعدد ٩، أيلول ١٩٨٧ م.

١٥ ـ المشرق (بيروت)، العدد ١٨، ١٩٢٠م ـ عدد ٩، ١٩٢٢م ـ عدد ١٠، ١٩٣٣ م.
١٦ ـ المقاصد (بيروت)، العدد الافتتاحي، العدد ١، ١٩٨١ م ـ عدد ١٥، ١٩٨٣ م ـ عدد ١٩، ١٩٨٣ م ـ عدد ٢١، ١٩٨٤ م.

المقابلات

١ ـ الحاج إبراهيم القرقوطي، مواليد ١٩١٥ م، مقابلة في بيروت بتاريخ ١٥/٤/١٩٨٨ م.
٢ ـ الحاج توفيق الحوري مواليد ١٩٣٣ م، رئيس مجلس أمناء المركز الإسلامي للتربية، مقابلة في بيروت، في ٥/٣/١٩٨٨ م.
٣ ـ السيد سامي فايد، مواليد ١٩٣٢ م، مقابلة في بيروت ١٩٨٨ م.
٤ ـ الحاج عبد الرحمن القرقوطي، مواليد ١٩٠٧ م، مقابلة في بيروت في ١٥/١٢/١٩٨٧ م.

الملاحق الوثائقية

عملية بيع وشراء تظهر فيها إشارة إلى برج الباشوراء في بيروت في ٢١ ربيع الأول ١٢٥٩هـ[1].

(١) سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة، سجل ١٢٥٩هـ، صحيفة ٢٣ (مجموعة د. حسان حلاق الوثائقية).

عملية بيع وشراء تظهر فيها إشارة إلى برج حمود وبرج وباب السلسلة في بيروت في غرة ربيع الأول ١٢٥٩هـ[1].

(١) سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة، سجل ١٢٥٩هـ، صحيفة ١٠ (مجموعة د. حسان حلاق الوثائقية).

بيان بأوقاف وأراضي جامع السرايا في بيروت وتظهر فيها إشارات إلى سور بيروت وباب السرايا وباب يعقوب وباب الدركة وباب المصلى والبرج الجديد وسواها من المعالم البيروتية في ٢٦ ربيع الأول ١٢٥٩هـ[1].

(١) سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة، سجل ١٢٥٩هـ، صحيفة ٢٦ (مجموعة د. حسان حلاق الوثائقية).

دعوة لاستيفاء دين وعملية تظهر فيها إشارة إلى البرج القديم في بيروت في غاية جمادى الأولى ١٢٥٩ هـ[1].

(١) سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة، سجل ١٢٥٩هـ، صحيفة ٦٤ (مجموعة د. حسان حلاق الوثائقية).

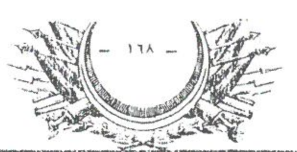
عملية بيع وشراء تظهر فيها إشارة إلى برج الكشاف في بيروت في ١٤ شوال ١٢٥٩ هـ[1].

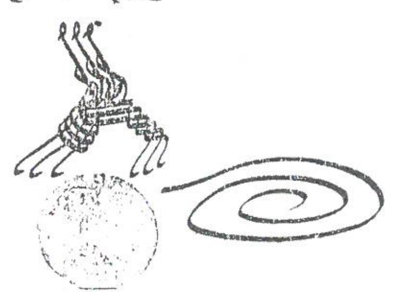
(١) سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة، سجل ١٢٥٩هـ، صحيفة ١٠٤ (مجموعة د. حسان حلاق الوثائقية).

بيان تركة متوفى في بيروت تظهر فيه إشارة إلى برج دندن في ٢٨ رجب ١٢٥٩ هـ[١].

(١) سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة، سجل ١٢٥٩هـ، صحيفة ١١٩ (مجموعة د. حسان حلاق الوثائقية).

بدل جندية باسم حسن فايد[١].

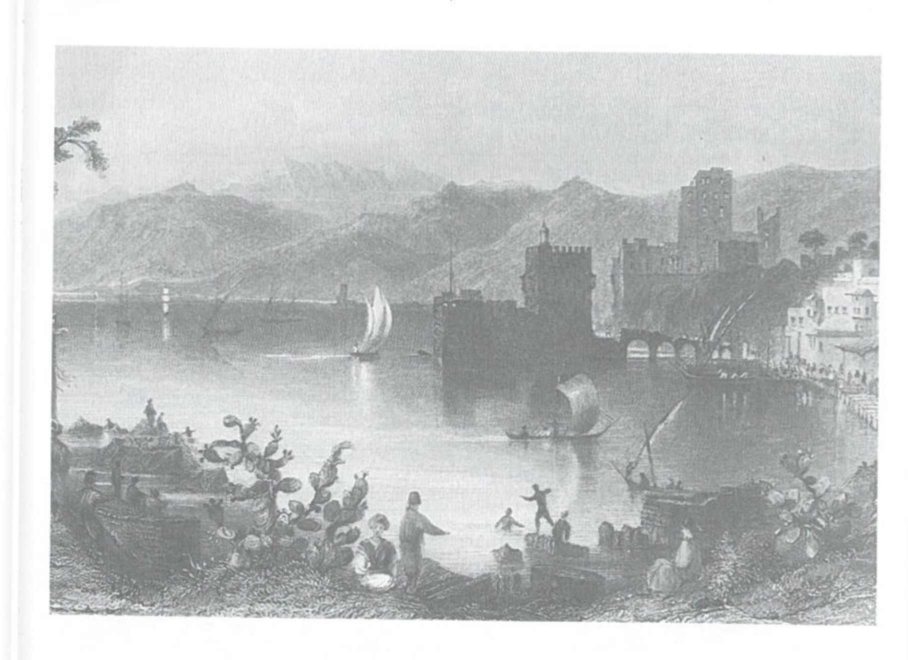




(١) من محفوظاتي الخاصة.

ملاحق الصور

مرفأ بيروت علم ١٨٣٤[١].



(١) من محفوظات سامي فايد.

منظر عام لبيروت عام ١٨٧٥[(١)].



منظر عام لبيروت التقط من الجامعة الأميركية عام ١٨٨١[(١)].



(١) من محفوظات سامي فايد.

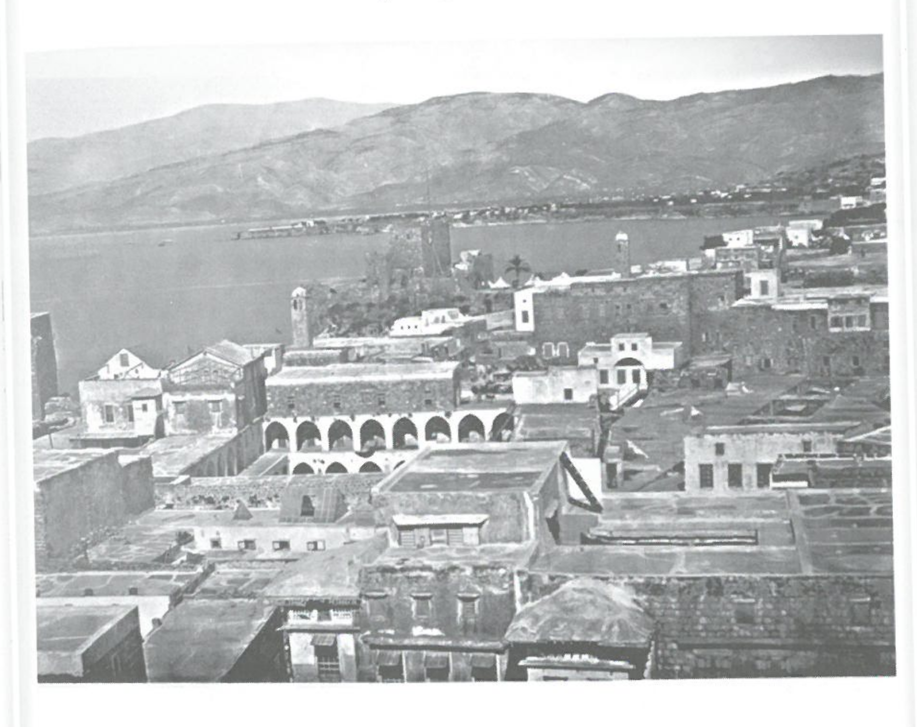
ساحة البرج عام ١٨٩٥ ،
وتظهر فيها السرايا الصغيرة (سراية فخر الدين)[(١)].



(١) من محفوظات سامي فايد.



منطقة باب ادريس عام ١٨٧٥[١].



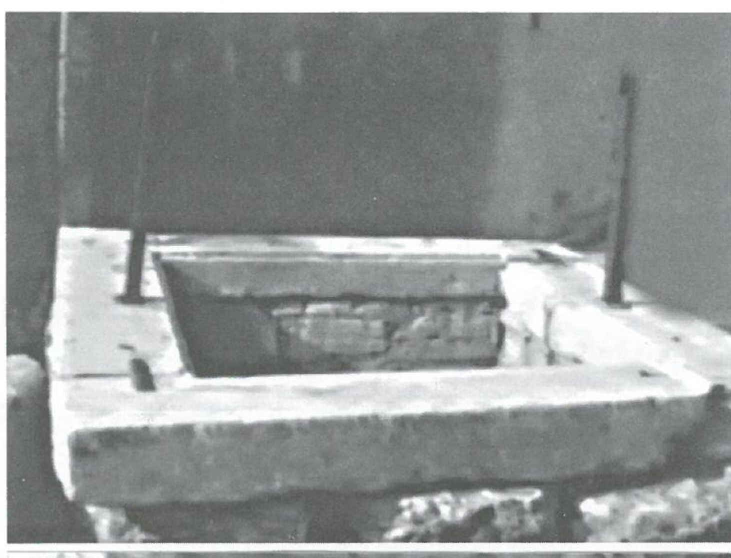
(١) من محفوظات سامي فايد.

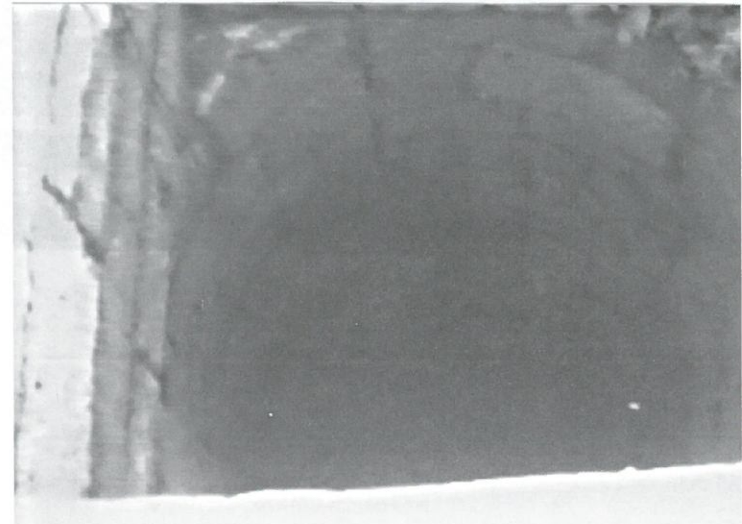
مرفأ بيروت عام ١٨٨٠[١].



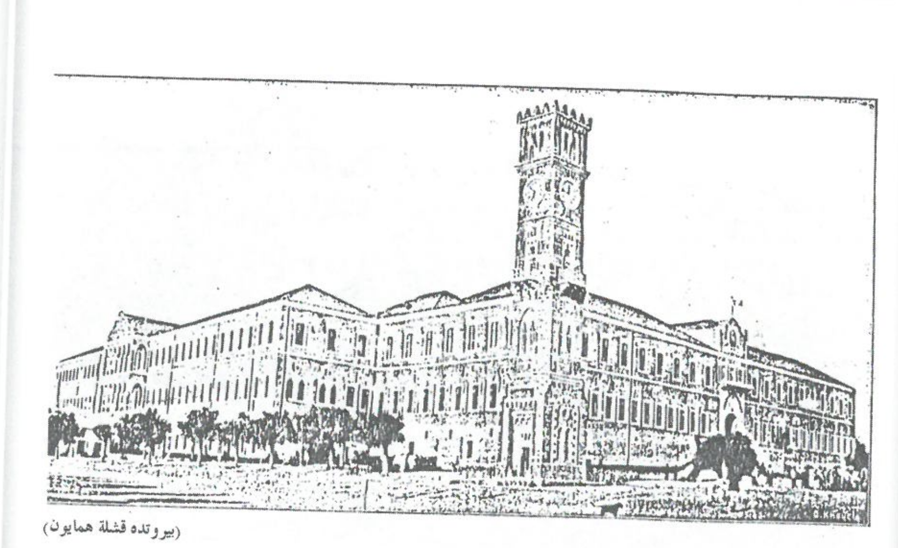
(١) من محفوظات سامي فايد.

بئر برج القرقوطي الذي بقي بعد هدم البرج حتى عام ١٩٨٩ والصورة تظهر شكل البئر من الخارج ومن الداخل[١].



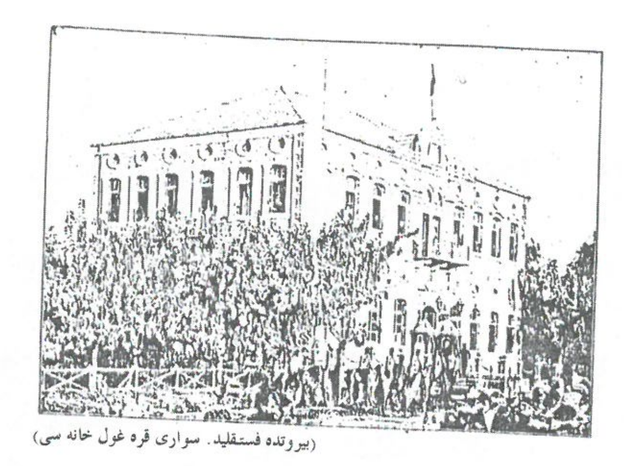


(١) من محفوظاتي الخاصة. التقطت عام ١٩٨٨ .



(بيروتده قشلة همايون)

القشلة الهمايونية ـ سنة ١٩٠٩ .
عن: سالنامه ولايت بيروت لسنة ١٣٢٦ هـ . ص ٢٢٧ .

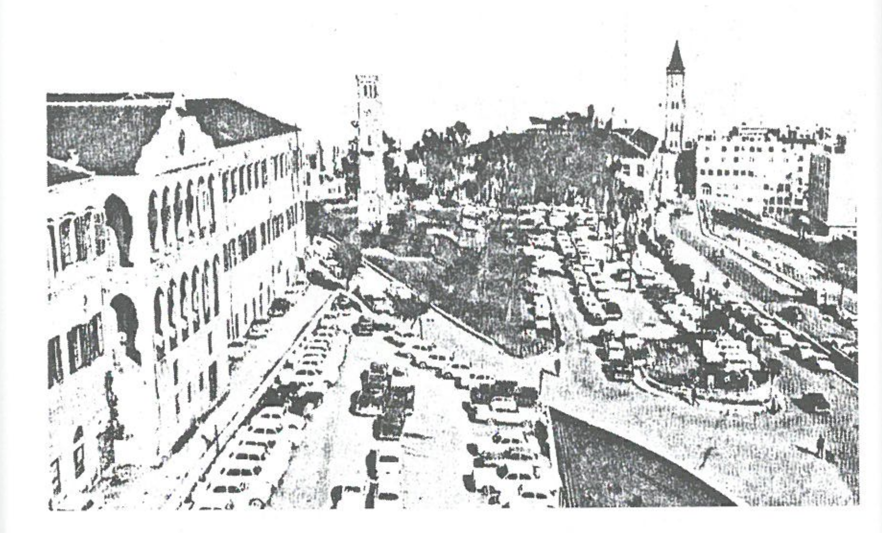


(بيروتده فستقليد. سوارى قره غول خانه سى)

ثكنة الفرسان ٣ وثكنة آلاى السوارى، في ساحة البرج.
عن: سالنامه ولايت بيروت لسنة ١٣٢٦ هـ . ص ٢٢٩ .



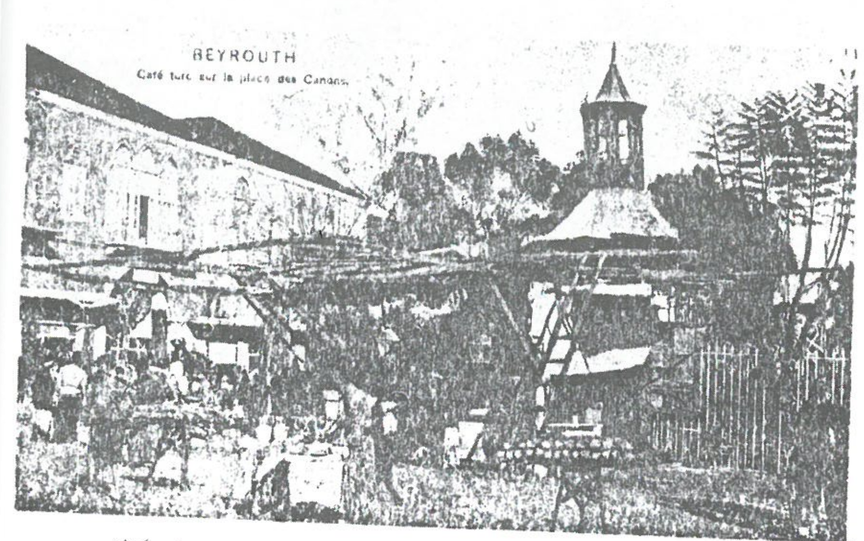
السراي الكبير في الخمسينات من القرن العشرين .



السراي الكبير والعدلية في أوائل الستينات من القرن العشرين .

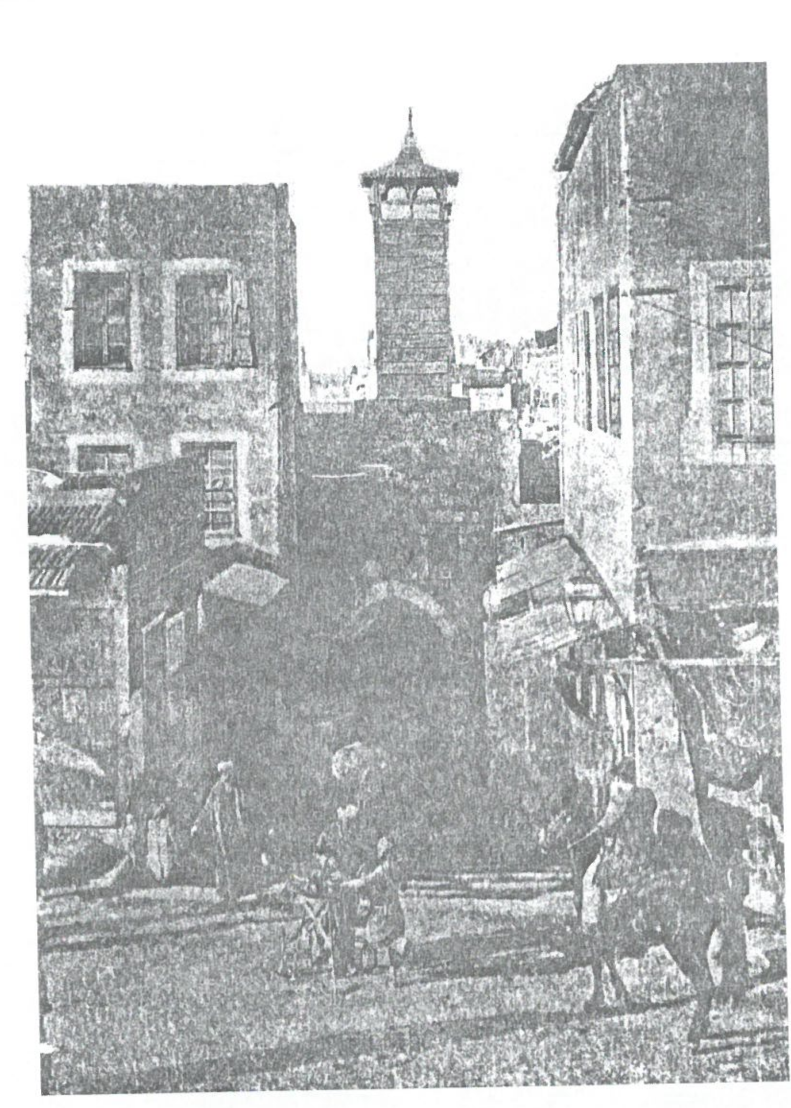


السراي الصغير، حيث توجد خلفه مقابر المسلمين مثل الخارجة (منطقة الريفولي وبيبلوس وسوق الخضار)(١).



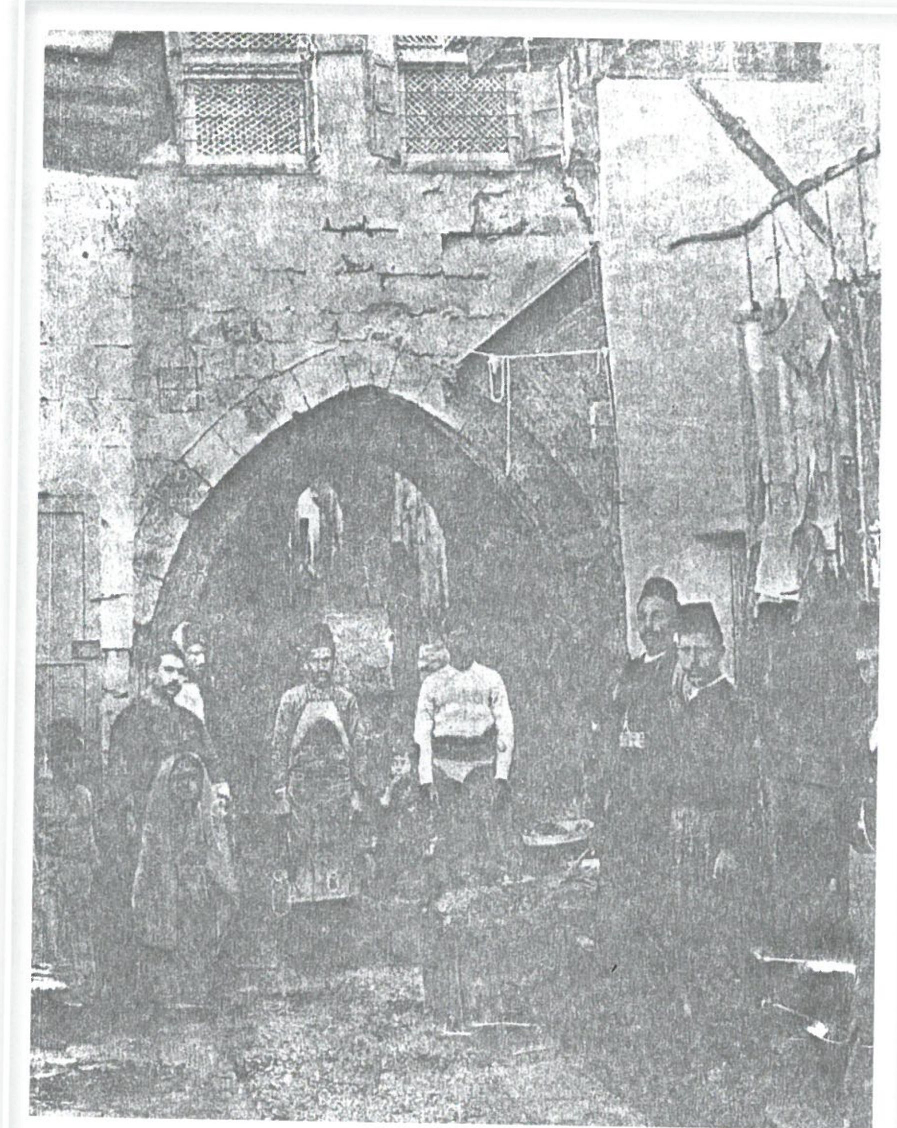
تجمع للباعة المتجولين في ساحة البرج، حيث يظهر المقهى التركي أيضاً(١).

(١) من محفوظات د. حسان حلاق. بيروت المحروسة في العهد العثماني (جامعة بيروت العربية، بيروت ١٨٧٥-١٩٧٥. خرائط وصور).



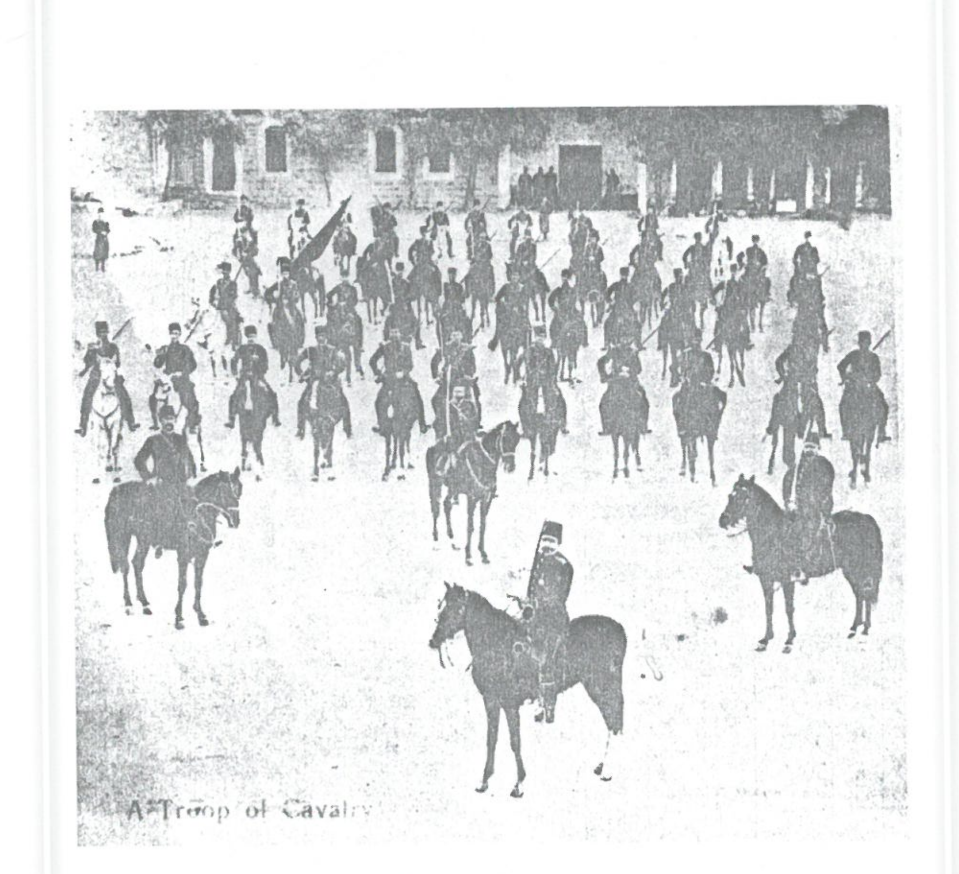
زاوية وباب الدركه أحد أبواب سور بيروت القديمة[١].

(١) من محفوظات د. حسان حلاق. بيروت المحروسة في العهد العثماني (جامعة بيروت العربية، بيروت ١٨٧٥-١٩٧٥ . خرائط وصور).



جمهرة من البيارتة أمام باب (بوابة) يعقوب، أحد أبواب سور بيروت القديمة[١].

(١) من محفوظات د. حسان حلاق. بيروت المحروسة في العهد العثماني (جامعة بيروت العربية، بيروت ١٨٧٥-١٩٧٥ . خرائط وصور).



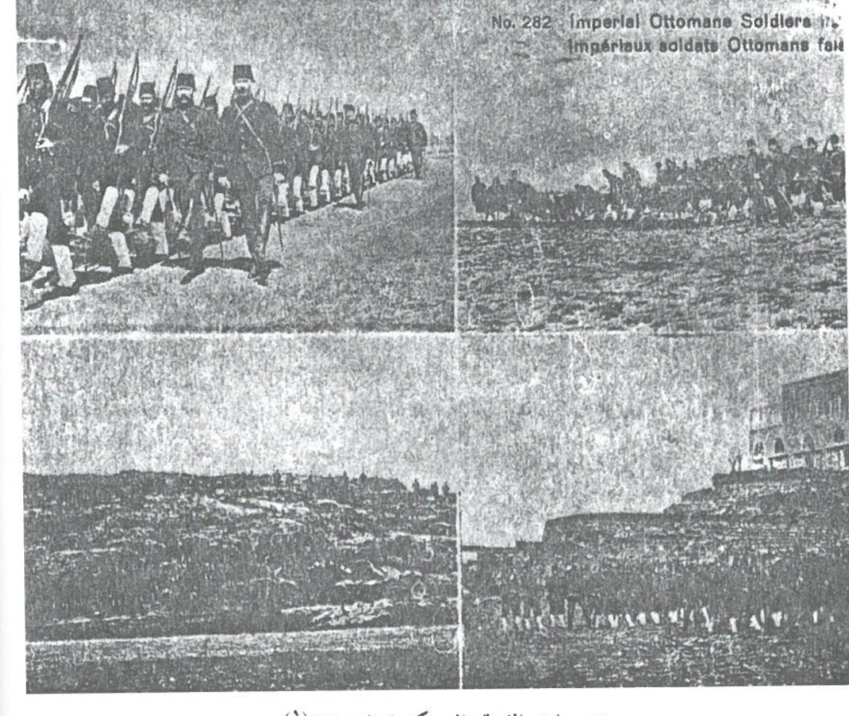
فرقة الخيالة العثمانية(١).

(١) من محفوظات د. حسان حلاق. بيروت المحروسة في العهد العثماني (جامعة بيروت العربية، بيروت ١٨٧٥-١٩٧٥. خرائط وصور).



فرقة من الفرق العثمانية في باحة المستشفى العسكري قرب السراي الكبير (القشلة)(١).

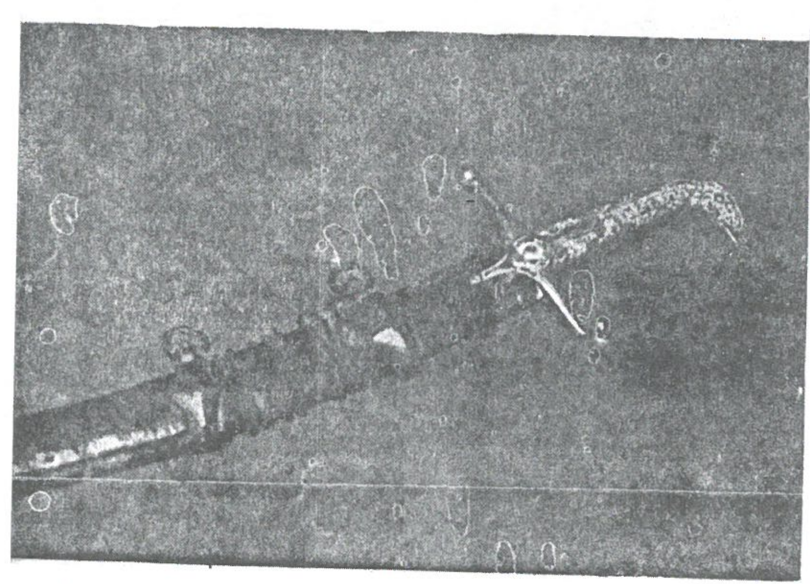
(١) من محفوظات د. حسان حلاق. بيروت المحروسة في العهد العثماني (جامعة بيروت العربية، بيروت ١٨٧٥-١٩٧٥. خرائط وصور).



تدريبات الفرق العسكرية العثمانية[1].

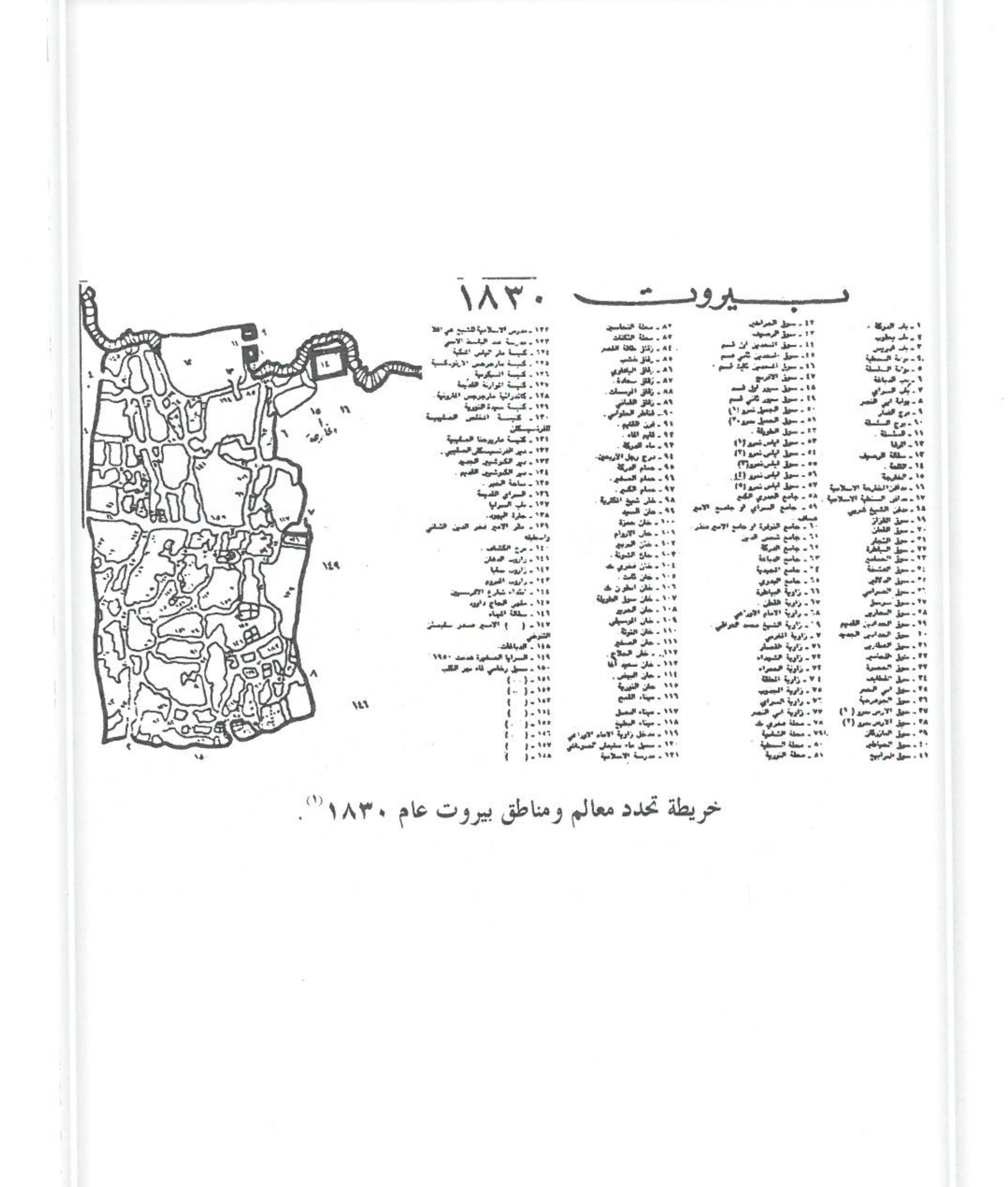
(١) من محفوظات د. حسان حلاق. بيروت المحروسة في العهد العثماني (جامعة بيروت العربية، بيروت ١٨٧٥ - ١٩٧٥ . خرائط وصور).

أوراق لبنانية[1]



السيف الذي انتزعته سعود بنت صالح طبارة من أحد القراصنة عندما دارت معركة بين البيروتيين وقراصنة البحر.

(١) ج ١ ، ك ١ ، ١٩٥٧ .



خريطة تحدد معالم ومناطق بيروت عام ١٨٣٠[1].

(١) عن داود كنعان ـ بيروت في التاريخ.

الفهرس

بيروت... تلك المدينة المرابطة على ثغر من ثغور الإسلام، والتي طغت عليها المدنية الحديثة بكافة أبعادها لتصبغها بصبغة غريبة عنها، ولتطمس معالم حضارتها التي اشتهرت بها في تاريخها الإسلامي الطويل الذي قارب الخمسة عشر قرناً.

بيروت... تلك المدينة العريقة في التاريخ والتي يجهل كثير من أبناء بيروت وأبناء الإسلام ما مرَّ عليها من حروب وفتن، ومن مَرَّ بها من مرابطين ومجاهدين، وما قاموا به من أساليب و(تكتيكات) حماية لها، وذوداً عن أصلها خلال تاريخها الإسلامي الطويل.

بيروت... تلك المدينة المجاهدة التي حاول البعض جاهداً طمس هويتها الإسلامية وصبغها بصبغة لا تليق بمكانتها التي شرَّفها بها الإسلام.

بيروت... تلك المدينة الصابرة تحتاج إلى من يوضح لأبنائها أولاً، وأبناء الإسلام ثانياً، وأعدائها ثالثاً، تاريخها الجهادي الطويل بكرّه وفرّه، وبنصره وهزيمته، ليعلموا أن الحقَّ دائماً منتصر مهما طال الزمن.

من أجل ذلك كانت هذه الدراسة.

بيروت ودورها الجهادي

منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني

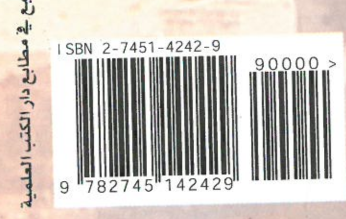
منشورات
محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ١٣/١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧
http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

ISBN 2-7451-4242-9



طبع في مطابع دار الكتب العلمية